د. محمد عمارة

استراتيجية التنصير في العالم الاسلامي

(دراسة في اعمال مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين)

أو

(بروتوكولات قساوسة التنصير)

سلسلة بحوث الثقافة والحضارة 3

I.W.S.C

مؤسسة علمية أهلية ، غير حكومية ، تعمل في حقل الدراسات والبحوث المتعلقة بالعالم الإسلامي في المجالين الإقليمي والدولي ، بهدف تحقيق وتأصيل الواقع واستشراف المستقبل وطرح البدائل الملائمة .

من أوجه اهتمامه :

* العناية بالقضايا الاستراتيجية التي تهم شعوب العالم الإسلامي وأقاليمه وتؤثر على مصالحها ، لا من زاوية النظر السياسي أو الأمني فحسب ، بل بمنظور استراتيجي شامل .
* معالجة تكوُّن الجغرافية ـ السياسية للعالم الإسلامي في مختلف مراحلها التاريخية ، واستشراف مستقبلها ، ورصد التطورات الدولية ، مع التركيز على مستقبل العلاقات بين قوميات العالم الإسلامي ، ولاسيما مستقبل علاقات العرب مع محيطهم الجيوسياسي .
* مراجعة تجارب النهوض والتحرر والوحدة ، بحثاً عن صيغ مناسبة لنظام عربي ونظام إسلامي لهما حضور دولي فاعل .
* ربط الدراسة النظرية بالواقع الميداني ، وتأصيل الأفكار والمناهج وتجديدها في المشروع الحضاري المستقبلي في الوطن العربي والعالم الإسلامي .
* السعي من خلال البحث العلمي المتنوع الإختصاصي إلى إرساء مناهج موضوعية وتكاملية في الدراسات الخاصة بالعالم الإسلامي .

ومن وسائله :

- إصدار المجلة الفصلية : «مستقبل العالم الإسلامي» .
- إصدار الكتب والرسائل والبحوث والتقارير .
- عقد المؤتمرات العلمية والندوات والحلقات الدراسية .
- إقامة علاقات تعاون مع المراكز المماثلة في العالم الإسلامي .
- حشد طاقات الباحثين للتعاون معهم في تحقيق أهداف المركز العلمية .
- متابعة توثيق ملفات العالم الإسلامي .

الطبعة الأولى
شتاء 1992 م

I.W.S.C

P.O.BOX: 528 Valletta - Tel: 00356/697202 - Fax: 697207 - Malta

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

تمهيد

عن الغرب والإسلام

(لقد شعر الكثيرون في الغرب بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفييتي. وبالنسبة إلى هذا الغرض، فإن الإسلام جاهز في المتناول!..

فالإسلام مقاوم للعلمنة، وسيطرته على المؤمنين به قوية، وهي أقوى الآن مما كانت قبل مئة سنة مضت، ولذلك فهو، من بين ثقافات الجنوب، الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة، ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍّ فعلي وحقيقي للمجتمعات الغربية التي يسودها مذهب اللاأدرية وفتور الهمة واللامبالاة، وهي آفات من شأنها أن تؤدي إلى هلاك تلك المجتمعات ماديا، فضلا عن هلاكها معنويا!..)

مجلة «شؤون دولية» البريطانية
يناير سنة 1990م

الموقف من الحضارة الغربية، واحد من الموضوعات التي يدور حولها الجدل في دوائر الفكر والثقافة والسياسة، على امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام، بل وفي كل أمم وحضارات وقارات جنوب الكوكب الذي نعيش فيه!..

بل لقد غدا هذا الجدل، حول الموقف من الغرب الحضاري، واحدا من أبرز أسباب الانقسامات الحادة في العقل العربي والمسلم.. تتشرذم بسببه طاقات كثير من المفكرين والساسة والمثقفين..

وإذا كانت نهضتنا – التي هي طوق نجاتنا من «الانقراض الحضاري!» – مستحيلة دون استدعاء وتوحيد أغلب طاقات الأمة، وخاصة الفكرية والثقافية والسياسية – نظرا لكثرة وشراسة التحديات – فإن حسم الخلاف حول هذه القضية: – الموقف من الحضارة الغربية – يتجاوز فضيلة – بل وفريضة – الحوار والحسم لقضية من القضايا المثيرة للنزاع، إلى حيث يصبح واحدا من شروط تمكين الأمة من أن تمضي على طريق النهضة وهي مستجمعة لطاقاتها الحقيقية، ومتمتعة بعافيتها الطبيعية.. وذلك بدلا من وضعها الراهن.. وضع الذين هم رحماء على الآخرين، أشداء على أنفسهم، وبأسهم بينهم شديد؟!..

وفي اعتقادنا أن الطريقة المثلى لاستدعاء العقل العربي والمسلم إلى كلمة سواء في هذه القضية، هي رهن بالمنهج الذي يتناولها عبر تحقيقه لشرطين أساسيين:

أولهما: تصحيح مسار الحوار والجدل حول القضية.. فبدلا من أن يكون الموضوع:

ما هو موقفنا من الغرب؟.. فلنجعله:

ما هو موقف الغرب منا؟؟..

فلعل جميع الفرقاء، باكتشافهم موقف الغرب منهم جميعا، أن يصلوا إلى أرض مشتركة، ومرفإ واحد، وكلمة سواء!..

وثانيهما: أن نستدعي نصوص الغربيين أنفسهم، لا من دائرة واحدة من دوائر حضارتهم، وإنما من مختلف دوائرها، حول موقفهم هم منا.. فلعل شهادتهم هم أن تنير لعقلنا العربي والمسلم سبيل الحكم العادل في هذا الموضوع!..

* * *

ولما كانت هذه الدراسة، التي نقدم بين يديها، هي خاصة بموقف النصرانية الغربية من الإسلام والمسلمين والحضارة الإسلامية.. فإننا سنطلق فيها العنان لنصوص بروتوكولات ومحاورات واتفاقات وقرارات قساوسة هذه النصرانية الغربية، لتحكي هي معالم المخطط الذي وضعوه للحرب التي أعلنوها وشنوها ضد الإسلام والمسلمين والحضارة الإسلامية.. وهي - كما ستروي نصوصهم هم - حرب إبادة للإسلام، واقتلاع له من الجذور!!.. إنهم - كما ستروي وتعلن نصوص مخططهم - يطمعون ويطمحون إلى أن يصنعوا بالإسلام أكثر مما صنعوا بالهنود الحمر.. فللهنود الحمر بقايا... أما الإسلام فلقد أعلنوا العزم وشنوا الحرب التي يريدون بها تنصير كل - نعم كل - مسلم على ظهر هذا الكوكب.. جاعلين من ذلك حربا «مقدسة»، لتحقيق نبوءة «مقدسة»، هي عودة المسيح ليحكم هذا العالم على أنقاض الإسلام والمسلمين!..

ستدع هذه الدراسة نصوصهم هم - حتى لو طال الاقتباس والاستشهاد - للتحدث عن موقف نصرانية الغرب من الإسلام وأمته وحضارته.. فلعل تحقيق هذا الشرط - من شروط المنهج الذي اقترحناه - أن يجمع المختلفين منا، حول الموقف من الغرب، على كلمة سواء!..

وحتى تحقق هذه الدراسة - الخاصة بالتنصير - الشرط الآخر من شروط هذا المنهج.. فلا تدع لمخالف حجة تقول: إن الغرب ليس فقط النصرانية والكنائس ومؤسسات التنصير.. فإننا سنلقي، في هذا التمهيد، ضوءا على نصوص غربية، تجسد موقف دوائر الفكر والسياسة في الغرب من الإسلام وأمته وحضارته... لتكتمل، عبر صفحات هذه الدراسة، رؤيتنا لموقف الغرب منا، كما تحكيه وترويه نصوص أهله وشهوده، من مختلف الدوائر.. والتخصصات.. والميادين!.

* * *

ولحسن حظ «الفكر» - وهو من سوء حظ «الواقع»! - أن المتغيرات التي أسقطت الماركسية وأحزابها وحكوماتها ونظمها.. والتي أعادت ترتيب «البيت الغربي»، قد أبرزت تعاظم الهيمنة الغربية على الأمم والحضارات الأخرى، وخاصة المستضعفة منها، وبوجه أخص على وطن العروبة وعالم الإسلام.. حتى لقد برزت وشاعت الكتابات الغربية التي

تتحدث عن أن العدو الحالي والمستقبلي للغرب الذي يمثل «إمبراطورية الشر» – بعد زوال المعسكر الشيوعي – هو الإسلام وأمته وحضارته وعالمه!.. الأمر الذي فتح الباب، أمام تيارات الفكر في بلادنا، لتلمس حقيقة موقف الغرب منا، على نحو من الوضوح لم يسبق له مثيل.. وإذا كان انفراد الولايات المتحدة الأمريكية – ولو مؤقتا – بالهيمنة.. واغتصابها – تقريبا – «للشرعية الدولية»، قد اقترن بتوظيف هذه الهيمنة، وهذا الاغتصاب للشرعية الدولية في وطن العروبة وعالم الإسلام.. فإن نصوص مفكري الغرب وساسته تنفي عامل «الصدفة» عن هذا التوظيف في المحيط الإسلامي بالذات، دون غيره من المجالات!..

إن حال الهيمنة الأمريكية، وقوتها المتغطرسة اليوم، مع الاستضعاف العربي والإسلامي الراهن، تكاد أن تجعل القلم يستدعي صورا من عصر المماليك؟!..

فـ «السلطان – الأمريكي» لا يريد منافسا ولا شريكا ولا بديلا.. وهو يريد من النظم «الحاكمة» في وطن العروبة وعالم الإسلام أن تقنع بدور، وتقف عند حدود «الحريم»؟!.. وهو يسعى مع تيارات الفكر والسياسة، التي سقطت مشروعاتها النهضوية – مثل الماركسيين – أو التي تخاف من المشروع الإسلامي للنهضة – مثل قطاع من العلمانيين والليبراليين –.. يسعى «السلطان – الأمريكي» مع هذه التيارات إلى القبول بدور «الطواشي.. والخصيان» في «حَرَمْلِك» بعض النظم في وطن العروبة وعالم الإسلام!!..

إنه ينزع سلاحنا القتالي.. في الوقت الذي يعيد فيه عصر القواعد العسكرية الأجنبية على أرضنا من جديد.. وإذا أعطانا سلاحا.. فهو يحرص على تفوق قاعدته، إسرائيل، على أوطاننا جمعاء؟!.. ثم هو لا يسمح لنا باستخدام هذا السلاح إلا في صراعات داخلية، يدبرها.. ويدفع إليها.. ويؤجج نيرانها!..

وهو ينهب ثرواتنا بالثمن البخس.. ويعوق تنميتنا المستقلة.. ويحولنا إلى سوق لاستهلاك سلعه المصنعة – التي إذا قابلنا أسعارها الفاحشة بأسعار موادنا الخام المتدنية، ثبت لنا – بالأرقام – أنه يكاد أن يأخذ موادنا الخام بالمجان؟!.. ثم هو يأخذ فوائضنا النقدية رهينة في مصارفه، يدعم بها اقتصاده، ويحكم بها حبال التبعية المالية على أعناقنا؟!..

ثم ها هو قد نجح، في الربع القرن الأخير، أن يضرب «إرادة التحرر الوطني» في

مقتل، عندما أغرانا بالاستدانة، حتى أدخلنا في آليات جديدة من التبعية الاقتصادية رهنت إرادتنا واستقلالية قرارنا، بل وكرامتنا كأمة.. الأمر الذي أتاح له - بعد المتغيرات التي رتب بها بيت الحضارة الغربية - أن يطمح إلى دور «السلطان - المملوكي»، وأن يطلب إلى بعض «حكامنا» الرضا بمكانة «الحريم» في «ديوان» «السلطان»؟!..

إنها صورة الواقع المعيش.. وما للعصر المملوكي فيها غير اللغة والمفردات والرموز!.. لكننا، وفاء بالمنهج الذي اخترناه لمعالجة قضية «الموقف من الغرب»، لن نكتفي بالاحتكام إلى هذا «الواقع» الذي يأخذ منا بالخناق!.. وإنما سنستدعي «نصوص» مفكري الغرب وساسته لتشهد على أن هذا «الواقع.. البائس.. المذل»، الذي فرضه ويفرضه الغرب علينا - مباشرة.. أو بالمستبدين الذين يصنعهم أو يحرسهم - إنما هو المقدمة لنتيجة يريد الغرب بها تأبيد تبعية عالم الإسلام لمركزه.. بل وما هو أكثر من «التبعية».. إنه يريد «إلغاء» وجودنا المتميز؟!.. ولذلك تشهد نصوص ساسته ومفكريه على أن المراد والمطلوب هو تجريدنا، لا من «السلاح الحربي» فقط.. و «الاستقلال الاقتصادي» وحده.. و«الإرادة السياسية» فحسب.. وإنما المطلوب، من وراء هذا الطور من أطوار ذلك الصراع «الحضاري - التاريخي»، هو تجريدنا من «الإسلام»، باعتباره «الهوية» المميزة لأمتنا، و«الشوكة» التي جعلت أمتنا تستعصي على الإلحاق والذوبان!.. فأهل الفكر والسياسة يريدون «كسر شوكة الإسلام» بالعلمانية، وذلك عبر «صراعات كثيرة وطويلة ومؤلمة» - حسب تعبيرهم - على النحو الذي صنعوه مع مسيحيتهم، التي تحولت من «دين» إلى مجرد «تراث»؟!..

أما قساوسة التنصير فإنهم يطمعون في اقتلاع الإسلام من الجذور وإلغائه من الوجود؟!.. ولما كانت فصول هذا الكتاب معقودة لعرض نصوص قساوسة التنصير الشاهدة على مخطط هذه الحرب التي يشنونها على الإسلام وأمته وحضارته.. فإن هذا التمهيد سيكشف للقارىء طرفا من نصوص مفكري الغرب وساسته، التي تقول لنا: إنها حرب واحدة يشنها الغرب علينا، مع تعدد في المواقع والجبهات، وتنوع في الوسائل والأدوات، وتفاوت وتدرج في المقاصد والغايات.. لكنها تفضي - إذا نجحت - لا قدر اللَّه - إلى «كسر شوكة الإسلام» تمهيدا لاقتلاعه من الجذور!..

* * *

وإذا كان المقام – وهو مقام «التمهيد» بين يدي هذه الدراسة – يفرض انتقاء النصوص الغربية واختيار الشهادات الدالة.. فحتى لا يزعم زاعم بأننا نتعمد تلوين الصورة بواسطة التحكم في هذا الانتقاء والاختيار.. فلقد عمدنا إلى اختيار النصوص الغربية التي تمثل شهادات لا لبس فيها، صادرة من أناس هم في القمة من تخصصاتهم، ومعبرين عن دوائر واسعة ومؤثرة في الفكر الغربي وفي صنع القرار السياسي الغربي..

* فمن مجلة «شؤون دولية» International Affairs – التي يصدرها المعهد الملكي للشؤون الدولية – بجامعة «كامبردج» – البريطانية – وهي من أكثر المنابر الفكرية المتخصصة في الشؤون والعلاقات الدولية احتراما –.. اخترنا الاستشهاد بدراستين.. أولاهما عن «الإسلام والمسيحية» Christianity and Islam كتبها عالم بـارز هو «إدوارد مورتيمر» Edward Mortimer.. وثانيتهما عن «الإسلام والماركسية» Islam and Marxism كتبها عالم الإنثروبولوجيا «إرنست جيلنر» Ernest Gellner [1]..

ونحن نجد في تقديم المجلة لهذا «الملف» عن موقف الغرب من الإسلام والعالم الإسلامي.. تشديداً على أن الأفكار الواردة في هاتين الدراستين إنما تعبر عن «الأفكار **التي تروج الآن في الغرب حول الإسلام والعالم الإسلامي**» – الأمر الذي يعطيها وزنا كبيرا وأهمية خاصة –.. كما تشير المجلة إلى علاقة هذا الموقف الغربي من الإسلام وعالمه بالمتغيرات التي أزالت الانشقاق الذي كان حادثا في الموقف الاجتماعي والعسكري للحضارة الغربية، منذ الثورة البلشفية في روسيا سنة 1917م.. وهي المتغيرات التي أزالت وطوت صفحة «العدو الشيوعي»، وأبرزت الدور التوحيدي للتراث المسيحي في النظام الغربي الدولي الجديد، على النحو الذي وجه عداء الغرب المسيحي إلى الإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. فأمر الإسلام إذاً، في الغرب، ليس شأنا كنسيا وحسب.. بل إنه الشغل الشاغل – كما تقول «شؤون دولية» – للمعاهد المتخصصة في الفكر السياسي.. والفكر بوجه عام.. فالحضارة الغربية، التي رتبت بيتها الحضاري، تعيد تعريف نفسها، من زاوية مغايرتها – كصاحبة تراث مسيحي يوحدها –.. من زاوية مغايرتها .. بل ومن موقع عدائها للإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. على هذه الحقيقة تشهد «شؤون دولية» فتقول:

«يحظى موضوع العلاقة بين الإسلام والمسيحية باهتمام خاص من

جانب العديد من المعاهد الدولية المتخصصة في العلاقات الدولية، ويرتبط هذا الاهتمام مباشرة بالعلاقات فيما بين الدول الصناعية الغنية، والدول الفقيرة فيما يسمى «بالعالم الثالث».. كما يرتبط هذا الاهتمام ارتباطا وثيقا بالثورة التي شهدتها بلدان أوروبا الشرقية في عام سنة 1989م، مما دفع أوروبا إلى أن تعيد تعريف ذاتها...

إن أوروبا التي اعتادت أن تعرف نفسها من خلال تحديد الآخر، كان لابد من أن تبحث عن آخر جديد يحل محل الاتحاد السوفييتي والمعكسر الشرقي بعدما انهارت أيديولوجيته، وكان هذا الآخر هو الإسلام – أو بمعنى أدق العالم الإسلامي القريب من أوروبا... وفي هذا الملف، مقالان حول الماركسية والإسلام، والمسيحية والإسلام، يعطيان صورة حول الأفكار التي تروج الآن في الغرب حول الإسلام والعالم الإسلامي...»

ثم تمضي المجلة في تقديمها للموضوع.. فتتحدث عن البعد المسيحي المتنامي في الحضارة الغربية.. والذي يزامله بعد يهودي في هذه الحضارة.. وعن نزعة الهيمنة والواحدية لهذه الحضارة الغربية، التي لا تقتنع بأنها «مجرد ثقافة بين ثقافات عديدة يعج بها العالم».. ثم تضع يدنا على القضية موضوع النزاع والصراع الغربي ضد الإسلام وحضارته.. وهي – بعبارة المجلة –: «... والقضية هي ما إذا كان من الممكن جعل الإسلام يقبل بقواعد المجتمع العلماني، من خلال صراعات «كثيرة وطويلة ومؤلمة»؟ أم أن رسوخ الإسلام في المجال السياسي والاجتماعي يجعله يرفض القبول بالمبدإ المسيحي / الغربي الذي يميز بين ما لله وما لقيصر»؟!..

والمجلة تعترف باستعصاء الإسلام على العلمنة.. ومن ثم ترى فيه – حسب تعبيرها –: «الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍ فعلي وحقيقي لمجتمعات الغرب، التي تسود فيها أمراض الحضارة الغربية المعاصرة».. ولذلك، فالإسلام – كما تقول مجلة «شؤون دولية» – «.. من بين الثقافات الموجودة في الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة»؟!..

تمضي المجلة، فتعرض شهادتها على هذه الحقائق في موقف الغرب من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه، فتقول:

«.. نحن في وقت يسود فيه انطباع قوي بتضاعف الإشارات إلى المسيحية في السياق الدولي.. والقضية هي ما إذا كان من الممكن جعل الإسلام يقبل بقواعد المجتمع العلماني، من خلال صراعات «كثيرة وطويلة ومؤلمة»؟ أم أن رسوخ الإسلام في المجال السياسي والاجتماعي يجعله يرفض القبول بالمبدإ المسيحي / الغربي الذي يميز بين ما لله وما لقيصر، وبما لا يسمح لمعتنقيه أن يصبحوا مواطنين خاضعين للقانون بصورة يعول عليها في ديمقراطية علمانية..

ويعكس هذا الطرح إلى أي مدى يميل الفكر الغربي إلى جعل الحضارة المسيحية– اليهودية / الغربية هي الحضارة المهيمنة، وجعل أفكارها مطلقة، وليست مجرد ثقافة بين ثقافات عديدة يعج بها العالم.

والإسلام من بين الثقافات الموجودة في الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة، ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍ فعلي وحقيقي لمجتمعات يسودها مذهب اللاأدرية وفتور الهمة واللامبالاة، وهي آفات من شأنها أن تؤدي إلى هلاك تلك المجتمعات مادياً، فضلا عن هلاكها المعنوي..»!

تلك هي شهادة مجلة «شؤون دولية» على حقيقة عداء الغرب للإسلام وعالمه، وجعله الإسلام «من بين الثقافات الموجودة في الجنوب، الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة».. لا لشيء «وليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍ فعلي وحقيقي» للعلمانية الغربية.. «فرسوخ الإسلام في المجال السياسي والاجتماعي، الذي يجعله يرفض القبول بالمبدإ المسيحي / الغربي الذي يميز بين ما لله وما لقيصر».. هذا الرسوخ، الذي يجعل الإسلام عصيا على العلمنة، هو الذي يؤجج نيران العداء الغربي للإسلام.. ذلك أن الغرب لا يقنع بأن تكون ثقافته العلمانية « مجرد ثقافة بين ثقافات عديدة يعج بها العالم».. وإنما يريد أن تكون «حضارته المسيحية – اليهودية / الغربية هي الحضارة المهيمنة».. ومن هنا رأى في الإسلام التحدي الوحيد لهيمنة الحضارة الغربية على هذا

الكوكب الذي نعيش فيه؟!..

* * *

وإذا كانت هذه هي شهادة المجلة الغربية، رفيعة المستوى، - «شؤون دولية» - فما شهادة العلماء الذين كتبوا فيها حول موقف الغرب من الإسلام؟!..

في الدراسة التي كتبها «إدوارد مورتيمر» عن «المسيحية والإسلام».. يلفت الأنظار إلى عدد من الحقائق البالغة الأهمية في هذا الموضوع... ومنها:

*** تزايد المساحة والدور الذي يعطيه الغرب للعامل الديني في العلاقات الدولية..** فالدين قبل القرن العشرين - قرن الثقافة الغربية العلمانية - كان يلعب دورا «مركزيا»، سواء في العلاقات الدولية، أو في الحياة الداخلية للمجتمعات الغربية.. وعلمنة الثقافة الغربية، في القرن العشرين، لم تغيب الدين تماما.. وإنما أنزلته من موقع «المركز».. لكنه يعود اليوم، في الغرب، لاقتحام الشؤون الدولية بصورة متزايدة.. يقول«مورتيمر»:

«إنه من الواضح أن الدين أصبح يقتحم الشؤون الدولية بصورة متزايدة، أو بالأحرى يعيد إدخال نفسه فيها، لأنه في القرون الماضية لعب دورا مركزيا في العلاقات بين الدول، وفي حياتها الداخلية، وإذا لم يكن قد اعتبر عاملا مركزيا في هذا القرن، فإن ذلك قد يعكس ببساطة حقيقة أن «المجتمع الدولي» للقرن العشرين، على حد تعبير هيدلي بول، كان إلى حد كبير ثمرة للثقافة الغربية الحديثة، وواحدة من سماتهاالعلمانية..».

فنحن، إذاً، أمام حقيقة، تمثل واحدا من متغيرات الفكر والسياسة في الغرب.. حقيقة تزايد دور العامل الديني في نظرة الغرب للعالم وعلاقاته بالدول.. في ذات الوقت الذي يريد فيه كسر شوكة الإسلام بالعلمانية.. فكأنما علمنة الغرب للإسلام ليست حبا مجردا للعلمانية، وتفضيلا لها على الإسلام - وفق معايير الاختيار والتفضيل الفكرية المجردة - وإنما هي وسيلة لكسر شوكة استعصاء الإسلام على التبعية والإلحاق والذوبان والاختراق؟!..

* وحقيقة ثانية تكشف عنها دراسة «إدوارد مورتيمر» - في تأملها فائدة كبرى للذين ظنوا أن علمانية الغرب قد أزالت «العصبية الدينية» من مجتمعاته.. ففي بلد كانجلترا، يؤكد الكاتب أن العلمانية لا تعدو أن تكون «اسما» على غير مسمى؟!..

«فعلى الرغم من الإلغاء التدريجي - عبر 300 سنة - لكل أنواع عدم الأهلية المدنية والسياسية من الناحية العملية عن معتنقي الديانات والمذاهب الأخرى - (المغايرة لمذهب الدولة الديني) - فإن ذلك لم يجعل المملكة المتحدة دولة علمانية إلا اسما»!..

فدور الدين.. بل والمذهبية الدينية.. وإن تراجع في اليقين الديني، والالتزام الخلقي.. إلا أنه لم يتراجع كعصبية وكمعيار لتعريف الذات، ولتمييزها عن الآخرين؟!..

* وحقيقة ثالثة - بالغة الأهمية - تكشف عنها الدراسة، عندما تنبهنا - نحن الغافلين أو المتغافلين - إلى دور البعد الديني - «المسيحي - الكاثوليكي» - في بناء الوحدة الأوروبية؟!..

«فالكنيسة الرومانية الكاثوليكية: هي منظمة غير قومية، كثيرا ما يدلي رئيسها الروحي ببيانات متكررة تمس العلاقات الدولية، يرتبط في كثير منها تعبير «المسيحية» و«أوروبا» بصورة وثيقة.

ويصعب أن تكون مصادفة أن الديمقراطيين المسيحيين في كل بلد أوروبي موجودون على الدوام بين أشد أنصار الوحدة الأوروبية حماسا، أو أن القادة القوميين الثلاثة الذين أرسوا أسس الاتحاد الأوروبي الحالي - كونراد أديناور [2]، والسيد دي جاسبري [3]، وروبرت شومان [4] - كانوا جميعهم من الديمقراطيين المسيحيين، ومن الكاثوليك المخلصين..»؟!..

فللعامل الديني دوره في الوحدة الأوروبية - بشهادة «إدوارد مورتيمر» - على حين نشهد حساسية الغرب من أي استثمار للعامل الديني في حياة المسلمين وعلاقاتهم الدولية.. بل إن هذا الاستثمار لوحدة أمتنا في العقيدة هو موضع الإنكار والاستنكار من العلمانيين العرب والمسلمين؟!

* وحقيقة رابعة، تكشف عنها دراسة «المسيحية والإسلام» - «لإدوارد مورتيمر» - تنبه

الغافلين والمتغافلين إلى دور البعد الديني والعامل المسيحي والكنيسة الغربية في هذا الزلزال الذي أسقط الشيوعية وطوى صفحة الماركسية، وأعاد الحضارة الغربية إلى حيث تعرف نفسها تعريفا مسيحيا، حتى لتستبدل بعدائها للشيوعية العداء للإسلام؟!..

فهذا الغرب الذي أعاد ترتيب بيته الحضاري.. والذي نهضت المسيحية بدور بارز في المتغيرات التي أعادت هذا الترتيب.. إنما يعرف نفسه - وهو يبحث عن «الآخر - العدو» - بالمسيحية، وبالتراث المسيحي، وبالمغايرة للإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. وحول هذه الحقيقة يقول «إدوارد مورتيمر»:

«هناك انطباع قوي بأن الإشارات إلى المسيحية، في سياق دولي، قد تضاعفت في وسائل الإعلام الغربية في السنة الماضية - (1990م) - أو ما إلى ذلك. ولاشك في أن السبب الرئيس في هذا هو التغييرات التي وقعت في الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية.

ففي بعض بلدان أوروبا الشرقية لعبت الكنيسة دورا مهما في إحداث التغيير السياسي:بولندا بصورة واضحة، وألمانيا الشرقية، بصورةغير متوقعة،بدرجة أكبر، وكذلك تشيكوسلوفاكياإلى حد ما.

وفي الاتحاد السوفييتي بدأ التغيير من أعلى، وعلى يد المثقفين العلمانيين، لكن دور المنشقين المسيحيين في مقاومة النظام، وتقدمهم لإدانته، لم يكن بحال من الأحوال أمرا تافها، والأمر الذي كان مدهشا حقا هو السرعة التي اتجه بها المجتمع والدولة على حد سواء إلى الكنيسة في بحث يائس عن شيء يملأ الفراغ الأخلاقي المروع الذي كشف عنه انهيار الأيديولوجية الشيوعية [5]..

وكان لهذه الأحداث تأثير مدهش على المواقف الغربية، خاصة موقف أوروبا الغربية. فقد حرم انهيار الشيوعية «الغرب» من ذلك «الآخر» ذي المعنى، فالغرب لم يعد يستطيع تعريف نفسه اكتفاء بالإشارة لذلك الآخر، وبدلا من الكتلة السوفييتية، التي يهيمن عليها نظام للقوة معاد وخطر، وتتوحد معه، اكتشفنا زملاء أوروبيين يشاركوننا ميراثنا الحضاري والديني، ويتطلعون لمشاركتنا الحرية والازدهار. لقد ذاب

الستار الحديدي فجأة.

مطلوب عدو جديد

أراد الغرب أن يتوحد مع شعوب أوروبا الشرقية التي خرجت من إسار الطغيان، وجعلنا هذا نركز على ما هو مشترك معها، ولكن ليس مع آخرين: فالطبيعة البشرية تجعل مجموعة ما تعرف بما ليست عليه ماهيتها، تماما مثلما تعرف حسب ماهيتها.

بل لقد شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفييتي. وبالنسبة إلى هذا الغرض، فإن «الإسلام» جاهز في المتناول.

والتراث المسيحي عنصر مهم في الثقافة الغربية، التي نشترك فيها، أو نعتقد ذلك، مع الأوروبيين الشرقيين. ومع ذلك فإن الإصرار على المسيحية، باعتباره سمة للتعريف، يعني ضمنا، البحث عن غير المسيحيين المجاورين الذين يمكن أن تتناقض مع مجتمعهم، أوروبا الجديدة / القديمة هذه..

إن ما كان مطلوبا هو شيء كنا نستطيع أن نعتبره غريبا على مجتمعنا وخطرا عليه. وقد وفى الإسلام بالمراد. لماذا؟

أوراق اعتماد الإسلام

أولا: هناك قربه الجغرافي. فلو سافرت جنوبا من أي مكان تقريبا في أوروبا، فإن أول مجتمع غير أوروبي (أو غير مسيحي) ستقابله سيكون مجتمعا إسلاميا.

تأتي بعد ذلك سلسلة من الذكريات الشعبية التاريخية أو شبه التاريخية عن المعارك بين المسلمين والمسيحيين، تمتد عبر أوروبا كلها. وفي هذه الذكريات يظهر المسلمون كغزاة: المغاربة البربر الذين غزوا إسبانيا، والعرب المسلمون الذين أغاروا على فرنسا وإيطاليا، والأتراك

على أبواب فيينا، والتتار الذين أخضعوا موسكو.

وغالبا ما يتم تناسي حقيقة أن الأوروبيين غزوا وفتحوا عمليا كل البلاد الإسلامية في وقت أحدث، أو ترد ذكرى ذلك فقط بطريقة تصور المسلمين كأشرار، كما أن مقاومتهم للتسلل الاستعماري، والتي تمت غالبا تحت قيادة دينية، أو تمت تعبئتها بشعارات دينية، تذكر باعتبارها تعصبا. ومازالت هذه الحكايات مستمرة حتى الآن. إن الفلسطينيين يقاومون الاحتلال الإسرائيلي، ويسعون أحيانا إلى ضرب القوى الغربية مباشرة، لأنهم يعتبرونها مسؤولة عن ذلك. وقد تمرد الإيرانيون على النفوذ الغربي، مستخدمين العنف أساسا داخل إيران في المحل الأول ضد إيرانيين آخرين، مع عدد قليل نسبيا من الهجمات على أشخاص غربيين، أشهرها عملية احتجاز 50 دبلوماسيا أمريكيا كرهائن في سنة 1979 – سنة 1981م، والتي كانت عملا رمزيا، وتم حلها سلميا في النهاية.

ولكن، في التصور الغربي لمثل هذه الأحداث، يتم دائما تضخيم العنف الذي يرتكبه المسلمون، أما العنف ضد المسلمين فيتم تجاهله والتهوين من شأنه.

وحتى المقاومة الأفغانية ضد الاحتلال السوفييتي، حظيت فقط بتعاطف من وراء القلب في الغرب. وفي السنتين أو الثلاث الأخيرة، تم اكتشاف مثل هذه التناقضات داخل الاتحاد السوفييتي [6]. وفيما يتعلق بالصدام بين أرمينيا وأذربيجان، فإن الرواية الأرمنية للأحداث تحظى دوما في الغرب بمصداقية أكبر من الرواية الأذربيجانية، كما أن استخدام القوة العسكرية لقمع الحركة القومية البازغة في أذربيجان، أثار في الغرب اعتراضا أقل مما أثاره استخدام الضغط الاقتصادي أساسا ضد شعوب البلطيق (المسيحية)، ويحظى جورباتشوف بالتعاطف في الغرب عندما يعتبرونه داخلا في صراع مع «نزعة التعصب الإسلامية»، التي تصور دوما باعتبارها نزعة عنيفة، وعادة نزعة غير

رشيدة أيضا.

وبالمثل، في الشرق الأوسط، فإن امتلاك أسلحة طويلة المدى أو عالية التدمير من قبل دولة إسلامية، كإيران والعراق أو ليبيا، يعتبر بصورة آلية، خطرا على أوروبا، في حين لا يخرجون بنفس النتيجة عن امتلاك إسرائيل لها (وهي باعتراف الجميع ليست دولة «مسيحية»، ولكنها دولة تصنف عادة، خاصة في الخطاب الأمريكي، تحت عنوان «حضارة يهوديةمسيحية»).

قد تكون هناك مبررات جيدة لذلك، ولكن لا ريب أن واحدا منها هو أننا لا نتصور أن الغرب سيتخذ إجراء يدفع إسرائيل للانتقام، في حين أننا، حتى قبل أزمة الكويت، نجد أنه من السهل تخيل أن مثل هذا يسهل اتخاذه ضد الدول الإسلامية.

وقد اتفق أن تواكبت التغيرات في أوروبا الشرقية مع حدوث زيادة مفاجئة في القلق من جراء وجود جاليات إسلامية كبيرة داخل أوروبا الغربية، وارتبط ذلك بقضية سلمان رشدي [7] في بريطانيا، والخلاف حول الفتيات المسلمات اللاتي يضعن غطاء على الرأس في مدارس فرنسا.

إن هذه الجاليات «المهاجرة» موجودة منذ 20 أو 30 سنة، ومن ثم لم تعد مهاجرة بالمعنى الدقيق، حيث إنها تتضمن جيلا واحدا على الأقل من البالغين الذين ولدوا في البلدان التي يعيشون فيها حاليا. ومن المؤكد أن الاحتكاك بينهم وبين أجزاء من المجتمع الذي يعيشون فيه ليس أمرا جديدا، ولكن قبل سنة 1989م [8] لم يكن السخط عليهم منصبا على دينهم في المحل الأول، وكانوا إجمالا يحظون على الأقل بمساندة معنوية من المؤسسة الثقافية الليبرالية ضد الأحكام المسبقة والتمييز العنصري الذي يتعرضون له. ومع ذلك ففي سنة 1989م خسروا هذه المساندة بسبب أن دينهم اعتبر معاديا لبعض الأسس التقليدية للحرية الغربية: في بريطانيا، حرية التعبير والنشر، وفي

فرنسا، العلمانية، أي الحياد الديني للدولة، وبصفة خاصة النظام الدراسي للدولة..

إن كلا الأمرين قد جعلا أوروبيين كثيرين يتساءلون عما إذا كان يمكن جعل الإسلام يقبل قواعد المجتمع العلماني، مثلما فعلت المسيحية بعد صراعات كثيرة طويلة ومؤلمة؟ وما إذا كان دينا على قدر من الرسوخ في المجال السياسي والاجتماعي يجعله رافضا لأي تمييز بين ما لله وما لقيصر، بحيث لا يسمح أبدا لمعتنقيه أن يصبحوا مواطنين خاضعين للقانون بصورة يعول عليها في ديمقراطية علمانية يسودها التسامح [9]؟؟..

والواقع أن هناك احتمالا مماثلا على الأقل في أن مثل هذه المشكلات - (الهجرة) - ستنزل على أوروبا الغربية، ليس من الجنوب المسلم، وإنما من الشرق «المسيحي»، لو نجح الانتقال للديمقراطية وللرأسمالية الذي تجري محاولة تطبيقه حاليا في شرق أوروبا والاتحاد السوفييتي. لكن فكرة هبوب موجة من المهاجرين الأوروبيين إجمالا تسبب انزعاجا أقل، ويرجع ذلك تحديدا إلى افتراض أن ميراثهم المسيحي سيجعلهم قابلين للاستيعاب في أوروبا الغربية بطريقة لا تتوافر للمسلمين القادمين من شمال إفريقيا أو تركيا. وليس هناك شك كبير في أن هذا الاعتقاد يكمن وراء كثير من المبررات التقنية والظرفية التي تقدم للاعتراض على النظر في قبول تركيا عضوا كاملا في الاتحاد الأوروبي، أو على الأقل تأجيل ذلك.

إن كل هذه العوامل تدفع أوروبا لأن تعرف نفسها، ربما ليس من زاوية المسيحية نفسها، وإنما بالقطع من زاوية التراث المسيحي، والتركيز بصورة حادة بقدر الإمكان على التمايز والحدود بينها وبين عالم الإسلام..

تلك هي الحقيقة الرابعة من حقائق شهادة «إدوارد مورتيمر».. حقيقة دور العامل الديني - المسيحي - في المتغيرات التي وحدت الحضارة الغربية.. وكيف أصبحت هذه

الحضارة - المسيحية - اليهودية / الغربية - تعرف نفسها بالمسيحية، أو بالتراث المسيحي الجامع لها.. وأيضا بمغايرتها للإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. إلى الحد الذي جعلها تتخذ منه العدو الذي أحلته محل «إمبراطورية الشر الشيوعية»؟!..

* أما الحقيقة الخامسة، والأخيرة، من حقائق شهادة «إدوارد مورتيمر» - في دراسته عن «المسيحية والإسلام» - فإنها تكشف عن ارتباط «الدنيوي» بـ «الديني» في هذا الموقف الغربي من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه..

فالبعد «الديني - المسيحي»، الذي يدفع الغرب إلى مناصبة الإسلام وعالمه العداء.. إنما هو موظف لا في حرص الغرب على «هداية» المسلمين إلى الصراط الديني المستقيم؟! أو الخوف عليهم من أن يحرموا، في الآخرة، من «جنات النعيم»، التي يتصورها نصارى الغرب خاصة بهم؟!.. وإنما وظيفة هذا العامل الديني، الذي يؤجج نيران عداوة الغرب للإسلام وعالمه، هي السعي للحيلولة بين الإسلام وبين إيقاظ أمته وعالمه، مخافة تأثير هذه اليقظة على النظام الدولي والعلاقات الدولية والهيمنة الغربية على الشرق الإسلامي؟!..

إن ما بين «غانة» و «فرغانة» - غربا وشرقا -.. وما بين حوض نهر الفولجا وأسفل خط الاستواء - شمالا وجنوبا - وهو عالم الإسلام - إنما يمثل أكبر «الغنائم» في فم «الأسد الغربي».. وإن إيقاظ الإسلام لأمة هذا العالم إنما يمثل أعظم زلازل وانقلابات التاريخ الحديث والمعاصر.. وتلك هي المقاصد «الدنيوية» التي يستعين الغرب في صراعه حولها بكل السبل والآليات.. الدينية والدنيوية جميعا!.. فمن الخطإ - بل والحماقة - تفسير هذا الصراع «الحضاري - التاريخي - المصيري» بعامل واحد - سواء من جانب الغرب.. الذي يعرف نفسه مسيحيا.. أو من جانب المسلمين، الذين يمثل الإسلام بالنسبة إليهم مصدر الحياة والإحياء في الدنيا وفي الآخرة معا؟!..

إلى هذه الحقيقة يشير «إدوارد مورتيمر».. وينبه على دورها في ذلك الاهتمام الذي تحظى به ظاهرة الإحياء الإسلامي، في مؤسسات البحث العلمانية ومراكز الدراسات السياسية.. وليس فقط في دوائر الكنيسة واللاهوت.. فيقول:

«إن ظاهرة الإشارة إلى الإسلام، واستخدام اللغة الإسلامية لدى دول منظمة المؤتمر الإسلامي - كما اكتشف مؤتمر معهد تشاثام هاوس في سنة 1982م - تتباين بصورة واسعة. ومع ذلك فقد وجد أن هذه

الظاهرة آخذة في الزيادة في عدد من الدول الإسلامية كمصر والعراق وباكستان..

إن الحساسيات الإسلامية، مقترنة بالقومية العربية، تعتبر بصفة عامة الخطر السياسي الرئيس الذي يواجه الدول الغربية التي تسعى للقيام بدور نشط في الشرق الأوسط.. وبالإضافة إلى ذلك، فإن صعود الأحزاب التي تصف نفسها بأنها إسلامية في السياسة الداخلية لطائفة عريضة من البلدان، وبصفة خاصة تلك الأقرب إلى أوروبا، مثل الجزائر وتونس، أمر مرجح أن يؤثر على العلاقات بين تلك البلدان والغرب[10]..»

وحتى لا تغير اليقظة الإسلامية موازين القوى السائدة - وغير المتكافئة - في علاقة الغرب بعالم الإسلام.. كان اهتمام الغرب بدراسة هذه اليقظة.. والكاتب يضرب مثالا - مجرد مثال - على هذا الاهتمام، فيقول:

«إن الإسلام مطروح على جدول الأعمال الدولي، على الأقل منذ الثورة الإسلامية في إيران - (سنة 1979م) -.. ولقد كان مؤتمر معهد تشاتام هاوس سنة 1982م، إلى جانب مؤتمر آخر حول «الإسلام في العملية السياسية» - الذي عقد في سنة 1981م - جزءا من مشروع كبير للبحوث لمعهد تشاتام هاوس حول تأثير الإسلام على النظام الدولي، مولته مؤسسة فورد. ولم يكن المعهد منفردا في تناول موضوع إسلامي في ذلك الوقت؟!»..

تلك هي شهادة خبير، من رجالات الفكر الغربي، نشرتها واحدة من أكثر المجلات الغربية تخصصا ورصانة.. عن موقف الغرب، المعادي للإسلام وأمته وحضارته وعالمه..

فالغرب، الذي توحدت حضارته، بعد انهيار الماركسية وأحزابها وحكوماتها ونظمها، تتزايد مساحات البعد الديني - المسيحي - في تعريفه لذاته.. وهو قد قرر اتخاذ الإسلام وعالمه عدوا، أحله محل «إمبراطورية الشر الشيوعية».. لأنه يرى في الإسلام وثقافته التحدي الوحيد الذي يهدد حضارته التي تأخذ الأمراض المادية بخناقها.. فيسعى لكسر شوكة الإسلام بعلمانيته، كي لا يوقظ المسلمين فتتحرر أوطانهم من الهيمنة الغربية، ويقع

الزلزال الذي يخافه الغرب في موازين القوى والعلاقات الدولية؟!..

* * *

* والشهادة الثانية من شهادات رجال الفكر الغربي - والتي نشرتها المجلة البريطانية الأكاديمية المتخصصة - «شؤون دولية» - هي لعالم الإنثروبولوجيا «إرنست جيلنر» عن «الإسلام والماركسية».. تؤكد هي الأخرى أن قضية الغرب مع الإسلام وأمته وحضارته وعالمه هي قضية الهيمنة والإلحاق.. وأن عداء الغرب للإسلام نابع من استعصاء الإسلام على العلمنة، التي هي شرط التبعية والإلحاق.. فالحضارة الغربية العلمانية، التي هيمنت على العالم بالغزوة الاستعمارية الحديثة، قد اكتشفت أن الإسلام هو الحالة الوحيدة والنموذج الفريد، الذي لا يقف من النموذج الغربي في موقف المقلد الذليل المحاكي.. لأن هذا الإسلام، فضلا عن إحساسه بسمو صورة نموذجه الحضاري الخاص تاريخيا، فإن هذا النموذج الخاص، المستعصي على العلمنة قادر على التجدد، ومالك لإمكانات وشروط التحديث «المحلية» غير الغربية.. أي غير العلمانية.. وهذه الحالة الإسلامية الفريدة، التي تعوق عموم هيمنة النموذج الغربي في أنحاء العالم، هي التي تؤجج نيران عداء الغرب للإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. لقد ظن الغرب أنه - بالتصنيع وبالعلم الحديث - قد تخلص من الإيمان الديني.. وأن العلمانية قد سادت.. ثم اكتشف استعصاء الإسلام على هذا المقصد، الذي هو لب النموذج الحضاري الغربي الحديث!..

تعرض شهادة «إرنست جيلنر» هذه الحقيقة - داعمة شهادة «إدوارد مورتيمر» - فتقول:

إن النظرية التي يعتنقها علماء الاجتماع، والتي تقول إن المجتمع الصناعي والعلمي الحديث يقوض الإيمان الديني - مقولة العلمنة - صالحة على العموم. بالطبع إنها ليست صالحة بنسبة مئة في المئة، وهي تتباين في التفاصيل والفروق الدقيقة من حالة إلى حالة، لكن التأثير السياسي والسيكولوجي للدين قد تناقص عمليا في كل المجتمعات، وبدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة.

وعالم الإسلام استثناء مدهش وتام جدا من هذا[11]!

أعتقد أنه من العدل القول بأنه لم تتم أي علمنة في عالم الإسلام. إن سيطرة الإسلام على المؤمنين به هي سيطرة قوية، وهي بطريقة ما أقوى الآن عما كانت من 100 سنة مضت. إن الإسلام مقاوم للعلمنة نوعا ما، والأمر المدهش هو أن هذا يظل صحيحا في ظل مجموعة كاملة من النظم السياسية، فهو صحيح في ظل نظم راديكالية – (ثورية) – اجتماعيا، تحاول أن تدمج الإسلام في المصطلحات والأفكار الاشتراكية، وهو صحيح أيضا في ظل النظم التقليدية التي تنتمي الصفوة فيها إلى عالم ابن خلدون، والتي تأتي من الشبكة القبلية الحاكمة، وهو صحيح بالنسبة إلى النظم التي تقف بين النوعين..»

ثم يبرز «إرنست جيلنر» سر استعصاء الإسلام على العلمنة، ومقاومته لتأثيراتها.. برغم التصنيع والعلم الحديث.. بل وتزايد هذه المقاومة، حتى إن سيطرة الإيمان الديني الإسلامي على أتباعه قد غدت الآن أقوى مما كانت منذ قرن من الزمان.. فقبل قرن كان تخلف المسلمين أكبر، وكان انبهارهم بالنموذج الغربي أكثر.. أما اليوم، وبعد وضوح سلبيات وانكشاف عورات النموذج الغربي، فإن التقدم الصناعي والعلمي لم يحدث، في عالم الإسلام، التأثيرات العلمانية التي حدثت في العوالم الأخرى.. لا لشيء إلا لأن في النموذج الإسلامي، وفي تقاليده المحلية البواعث والمنطلقات والمعايير التي هي قادرة على إفراز نموذج للتقدم والتحديث إسلامي، أي غير علماني.. فعالم الإسلام يستطيع أن يتقدم ويتجدد، ويصبح حديثا، دون أن يتعلمن ويفقد إيمانه الديني.. أي دون تقليد للنموذج الغربي العلماني.. ومن ثم دون أن يقف موقف الذليل الذي يتطلع، بصغار، إلى «المثال العلماني»؟!..

يبرز «إرنست جيلنر» هذه الحقيقة، التي نلح على العلمانيين من أبناء جلدتنا، كي يفهموها.. حقيقة امتلاك الإسلام «لبديل حضاري متميز».. فيقول – لهم ولنا –؟!:

«إن وجود تقاليد محلية للإسلام.. قد مكن العالم الإسلامي من أن يفلت من المعضلة التي أرقت مجتمعات أخرى «غير متطورة»، أثار الغرب فيها الاضطراب والإذلال: معضلة ما إذا كان ينبغي إضفاء طابع مثالي على الغرب ومحاكاته (خيار باعث على الإذلال)..

لم يكن الإسلام في حاجة إلى هذا الخيار، لأن صورته السامية الخاصة يتوافر لها السمو من الناحية الدولية، وبرغم ذلك فهي محلية من الناحية الفعلية. ونتيجة لذلك، فإن عملية الإصلاح الذاتي استجابة لدواعي الحداثة، يمكن أن تتم باسم الإيمان المحلي. وذلك هو تفسيري الأساسي لمقاومة الإسلام المرموقة لاتجاه العلمنة..»

ونحن نلفت النظر إلى عبارة هذا المفكر الغربي: «إن عملية الإصلاح الذاتي، استجابة لدواعي الحداثة، يمكن أن تتم باسم الإيمان الإسلامي المحلي».

وندعو إلى مقابلة دلالاتها بدلالات عبارة الأستاذ الإمام محمد عبده (1266 – 1323هـ 1849 – 1905م) – التي قالها منذ ما يقرب من مئة عام.. والتي تقول عن الخيار الإسلامي للنهضة والإصلاح:

«إن سبيل الدين، لمريد الإصلاح في المسلمين، لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين يحوجه إلى بناء جديد، ليس عنده من مواده شيء، ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحدا.

وإذا كان الدين كافلا بتهذيب الأخلاق، وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة به ما ليس لهم بغيره، وهو حاضر لديهم، والعناء في إرجاعهم إليه أخف من إحداث ما لا إلمام لهم به، فلم العدول عنه إلى غيره؟!.. لقد جاء الإسلام فهدى ضالا، وألان قاسيا، وهذب خشنا، وعلم جاهلا، ونبه غافلا، وأثار إلى العمل كسلا، وأقدر عليه وَكِلا، وأصلح من الخلق فاسدا، وروج من الفضيلة كاسدا، ثم جمع متفرقا، ورأب متصدعا، وأصلح مختلا، ومحا ظلما، وأقام عدلا، وجدد شرعا، ومكن للأمم التي دخلت فيه نظاما امتازت به عن سواها ممن لم يدخل فيه، فكان الدين بذلك عند أهله: كمالا للشخص، وألفة في البيت، ونظاما للملك، وظهرت به آثار النعمة عليهم في جميع شؤونهم، ولم يفت العلم حظه من عنايته، بل كان قائده

في جميع وجوه سيره..»(12).

فالإسلام هو السبيل لمريد الإصلاح في المسلمين، وهو الكافل لمن أراد: كمالا للشخص، وألفة في البيت، ونظاما للملك.. وليست سبيل الإصلاح في المسلمين هي السبل «العارية عن صبغة الدين» - أي «العلمانية»؟!-

هكذا قال الإمام محمد عبده، منذ نحو مئة عام، للذين انحازوا إلى النموذج الغربي العلماني... واليوم يكتشف المفكر الغربي، عالم الإنثروبولوجيا «إرنست جيلنر» أن الإسلام، لامتلاكه النموذج الإيماني في النهضة والتجديد والتحديث قد استعصى على العلمنة.. وتفرد بهذا الاستعصاء من بين كل الأنساق الحضارية التي ابتليت أهمها بهيمنة الحضارة الغربية.. الأمر الذي أجج نيران عداوة الغرب للإسلام وأمته وحضارته وعالمه!..

* * *

* وإذا نحن شئنا - بعد نماذج «شهادات الفكر» - التمثيل بنماذج من «شهادات السياسة والسياسيين» على عداء الغرب للإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. وسعيه لكسر شوكة الإسلام بالعلمانية، حتى يلحقه، تابعا ومقلدا، للنموذج الحضاري الغربي، لتتأبد التبعية في مختلف الميادين... إذا نحن شئنا نماذج لشهادات رجالات السياسة الغربيين على هذا الأمر.. فإن لدينا «شهادة» تكاد أن تكون «إعلانا للحرب» ضد العالم الإسلامي.. إما أن يقبل النموذج الغربي، وإما أن يكون العدو - بدلا من «إمبراطورية الشر الشيوعية» - التي انهارت - فتتوجه إليه قوى الدمار التي كانت موجهة «للستار الحديدي»، وبذلك يصبح «العالم مكانا في منتهى الخطورة»؟!..

إنها شهادة «جياني ديميكليس» - السياسي الإيطالي البارز - لا بوصفه، فقط، وزير خارجية إيطاليا.. فلقد كان يتولى، عندما قال ما قال، رئاسة المجلس الوزاري الأوروبي-؟!.. فلقد سأله مراسل مجلة «النيوزويك» الأمريكية:

- «ما مبررات بقاء حلف الأطلنطي - الناتو - بعد زوال المواجهة بين الغرب الليبرالي والمعسكر الذي كان اشتراكيا؟»

- فأجاب رئيس المجلس الوزاري الأوروبي: «**صحيح أن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة. إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم**

الغربي والعالم الإسلامي».

- فلما عاد مراسل «النيوزويك» ليسأل: «وكيف يمكن تجنب تلك المواجهة المحتملة؟»

- لم يتردد «جياني ديميكليس» في أن يعلن أن الشرط هو تعميم النموذج الحضاري الغربي وقبول المسلمين له.. فقال: «**ينبغي أن تحل أوروبا مشاكلها، ليصبح النموذج الغربي أكثر جاذبية وقبولا من جانب الآخرين في مختلف أنحاء العالم. وإذا فشلنا في تعميم ذلك النموذج الغربي فإن العالم سيصبح مكانا في منتهى الخطورة؟؟!!..**»[13]

نعم.. إنه بمثابة «إعلان حرب» من الغرب على العالم.. حرب «حضارية».. فإما القبول «بالنموذج الغربي».. وإما أن تتحول المواجهة من قبل حلف الأطلنطي - التي كانت مصوبة «لإمبراطورية الشر الشيوعية» إلى «العالم الإسلامي»، المستعصي على العلمنة، والرافض للنموذج العلماني الغربي سبيلا للنهضة والتحديث!!..

* * *

* وعند هذا الحد من الحديث عن أن القضية ليست موقفنا نحن من الغرب.. وإنما هي الموقف الغربي المعادي لنا.. عند هذا الحد من الحديث.. قد يتساءل البعض: ألا يمكن أن تكون هذه « الشهادات» - مع صدقها.. وتوثيقها - مجرد تعبير عن شريحة محدودة في فكر الغرب وسياسته؟؟.. وألا نكون أمام خطر ووهم التعميم والإطلاق الذي يظلم الغرب كحضارة وأمم وشعوب ومدارس في الفكر والسياسة؟؟..

ونحن نعترف بأن هذا التساؤل مشروع.. ونبادر فنشدد على خطر وخطإ التعميم والإطلاق.. فليس كل مفكري الغرب أعداء للإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. وليس كل ساسة الغرب دعاة حرب حضارية ضد عالم الإسلام...

ولكننا نؤكد أن هذه المواقف المعادية للإسلام وحضارته ليست مجرد «**شريحة هامشية**» في العقل الغربي.. بل إنها التعبير الأمين عن «**القسمة الرئيسة**» في هذا العقل، والترجمة للمخزون الضخم من العداء المستقر في وجدان الإنسان الغربي تجاه عالم الإسلام!..

ونحن، هنا، سندع الحديث جانبا عن «**ممارسات الغرب**» ضد عالمنا الإسلامي، في

السياسة والاقتصاد والعسكرية والمحافل الدولية.. فتلك صفحات من التاريخ، القديم والحديث والمعاصر تحتاج إلى مجلدات طافحة صفحاتها بدماء ودموع المأساة؟!..

ولن نتحدث عن المجلدات التي رصد فيها مشروع بحثي واحد الأخطاء والافتراءات التي ألصقت بالإسلام في الكتب الدراسية ببلد غربي واحد – هو ألمانيا [14] –؟!..

ولن نعرض لما كتبه عالم فذ – غير مسلم – ويعيش في الغرب – وهو الدكتور إدوارد سعيد – عن «الاستشراق» وعن صورة الإسلام وحضارته وأمته وعالمه في الفكر والوجدان والإعلام الغربي [15]..

لن نعرض لشيء من ذلك – فالمقام لا يحتمل –.. وإنما سنقدم شهادة سياسي غربي بارز – هو الرئيس الأمريكي الأسبق «ريتشارد نيكسون» – في أحدث كتبه «الفرصة السانحة» SEIZE THE MOMENT التي تؤكد أن هذا الموقف العدائي من الغرب تجاهنا، والذي تعبر عنه هذه «الشهادات»، إنما يترجم ويفصح عن الفكر والتصورات السائدة لدى الرأي العام الغربي.. فهؤلاء المفكرون والساسة الذين قدمنا شهاداتهم ليسوا نشازا ولا شذوذا.. وكما قدمت مجلة «شؤون دولية» لهذه الشهادات الفكرية فقالت إنها «**صورة الأفكار الرائجة الآن في الغرب حول الإسلام والعالم الإسلامي**».. فإن «نيكسون»، هو الآخر – وهو سياسي ومفكر استراتيجي – يؤكد هذه الحقيقة، عندما يقول:

«إن الكثيرين من الأمريكيين قد أصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء..

وقليل من الأمريكيين يدركون مدى عراقة العالم الإسلامي، إنهم يذكرون فقط أن سيوف محمد وأتباعه هي السبب في انتشار الدين الإسلامي في آسيا وإفريقيا وحتى أوروبا، وينظرون بارتياح إلى الحروب الدينية في المنطقة..

ويتصور كثير من الأمريكيين أن المسلمين هم شعوب غير متحضرة، ودمويون، وغير منطقيين، وأن سبب اهتمامنا بهم هو أن بعض زعمائهم يسيطرون – بالمصادفة – على بعض الأماكن التي تحوي ثلثي النفط الموجود في العالم.

ويتذكرون ثلاث حروب قامت بها الدول العربية في محاولة لمحو إسرائيل.

ويتذكرون أيضا احتجاز الرهائن الأمريكيين في إيران بواسطة آية الله خميني المتطرف.

وكذلك هجوم الإرهابيين على القرية الأولمبية في ميونيخ بواسطة جماعة «أيلول الأسود».

والمذابح التي لا نهاية لها ولا معنى بين الميليشيات المسلمة في لبنان.

وتفجير الطائرات المدنية بواسطة السوريين والليبيين.

وغزو الكويت الذي قام به صدام حسين تشبها بهتلر.

وليس هناك صورة أسوأ من هذه الصورة – حتى بالنسبة إلى الصين الشيوعية – في ذهن وضمير المواطن الأمريكي عن العالم الإسلامي.

ويحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليتيكية متطرفة، وأنه مع التزايد السكاني، والإمكانات المادية المتاحة، سوف يؤلِّف المسلمون مخاطر كبيرة، وسوف يضطر الغرب إلى أن يتحد مع موسكو ليواجه الخطر العدواني للعالم الإسلامي.

ويزيد هذا الرأي: إن الإسلام والغرب متضادان، وإن نظرة الإسلام للعالم تقسمه إلى قسمين: «دار الإسلام» و «دار الحرب»، حيث يجب أن تتغلب الأولى على الثانية، وأن المسلمين يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب، وعلى الغرب أن يتحد مع الاتحاد السوفييتي ليواجه هذا الخطر الداهم بسياسة واحدة[16].. »!

تلك هي الصورة الزائفة والظالمة، التي زيفت بها مؤسسات ووسائل الفكر والثقافة والإعلام وعي الإنسان الغربي.. حتى غدت «أسوأ صورة» في وعي ذلك الإنسان.. بل أسوأ من صورة «إمبراطورية الشر الشيوعية» في ذهن ذلك الإنسان.. حتى غدا ذلك الإنسان «ينظر إلى كل – (نعم.. كل) – المسلمين كأعداء» – كما يقول

نيكسون-؟!..

ومن ثم.. فنحن أمام «رصيد ومخزون من العداء»، يستند إليه وينطلق منه ويستجيب له المفكرون والساسة الذين يخططون وينفذون لكسر شوكة الإسلام، ومناصبة أمته وعالمه العداء!.. ولسنا بإزاء موقف هامشي لا سند له في الغرب ولا رصيد..

إنها - بتعبير مجلة «شؤون دولية» -: «**الأفكار الرائجة في الغرب حول الإسلام والعالم الإسلامي**».. وليست الشذوذ، ولا الاستثناء.. فضلا عن أن تكون وهما نخترعه نحن، لأننا من هواة شن الحرب على الغرب وحضارته.. كما يدعي نفر من إخواننا العلمانيين؟!..

ولو أن هذه الصورة - التي ليس هناك صورة أسوأ منها - في ذهن وضمير المواطن الأمريكي - الذي قلد رعاة البقر من أبنائه سيوف سلاطين المماليك - في النظام العالمي الراهن؟!.. لو أن هذه الصورة عن الإسلام وأمته كانت واقعية لالتمسنا للغرب الأعذار في عدائه لنا، وفي حربه علينا.. ولكن حتى «نيكسون» - الذي أورد ملامح هذه الصورة- دون أن يوافق عليها - لم يفتح الله عليه بتفنيدها.. فلم يقل للرأي العام في الغرب:

- إن سيوف نبي الإسلام وأتباعه لم تحارب شعبا من شعوب البلاد التي فتحها المسلمون.. وإنما حاربت الغزاة البيزنطيين الذين كانوا يحتلون الشرق منذ غزوات الإسكندر المقدوني (356 - 324 ق.م)؟!.. وذلك فضلا عن أن أغلب البلاد والشعوب التي اعتنقت الإسلام قد عرفته عن طريق التجار والعلماء وليس عن طريق الفتوحات والسيوف!.

- وإن الدمار المادي الذي صنعته الحروب العالمية الغربية.. والدمار المعنوي الذي صنعه الانحلال الغربي.. جدير بأن يطرح السؤال: من هم الدمويون.. غير المنطقيين.. وغير المتحضرين؟؟!..

- وفي الحروب مع إسرائيل.. من يمحو من؟!.. الصهاينة؟.. أم الفلسطينيون؟!..

- واحتجاز الرهائن الأمريكيين في إيران - ونحن لسنا من مؤيديه - كرد فعل - هل يوازي احتجاز الهيمنة الأمريكية لمقدرات كل إيران قبل الثورة وبعدها؟!..

- وهل من الإنصاف الوقوف عند هجوم جماعة «أيلول الأسود» على القرية الأولمبية..

دون التساؤل عمن الذي جعل «أيلول» «أسوداً»؟!.. بل وجعل السنين والعقود – بالنسبة إلى أمتنا – حالكة السواد؟؟!..

– ومن الصانع الحقيقي للنزاعات الطائفية، المحركة لصراعات الميليشيات؟!..

– ومن «مختطف الأوطان» الذي يدفع ضحاياه إلى الصراخ «بخطف الطائرات»؟!..

– ومن الذي دفع صدام حسين لغزو إيران؟.. ثم استدرجه إلى «مصيدة الكويت»؟!..

لم يفتح الله على نيسكون بتفنيد الصورة الزائفة، التي صنعها لنا الغرب، والتي جعلت صورة كل المسلمين أسوأ الصور في ذهن وضمير الإنسان الغربي... والتي أتاحت وتتيح لساسة الغرب أن تزداد جماهيريتهم كلما أهانوا الإسلام وأذلوا المسلمين؟!..

* * *

* ومرة أخرى.. وعند هذا الحد من هذا الحديث.. قد يتساءل البعض:

– وهل كل ساسة الغرب يريدون شن الحرب على الإسلام والمسلمين؟!.. وأليس فيهم معتدل.. أو رشيد؟!..

وهنا، أيضا، نعود فنذكر برفضنا للإطلاق والتعميم في الأحكام... لكننا ننبه على أن التيار الأغلب والأعم في الفكر وفي السياسة الغربية إنما يجمعه جامع السعي لفرض النموذج الحضاري الغربي – العلماني – على الحضارة والتحديث في عالم الإسلام.. وأن الخلاف بين الغربيين لا يعدو الاختلاف حول أسلوب تحقيق هذه الهيمنة والتبعية والاحتواء؟!.. وحتى «ريتشارد نيكسون» – الذي لا يرضى عن هذه الصورة للمسلمين ودينهم في الوعي الأمريكي – والذي يقول: «إن الإسلام ليس مجرد دين، بل هو أساس لحضارة كبرى.. وبينما كانت أوروبا ترتع في غياهب العصور الوسطى كانت الحضارة الإسلامية في أوج ازدهارها. ولقد ساهم المسلمون كثيرا في تقدم العلم والطب والفلسفة..»[17] والذي يتحدث عن حاضر العالم الإسلامي وتطلعاته فيقول: «إن العالم الإسلامي هو حضارة مهمة تبحث عن شخصيتها التاريخية، لقد تمكن هذا العالم من تحرير نفسه من الاستعمار في الخمسينيات والستينيات. وبعد ذلك اندفع، وهو مغمض العينين – (؟؟!) – في اتجاه عدم الانحياز، واتحاد العرب – (؟؟!) – وسياسة رد الفعل. وسوف يعاود البحث في التسعينيات، وما بعدها، عن مكانه اللائق به بين دول العالم، وعلى

الولايات المتحدة أن تساعده في ذلك بطريقة بناءة.. فترسم سياسة طويلة المدى تؤدي إلى توجيه العالم الإسلامي الوجهة الصحيحة التي تتفق مع تاريخه وحضارته السابقة.[18]»، حتى «نيكسون» – الذي يتخذ هذا الموقف «المعتدل».. والذي يدعو إلى سياسة أمريكية «تؤدي إلى توجيه العالم الإسلامي الوجهة الصحيحة التي تتفق مع تاريخه وحضارته السابقة..» لأن هذا العالم «يبحث عن مكانه اللائق به بين دول العالم».. نراه – «نيكسون» – لا يتصور لعالم الإسلام مكانة إلا مكانة «تركيا.. العلمانية.. التي تسعى إلى ربط المسلمين بالعالم المتحضر – (الغرب) – من الناحية السياسية والاقتصادية[19]»؟!.. فكأنما الحد الأدنى أو الأقصى «للاعتدال الغربي» هو العلمانية والإلحاق؟!.. وكأنما التمايز والاختلاف هما فقط في سبل وآليات العلمنة والإلحاق؟!..

إن «نيكسون» يصنف تيارات الفكر والسياسة ونظم الحكم في العالم الإسلامي إلى قوى:

ا – التقدم: التي تأخذ بالعلمانية، والانحياز للغرب، ونموذجه الحضاري.. ومثالها – بتعبيره –: «نموذج تركيا في انحيازها نحو الغرب والتحضر.. وسعيها إلى ربط المسلمين بالعالم المتحضر – (الغرب) – من الناحية السياسية والاقتصادية»

ب – والرجعية: «الديكتاتورية، صاحبة الأيديولوجية القومية المتعصبة».. ونموذجها – عنده – عراق البعث وصدام حسين..

جـ – والأصولية الإسلامية: التي يراها – بذكائه – حركة ثورية – وليست محافظة – ولذلك فهو يعاديها عداء شديدا؟!.. كما يراها حركة «مستقبلية» «تنظر إلى الماضي لتتخذ منه هداية للمستقبل»؟!.. وعداؤه لها نابع من: رفضها للغرب، وحقدها الشديد عليه.. ومن سعيها لبعث الحضارة الإسلامية.. وتطبيق الشريعة الإسلامية.. والمناداة بأن الإسلام دين ودولة؟!.. وبعبارته فإن الأصوليين الإسلاميين هم «الذين يحركهم حقدهم الشديد ضد الغرب، وهم مصممون على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة عن طريق بعث الماضي، ويهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وينادون بأن الإسلام دين ودولة. وعلى

الرغم من أنهم ينظرون إلى الماضي فإنهم يتخذون منه هداية للمستقبل، فهم ليسوا محافظين، ولكنهم ثوار..»!

يصنف «نيكسون» تيارات الفكر والسياسة ونظم الحكم في عالم الإسلام إلى هذه التيارات الثلاث.. ثم يدعو إلى تأييد العلمانيين - الذين يسميهم التقدميين - الذين «يسعون إلى ربط المسلمين بالعالم المتحضر - (أي الغرب) - من الناحية السياسية والاقتصادية».. تأييدهم ومساعدتهم فهم - كما يقول - «محتاجون إلى أن يعطوا أنصارهم بديلا لأيديولوجية الأصوليين المتطرفين، وانغلاق الرجعيين..».. أي أيديولوجية بديلة عن بعث الحضارة الإسلامية.. واتخاذها هداية للمستقبل.. وتطبيق الشريعة الإسلامية.. وتطبيق الإسلام باعتباره دينا ودولة - فهذه - في نظر «نيكسون» - أيديولوجية الأصوليين المتطرفين.. وبديلا، كذلك، للأيديولوجية القومية - فتلك - بنظره - أيديولوجية الديكتاتوريات الرجعية!.. و«نيكسون» يرى أن معاونة أمريكا وأوروبا - الغرب - للعلمانيين- ضد الإسلاميين والقوميين - «فيه مصلحتهم ومصلحتنا».

وبعد أن يتساءل: أي هذه النماذج سيختار «العالم الإسلامي، المتقلب، وغير المستقر!»؟؟. يقول: «**إن الإجابة عن هذه الأسئلة ستكون لها ردود فعل خطيرة في العالم - (؟!)- وسوف تلعب السياساتان الأمريكية والغربية مع المسلمين دورا رئيساً في تحديد الخيار الذي تختاره الشعوب المسلمة..**[20]»؟؟!

وهو، بذلك، يذكرنا «بإنذار» «جياني ديميكليس»؟!.. فعلى أمريكا والغرب أن يلعبا في «تحديد الخيار الذي تختاره الشعوب المسلمة» - أي هكذا والله!!.. هم الذين يحددون لنا «الخيار»!.. ومع ذلك ينسبون إلينا هذا «الاختيار»؟!.. حتى لو حدث أن «اخترنا» غيره..

- ففي نظر «جياني ديميكليس»: «سيصبح العالم مكانا في منتهى الخطورة».. وستوجه قوى حلف الأطلنطي إلى «العالم الإسلامي»!!..

- وفي نظر «ريتشارد نيكسون»: «ستكون لهذا الاختيار ردود فعل خطيرة في العالم..»؟!..

هذا هو موقف الغرب - الفكري.. والسياسي.. بل والعسكري - من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. وهو يتمحور حول: الاستقلال - بكل أبعاده وميادينه - بواسطة

الإسلام؟؟.. أم التبعية - بكل أبعادها وميادينها - بواسطة العلمانية الغربية؟؟!..

وعلى الذين لاتزال لديهم شبهة تعجب أو استغراب من أن تكون هذه هي حقيقة الموقف الغربي - في مجمله.. وتياراته الرئيسة - من الإسلام والنهضة الإسلامية.. أن يتأملوا- مرة ومرات - كلمات مجلة «شؤون دولية» عن «**الفكر الغربي المعاصر، الذي يميل إلى جعل الحضارة المسيحية اليهودية/ الغربية هي الحضارة المهيمنة، وجعل أفكارها مطلقة، وليست مجرد ثقافة بين ثقافات عديدة يعج بها العالم**»!..

وأن يتأملوا، كذلك، كلمات الرئيس الأمريكي الأسبق «ريتشارد نيكسون»، التي تقول: «**إن أكثر ما يهمنا في الشرق الأوسط هو النفط وإسرائيل.. وإن التزامنا نحو إسرائيل عميق جدا، فنحن لسنا مجرد حلفاء، ولكننا مرتبطون ببعضنا بأكثر مما يعنيه الورق، نحن مرتبطون معهم ارتباطا أخلاقيا.. ولن يستطيع أي رئيس أمريكي أو كونجرس أن يسمح بتدمير إسرائيل**[21]»؟!

فالمشكلة هي مشكلة الغرب معنا.. والعداء هو عداؤه لنا.. لأنه يرى حضارته الحضارة «الإنسانية.. الوحيدة» فيسلك كل السبل لفرض نموذجها على العالم، «لا كرسالة حضارية» مجردة، وإنما كسبيل وآلية من سبل وآليات الإلحاق السياسي والاقتصادي والعسكري.. إنه يريد - في الحضارة - كما في السياسة والاقتصاد والأمن - تابعين - بل وعملاء- لا أندادا وشركاء!.. أما النظرة الإسلامية، فإنها تريد العالم «منتدى حضارات».. تتفاعل، دونما تبعية وإلحاق.. ودونما عداوة وانغلاق.. وذلك لأن ديننا يعلمنا أن ما عدا الذات الإلهية الواحدة قائم على التعددية والتوازن والارتفاق..

- ففي الشرائع تعددية (**... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ***)[22].

- وفي الألسنة والألوان - أي في القوميات والأجناس - تعددية (**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ***) [23].

– وفي الشعوب والقبائل – حتى داخل الدين الواحد والحضارة الواحدة – تعددية (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ*)[24]. فالأصل، في النظرة الإسلامية، هو «التعددية».. والاعتراف «بالآخرين».. وما يريده المسلمون هو قبولهم كأصحاب هوية حضارية متميزة.. لا يريدون أن يكونوا «بديلا للآخرين» – فبديلهم الإسلامي هو لنهضتهم الإسلامية –.. ولا يريدون، أيضا، لنموذج الآخرين الحضاري أن يكون بديلا لنموذجهم الإسلامي..

تلك هي القضية.. وهذا هو موقف الغرب: الفكري.. والسياسي من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه..

والآن.. ماذا عن موقف «الغرب – الدين» – النصرانية الغربية – من الإسلام وأمة الإسلام؟؟..

الهوامش

(1) والدراستان منشورتان - كملف - مع مقدمة للمجلة - في المجلد 67 عدد 1- يناير سنة 1991م.

(2) كونراد اديناور Konrad Adenauer (1876-1961م) سياسي ورجل دولة ألماني. اسس الحزب المسيحي الديمقراطي سنة 1945م. تولى مستشارية ألمانيا الغربية منذ سنة 1949 م وحتى وفاته.

(3) السيد دي جاسبري Alcide De Gasperi (1881-1954م) سياسي ورجل دولة إيطالي، أعاد تنظيم الحزب الديمقراطي المسيحي الإيطالي، رئس الوزارة الإيطالية سنة 1953م. وأدخل إيطاليا في حلف شمال الأطلسي.

(4) روبير شومان Schumann, R. (1886-1963م) سياسي ورجل دولة فرنسي، ومن كبار مهندسي الوحدة الأوروبية عبر سلسلة من البرامج والخطوات التكاملية.. تولى وزارة الخارجية.. ورئس الوزارة.. وترأس البرلمان الأوروبي. وهو صاحب المشروع السياسي الاقتصادي - الذي اشتهر باسمه - والذي لعب دورا محوريا في الوحدة الأوروبية.

(5) يشير الكاتب - كشاهد على هذه الحقيقة - إلى مرجع: (جورباتشوف.. الجلاسنوست والإنجيل) من تاليف: مايكل بوردو - طبعة لندن - هورد آندستوتون - 1990م..

(6) نشرت هذه الدراسة في يناير سنة 1991م.. وبعد ذلك - وفي نفس العام - انهار وتفكك الاتحاد السوفييتي، وتحول إلى جمهوريات مستقلة.

(7) كاتب بريطاني الجنسية، هندي المولد.. كتب رواية عنوانها (آيات شيطانية) أهان فيها رسول الإسلام، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم.. وصحابته.. وجدف في عدد من عقائد الإسلام ومقدساته.. ولقد مثل الانتصار الغربي له موقفا معاديا للإسلام والمسلمين.

(8) هو عام التغيرات التي طوت صفحة الماركسية ونظمها، وجعلت الغرب يعرف نفسه باعتباره مسيحيا، وباعتبار الآخر.. العدو الجديد.. هو الإسلام وأمته وعالمه.

(9) ولنا على معنى التسامح هنا تحفظات.. فحرية انجلترا تتسامح مع إهانة إله المسلمين ورسولهم.. ولا تتسامح مع العيب في الذات الملكية، أو عقائد المسيحية!.. وحرية فرنسا تتسامح مع حق العري والشذوذ الجنسي، ولا تتسامح مع حق المرأة في ستر

عورتها!!..

(10) لقد نشرت هذه الدراسة قبل إجهاض الديمقراطية في الجزائر - يناير سنة 1992م- عندما أتت بالإسلاميين.. وقبل تجريد الإسلاميين . . . من أبسط حقوق الإنسان.. ولقد أيد الغرب - «الديمقراطي».. المناصر «لحقوق الإنسان»- أعداء الديمقراطية وحقوق الإنسان، حتى لا تؤثر اليقظة الإسلامية في علاقة الغرب بتلك البلدان!.

(11) لاحظ أوصاف: «مدهش» و«تام» و«جدا»؟!

(12) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ3 - ص226،231 - دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة - طبعة بيروت - سنة 1972م.

(13) (الأهرام) عدد 17 يوليو سنة 1990م. من مقال الأستاذ فهمي هويدي «من يعادي من؟» وهو ينقل عن عدد «النيوزويك» الصادر بتاريخ، يوليو سنة 1990م.

(14) وهي مجلدات أنجزها مشروع بحثي نهضت به «جمعية الدعوة الإسلامية العالمية».

(15) انظر له كتاب (الاستشراق: المعرفة. السلطة. الإنشاء) ترجمة: كمال أبو ديب. طبعة بيروت - سنة 1981 م. وله كذلك كتاب (تغطية الإسلام).

(16) ريتشارد نيكسون (الفرصة السانحة) ص 139. 135،138 - ترجمة: أحمد صدقي مراد - طبعة القاهرة - سنة 1992م.

(17) المصدر السابق. ص 138،136.

(18) المصدر السابق. ص 138،139.

(19) المصدر السابق. ص140.

(20) المصدر السابق. ص 28، 140، 141.

(21) المصدر السابق. ص 152، 153.

(22) المائدة: 48.

(23) الروم: 22.

(24) الحجرات: 13.

الفصل الأول

مؤتمر كولورادو

التخطيط.. والتنظيم.. والأهداف المعلنة

«يجتمع المؤتمرون في كثير من المؤتمرات، فيتبادلون الرأي، ويعلنون بعض القرارات، ثم ينفضون، فتصبح قراراتهم حبرا على ورق!..

ولكن بعض المؤتمرات تغير مجرى التاريخ!..

ولا ريب أن هذا المؤتمر قد أصبح واحدا من هذه المؤتمرات القادرة على تغيير مجرى التاريخ!..

فهذه هي المرة الأولى، خلال جيلين، يعقد فيها مؤتمر يضم هذا العدد من قادة النصارى، ليناقشوا عملية تنصير المسلمين!..»

د. ستانلي مونيهام

رئيس مؤتمر كولورادو – بأمريكا –

لتنصير المسلمين

البروتوكول:

– وجمعه: بروتوكولات – هو: «ضرب من الاتفاقات الدولية، وقد يقتصر مدلوله على ثبات ما حدث في مؤتمر دولي، وقد يكون اتفاقا دوليا بالمعنى الدقيق، ويغلب أن يكون ثيقة مكملة لمعاهدة تثبت موافقة إرادة أطرافها على مسائل تابعة للمعاهدة»..

هذا هو التعريف المعجمي للبروتوكولات [1].

لكن.. ومنذ أن عرفت حياتنا الفكرية كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون[2] PROTO-COLS OF THE LEARNED ELDERS OF ZION.. فإن البروتوكولات – في مجال الفكر لديني – وخاصة في العلاقات التنافسية بين أمم الديانات، قد غدت تنصرف، بالدرجة لأولى، إلى: **الاتفاقات والمخططات غير الأخلاقية، في ميادين تستوجب، بطبيعتها، أرفع مستويات الأخلاق؟!..**

وإذا كان البعض يشكك في سند ورواية ونسبة «نصوص» هذه البروتوكولات والاتفاقات والمخططات إلى رؤوس صهاينة اليهود.. فلا أعتقد أن التشكيك وارد في نسبة «مضامينها»؟!.. فالشواهد العملية والتطبيقات الواقعية، عبر التاريخ – القديم منه والوسيط والحديث والمعاصر – تقطع بممارسات صهاينة اليهود لإفساد كل مناحي العمران لأهل الملل والديانات الأخرى.. إن في الخلق أو السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو التربية أو الآداب أو الفنون.. إلخ.. إلخ..

لقد كانوا، ولايزالون يستحلون ذلك في علاقاتهم ومعاملاتهم وتدبيراتهم مع غير اليهود.. وهذا هو «مضمون» البروتوكولات.. فحتى لو سلمنا بالشكوك الواردة في «النص» و«المتن» و «الرواية»، فإن الواقع التاريخي والمعاصر – وهو واقع حي – شاهد صدق على صحة «مضمون» هذه البروتوكولات؟!..

بل إننا نستطيع أن نستشهد على هذه الحقيقة بالقرآن الكريم، الذي قطع بأن هذا السلوك هو بعض من خلق نفر من اليهود، الذين يستحلون الحرام، ويسلكون السبل اللاأخلاقية في التعامل مع غير اليهود..

وصدق الله العظيم إذ يقول: (وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [3].

هذا عن بروتوكولات حكماء صهيون..

أما المداولات والاتفاقات والمخططات الخاصة بجبهة التنصير في الحرب الغربية المعلنة على الإسلام وأمته وحضارته وعالمه – وهي التي نعقد لكشفها هذا الكتاب – فإنها بروتوكولات ثابتة «المتن».. و«الرواية».. و«المضمون».. فنحن أمام مؤتمر عقده المنصرون بمدينة «كلن إير»، في ولاية «كولورادو»، بأمريكا الشمالية – الولايات المتحدة الأمريكية – في 15 من مايو سنة 1978م.. وخططوا وقرروا فيه شن حرب تنصيرية، لتنصير كل المسلمين، في كل أرجاء الدنيا، واقتلاع الإسلام من جذوره، وطي صفحته من هذا الوجود؟!..

وأصحاب هذه البروتوكولات هم الذين نشروا أغلب أبحاث ومداولات هذا المؤتمر، في كتاب (The Gospel and Islam) [4].. ولقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية، بعنوان (التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي).. وبلغت صفحات ترجمته قرابة الألف صفحة!..

وإذا كان من حق كل متدين بدين من الأديان أن يعرض دينه على الآخرين، ويدعوهم إلى التدين به.. وأن يزين لهم بضاعته.. بل وينتقد الديانات الأخرى.. فإن من حق كل متدين بدين من الأديان أن يدافع عن ديانته، وأن يحصن عقائده ضد هجمات الآخرين، كاشفا الثغرات ونقاط الضعف في عقائد المهاجمين.. وتلك واحدة من مهام هذه الدراسة التي نقدمها، كشفا لزيف بروتوكولات ومقاصد ووسائل قساوسة التنصير..

لكن الأمر الذي ستركز هذه الدراسة على كشفه وتعريته.. هو السبل اللاأخلاقية التي اعتمدها هؤلاء المنصرون، في ميدان هو بطبيعته مستلزم لأرقى وأدق معايير الأخلاق؟!..

إن البديهة والمنطق، فضلا عن وحي الله ورسالات الرسل، جميعها تقتضي أن يكون التبشير بالدين، والدعوة إلى التدين، منطلقة وقاصدة

الأخذ بيد الإنسان إلى طريق النجاة والسعادة في الدار الآخرة، بما تستلزمه هذه النجاة وتلك السعادة من أخلاقيات دينية تحكم سعي الإنسان في حياته الدنيا أيضا.. فالدعوة إلى الدين، والتبشير بعقائده وشرائعه، لابد من أن تنبع من حب الخير لمن ندعوه، والحرص على أن يشاركنا سعادة النجاة الدينية، التي نعتقد أننا قد امتلكناها بتديننا بديننا.. ومن ثم فإن سبلنا ووسائلنا وآليات دعوتنا هذه لابد من أن تحكمها المعايير الأخلاقية للدين والتدين.. أما إذا نحن سلكنا سبيل الميكيافيلية - الغاية تبرر الوسيلة!- فسلكنا السبل اللاأخلاقية في الدعوة إلى الدين - الذي هو في جوهره مكارم أخلاق - فإن مثل الذين يسلكون هذا السبيل سيكون كمثل «المومس» التي تزني لتتصدق؟!.. وياليتها لم تزن ولم تتصدق!..

وللكشف عن هذه النقيصة في مخططات وبروتوكولات قساوسة التنصير - كما وردت في أبحاثهم ومداولاتهم ومقرراتهم - التي أعلنوها - ناهيك من التي اعترفوا بأنهم حجبوها فقالوا: «.. لكننا لن ننشر هذه التقارير كاملة، نظرا لاحتوائها على معلومات حساسة للغاية..(5)»؟!-.. للكشف عن لاأخلاقية هذه المخططات والبروتوكولات والممارسات تأتي فصول هذا الكتاب..

والأمر الذي لاشك فيه هو ارتباط الغايتين.. فتحصين الذات الإسلامية باكتشاف صدقها ومنطقيتها وأخلاقيتها إنما يتجلى أكثر ما يتجلى عندما تعرض مقارنة بكذب وتهافت وتناقض ولاأخلاقية أصحاب هذه المخططات والبروتوكولات من قساوسة التنصير!..

* * *

لقد حقق الإسلام أعظم انتصاراته، عندما دخل النصارى الشرقيون فيه أفواجا - بشهادة المنصفين من علماء الغرب - بسبب الإفلاس الذاتي للعقائد المسيحية، بعد أن شوهتها الثقافة الهلينية، فأخرجتها عن بساطة التوحيد، وجعلتها عاجزة عن تلبية الاحتياجات الإيمانية والروحية للإنسان.. وكما يقول «كيتاني» Caetani «فإن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء

من السفسطة المذهبية التي جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحي. أما الشرق الذي عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة، فقد كانت الثقافة الهلينية وبالا عليه من الوجهة الدينية، لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة، مليئة بالشكوك والشبهات، فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها، فلما أملت آخر الأمر أنباء الوحي الجديد فجأة من الصحراء، لم تعد تلك المسيحية الشرقية التي اختلطت بالغش والزيف وتمزقت بفعل الانقسامات الداخلية، وتزعزعت قواعدها الأساسية، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذا الريب، لم تعد المسيحية بعد ذلك قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد الذي بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة، وقدم مزايا جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التي لا تقبل الجدل، وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى في أحضان نبي العرب..».

لقد أقبل الناس على الإسلام – الذي رأوه – كما يقول «مونتيه» –: «عقلاني الجوهر، بأوسع معاني هذه الكلمة..» أقبلوا عليه «دون أية محاولة للإرغام والاضطهاد..» – كما يقول «أرنولد»، في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) (6)..

فالمد الديني الإسلامي، التاريخي، كانت له أسبابه المنطقية والواقعية.. إفلاس للمسيحية التي أخرجتها الثقافة الهلينية عن حقيقتها الإلهية، وعقدتها حتى أعجزتها عن تلبية الاحتياجات الإيمانية والروحية للإنسان.. في ذات الوقت الذي شهد حيوية الإسلام وبساطته وعقلانيته.. فكان أن دخل نصارى الشرق في الإسلام أفواجا، دونما اضطهاد أو إكراه..

والذين يتتبعون تاريخ التنصير وجهود المنصرين، وخاصة في المحيط الإسلامي، يشعرون بالازدراء لهؤلاء الذين حلموا بالمستحيل، عندما توهموا إمكانية إخراج المسلمين من الإسلام إلى النصرانية.. فمع قدم محاولات التنصير ونشاط المنصرين إلا أن استعصاء الإسلام والمسلمين على هذه المحاولات قد ظل سببا في إحساس المسلمين بانعدام جدية، ومن ثم خطر، هذه المحاولات!..

لكن الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لعالم الإسلام، وإن لم تصحبها تغيرات في الإيمان النصراني ونهضة في التدين بالنصرانية، وصحوة نصرانية بين النصارى، قد صحبها مد في نشاط التنصير في عالم الإسلام؟!..

وهذا هو اللامنطق واللاأخلاق في المد التنصيري الذي جاءنا من الغرب، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.. والذي تتصاعد موجاته وتتزايد مخاطره منذ منتصف هذا القرن العشرين!!..

لقد جاء التنصير والمنصرون في ركاب الغزاة.. وليس تعبيرا عن صحوة إيمانية نصرانية في المجتمعات الغربية.. بل لقد كان الأمر على العكس من ذلك تماما.. فمع تصاعد إفلاس النصرانية وكنائسها في الغرب، بعد أن عزلتها العلمانية عن كل معارف وتطبيقات العمران الحضاري، بل وحتى عن معايير الأخلاق الإنسانية، يتزايد مد النشاط التنصيري، وبين المسلمين على وجه التحديد؟!..

بل إن اللامنطق واللاأخلاق في هذه المفارقة يتزايدان عندما نعلم أن تصاعد النشاط التنصيري قد حدث ويحدث لإجهاض اليقظة الإيمانية والصحوة الدينية بين المسلمين؟!.. فبدلا من أن تركز الكنائس الغربية جهودها لإنقاذ الدين والتدين في بلادها، وتخليص إنسانها من المادية والشك واللاأدرية والإلحاد والانحلال الذي يفتك بدنياه وبحضارته، فضلا عن بوار أخرته.. وبدلا من تركيزها النشاط في بؤر المادية والوثنية.. نراها تصعد من نشاطها لتنصير المسلمين، الذين يشهدون يقظة إسلامية تزيد من التزامهم بحدود الدين وأخلاقيات الإيمان!!..

ونحن لا نميل إلى اتهام هذه الكنائس الغربية بـ «العبثية» في موقفها هذا الذي يمثل مفارقة من المفارقات الغريبة.. وإنما نرى في حمى التنصير التي تملكتها، وخاصة في العقود الأخيرة – والتي جسدها مؤتمر كولورادو – جزءا من ذلك التصاعد في هيمنة الحضارة الغربية العلمانية، على حضارات الأمم الأخرى، وعلى الحضارة الإسلامية بالذات.. فمفهوم ومنطقي، من وجهة نظر الهيمنة الغربية، أن تتصاعد الضغوط الغربية لتحول بين اليقظة الإسلامية وبين النهضة الحضارية التي تسد ثغرات التدخل الغربي

والاختراق الأجنبي.. ومفهوم كذلك، ومنطقي أن تحرك قوى ودوائر ومؤسسات هذه الهيمنة الغربية، كنائس الغرب ومؤسسات التنصير فيه لتعلن هي الأخرى حربها الدينية، التي تصاعد بها مؤتمر «كولورادو» من «التنصير في صفوف المسلمين» إلى «تنصير كل المسلمين، وطي صفحة الإسلام، واقتلاعه من الجذور»؟!..

فما نحن بصدده.. وبصدد كشف مخططه، هو قطاع.. وثغرة من ثغرات الحرب التي أعلنها الغرب، كحضارة، على الإسلام وأمته وحضارته وعالمه... دونما ذرة من أخلاقيات الدين، أي دين، ودونما منطق لهذا المد التنصيري الغربي المصاحب لإفلاس النصرانية، إلى الحد المزري، في سائر المجتمعات الغربية؟!..

إنني - بسبب إسلامي - أسعد عندما أرى النصارى في بلادي متدينين حقا بشرائعهم وأخلاقيات دينهم.. لأنني، بتدينهم، سأتعامل مع مواطنين صالحين!.. أما أن يستفزني تدينهم، فأسعى إلى إفساده، مع تركي لإصلاح التدين بين أهل ديني، وإهمالي لنشر ديني بين الماديين والملحدين والوثنيين واللاأدرية.. فهذا هو الموقف الخالي من «منطق الدين والتدين».. وهو حال الكنائس الغربية التي تصعد من نشاط التنصير بين المسلمين.. لا خدمة للدين - مطلق الدين - والتدين - مطلق التدين -.. وإنما خدمة لهيمنة الحضارة الغربية العلمانية، التي تصعد من معدلات هيمنتها على عالم الإسلام، مخافة أن تحرره من هيمنتها الصحوة الإسلامية المعاصرة؟!..

إن تصاعد التدخل الغربي في شؤوننا - وخاصة في العصر الحديث - قد تزامن دائما مع مشاريع النهضة والإحياء والتجديد، التي خشي الغرب أن تسد أمام تدخله الثغرات والفجوات.. صنع ذلك في مواجهة النجاحات التجديدية التي حققها مشروع محمد علي باشا الكبير (1184-1265 هـ 1770-1848م) لتجديد شباب الدولة العثمانية.. وصنع ذلك مع الثورة التي قادها كل من أحمد عرابي باشا (1257-1329هـ 1841- 1911م) بمصر (1298هـ 1881م) ومحمد أحمد

المهدي (1260 –1302 هـ 1844 – 1885 م) في السودان.. عندما رأى فيها حركات يقظة ذاتية وتجديد داخلي توشك أن تسد الثغرات التي تتيح للغرب التدخل والاختراق والهيمنة على مقدرات البلاد!..

واليوم.. فإن سباق الغرب محموم مع الصحوة الإسلامية المعاصرة، يسعى بكل السبل والآليات – ومنها التنصير – كي يقطع عليها الطريق!..

وإذا شئنا، من بروتوكولات قساوسة التنصير، التي تضمنتها أبحاث مؤتمر «كولورادو»، شواهد على أن تصاعد حمى التنصير هذه لا علاقة لها باحتياجات روحية قدروها على الجانب الإسلامي، ولا بفقر في الإيمان رأوه عند المسلمين.. وإنما هي مواجهة للنهضة الإيمانية الإسلامية والصحوة الإسلامية المعاصرة.. فإن في «الخطاب الرئيس» للمؤتمر الذي ألقاه «و. ستانلي مونيهام».. وفي البحث الذي ألقاه «محرر» كتاب أبحاث المؤتمر، و«الكادر» الرئيس من «كوادره» «دون ماكري» بعنوان «حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة».. في هذين البحثين الشواهد الكثيرة على صدق هذا التحليل الذي نقدمه لدوافع تصاعد موجات التنصير للمسلمين..

يحدد «و. ستانلي مونيهام» – في الخطاب الرئيس للمؤتمر – مكانة هذا المؤتمر في سلسلة مؤتمرات التنصير الغربي للمسلمين.. ويرى تميزه، كمؤتمر «تاريخي».. بل لتغيير مجرى التاريخ!.. فيقول:

«إنني أشعر بأن هذا المؤتمر سيكون تاريخيا، فهو واحد من سلسلة لقاءات يجري عقدها للتشاور في أماكن متعددة من أرجاء العالم، كما أنها المرة الأولى خلال جيلين يعقد فيها مؤتمر يضم هذا العدد من قادة النصارى جاؤوا ليناقشوا معالجة حالة عملية تنصير المسلمين.

ففي بداية هذا القرن قام صموئيل زويمر [7] عام 1906م بتنظيم مؤتمر في القاهرة، وصف بأنه «يمثل بداية عهد جديد لإرساليات التنصير بين المسلمين»، وقد ضم ذلك المؤتمر 60 ممثلا لثلاثين كنيسة وإرسالية للتنصير، وكان هذا المؤتمر هو الذي هيأ الجوَّ لعقد مؤتمر أدنبرة للإرساليات العالمية عام 1910م، ومؤتمر لكناو، في الهند، عام 1911م، واللذين ركزا على حاجات العالم الإسلامي.

ولكن هذا تم قبل سبعين سنة «حضارية»، حدثت خلالها تغيرات واسعة في شتى المجالات، ولهذا يدعو الوقت الحاضر إلى تفهم جديد وطرق جديدة.

أنا لا أومن بأن الوقت مناسب تماما تاريخيا فحسب، بل إن من الضرورة الملحة أن نلتقي ونناقش ونصلي من أجل الواجب الملقى على عاتق الكنيسة النصرانية تجاه 720 مليونا[8] من البشر يؤمنون بالإسلام، وهذه الضرورة الملحة هي الإحساس الذي أشعر به تجاه هذا المؤتمر. فلا يمكننا بعد اليوم أن نعتمد الأساليب القديمة في مواجهة الإسلام الذي يتغير بسرعة وبصورة جوهرية، فالحصاد الذي حان قطافه لا يسمح لنا بتأخير جني الثمار بانتظار الوقت الذي يلائمنا [9]..».

ثم يمضي «و. ستانلي مونيهام»، فيتحدث عن طرف من هذه المتغيرات «السريعة والجوهرية»، التي حدثت في الإسلام وعالمه، والتي استدعت من قساوسة التنصير «تفهما جديدا وطرقا جديدة.. بدلا من الأساليب القديمة.. في مواجهة الإسلام!..».. فيقول كلاما هاما عن المواجهة بين العرب والصهيونية.. وعن دور النفط ومنظمة «أوبك» في موازين القوى بين الشرق الإسلامي وبين الغرب.. وعن الصحوة الإسلامية – التي يسمي تحركات جمهورها – «شغبا يقوم به المسلمون المحافظون»؟!.. لإعادة حاكمية الشريعة الإسلامية والتي يسميها: «الرجوع إلى الطرق التقليدية»؟! – في مصر وإيران[10] وباكستان.. وهو يسمي هذه التحركات: «الجانب الثوري للإسلام الذي نسينا وجوده»؟! وهو يعزو هذه الصحوة إلى رفض المسلمين «لحركة العلمنة» وما صاحبها من تغيرات أحدثها النمط الاستهلاكي في مجتمعات الثروة النفطية.. الأمر الذي جعل المسلمين «يندفعون إسلاميا للعودة إلى الجذور»؟!..

يشير الخطاب الرئيس لمؤتمر «كولورادو» إلى عوامل ومظاهر الصحوة الإسلامية هذه، باعتبارها ناقوس الخطر الذي استنفر منظمات التنصير لمعاجلة هذه الصحوة قبل فوات الأوان!.. فيقول:

«أولا: إنني أشعر بدقة التوقيت الصحيح لهذا المؤتمر، وأشعر أنه عقد في الوقت المناسب الذي اختاره الرب، إن العالم الإسلامي يشغل اليوم حيزا مهما في الأخبار أكثر من أي وقت مضى، فالمواجهة في الشرق الأوسط لاتزال بعد عقدين من الزمن تقلق العالم كل لحظة، وكل إنسان في العالم

يتأثر في الواقع تأثرا مباشرا متى اجتمعت الأمم الإسلامية المنتجة للنفط لتقرر كم ستتقاضى على برميل النفط الخام، ويحبس العالم كله أنفاسه قلقا كلما اجتمعت منظمة الأوبيك، والمظاهرات وأعمال الشغب التي يقوم بها المسلمون المحافظون في مصر وإيران وباكستان مطالبين بالرجوع إلى الطرق التقليدية توضح لعالم القرن العشرين الجانب الثوري للإسلام الذي نسينا وجوده.

وإليكم ما استنتجته إحدى المجلات الأمريكية في أحد أعدادها الأخيرة: «تصارع الثروة النفطية وحركة العلمنة في الشرق الأوسط طرق الحياة القديمة، مما أوجد اندفاعا إسلاميا للعودة إلى الجذور».. وتسترسل المجلة قائلة: «إن التعصب الديني يتحرك باتجاه المواقع السياسية الأمامية في أرجاء العالم الإسلامي، من كازبلانكا[11] وحتى مضيق خيبر[12]!»..

«إن مؤشرات هذا الوضع بالنسبة إلى حركة التنصير ملحة، وتؤلف تحديا خطيرا لا يمكن تجاهله[13].»؟!..

ونحن أمام هذه العوامل التي ذكرها صاحب الخطاب الرئيس في مؤتمر «كولورادو».. نتساءل: أين هي مبررات ودواعي وأسباب تصعيد حركات التنصير للمسلمين؟!..

إن الرجل يتحدث عن صحوة إسلامية، يواجه بها المسلمون الهيمنة الغربية – دعم الصهيونية على حساب العرب – تدني أسعار المواد الخام مقابلةً بأسعار المواد المصنعة– استلهام الإيمان الإسلامي في السلوك الأخلاقي والشريعة الإسلامية في القوانين، بدلا من المادية والتحلل ومعصية الله – .. فهل في ذلك ما يغضب «رجل الدين» – في أي دين–؟!.. أم أننا – كما أسلفنا – بإزاء حرب نصرانية على الإسلام وأمته، تدعيما لهيمنة الحضارة الغربية العلمانية على عالم الإسلام.. وهي حرب لا يراد بها وجه الله بأي حال من الأحوال؟!..

ثم يأتي «دون ماكري» – الذي كان محور نشاط المؤتمر – ومن ألمع نجومه[14] – ليحدد، في وضوح وحسم، أن الصحوة الإسلامية هي التي جعلت الغرب يستدعي نصرانيته – المنبوذة في بلاده.. والمعزولة عن عمرانه – ليوظفها في مواجهته مع هذه الصحوة، التي تهدد بتحرير عالم الإسلام – من كازبلانكا وحتى مضيق خيبر – تحريره

من أسر الغرب واستغلاله.. فيقول - دون مواربة - بل ودون حياء! -:

«لقد بلغت الصحوة الإسلامية، التي تجيش في أعماق 720 مليون مسلم، شأوا لم تبلغه لعدة قرون مضت. فقد ظل النزاع العربي الإسرائيلي محط أنظار السياسة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، والنفط الذي يمثّل شريان الحياة الصناعية في الغرب هو اليوم أساس الاقتصاد العالمي، ولا يلعب المسلمون دورا أساسيا في هذه المشاكل فقط، ولكن اهتماماتهم تجسد القضايا الرئيسة في العالم كله، والأمثلة على ذلك كثيرة:

تمرد جبهة تحرير المورو في الفيليبين، والحرب الأهلية الحديثة في جنوب باكستان، والتي أدت إلى قيام دولة بنجلادش، والحرب القبرصية بين المسلمين الأتراك والنصارى اليونان، والحرب الأهلية التي لم تقف في جنوب لبنان، والمشاكل التي لم تحل بين إثيوبيا والصومال، وحركات التخريب التي تثيرها ليبيا في شتى أنحاء العالم، ومظاهرات الطلبة الإيرانيين في الولايات المتحدة.

إضافة إلى كل هذا يأتي الصراع الذي استرعى اهتمام وسائل الإعلام العالمية بين المسلمين التقليديين والاتجاهات العلمانية، والذي كاد أن يفرض تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر. ويمزق إيران اليوم نزاع بين الملالي والجيش. كما ستقوم باكستان بتطبيق الدستور الإسلامي لأول مرة في تاريخها ابتداء من آذار - (مارس) - عام 1978م».

وعند هذا الحد من حديث «دون ماكري».. يتساءل الإنسان، دَهِشاً: أين في هذا الذي تحدث عنه ما يغضب الله، فيستدعي غضب رجل الدين، من أي دين؟!.. شعوب تسعى لتحرير أوطانها أو ثرواتها، أو تعالج مشكلات عرقية وطائفية وحدودية صنعها بها ولها الاستعمار الغربي، أو تتململ من الهيمنة الغربية، وهي في كل ذلك تبحث عن جذورها، لتستعيد هويتها الحضارية المتميزة، وتستدعي شريعة الله لتحتكم إليها في شؤون الدولة والمجتمع والأخلاق.. فماذا في هذا مما يغضب النصرانية وكنائسها؟!..

إن العجب يزداد عندما ينحاز رجل الدين النصراني إلى العلمانية ضد الشريعة الإلهية

عندما يكون الأمر أمر اختيار للمسلمين بين الطريقين!.. فالعلمانية خصم تاريخي للنصرانية، ولكل دين سماوي.. والدفاع عنها كمنهج للنهضة الإسلامية هو موقف الحضارة الغربية، والهيمنة الاستعمارية من التطور الإسلامي.. فما يخشاه المنصرون من الصحوة الإسلامية هو ذات الذي يخشاه منها «ريتشارد نيكسون»: بعث الحضارة الإسلامية، وتحكيم الشريعة الإسلامية، واتخاذ الإسلام دينا ودولة، والنظر إلى المستقبل انطلاقا من الجذور الإسلامية.. الأمر الذي يقطع بوحدة المواجهة الغربية ضد الإسلام وأمته وحضارته وعالمه، مع تميز الجبهات..

فمؤسسات الفكر والسياسة تريد كسر شوكة الإسلام بالعلمانية، لإحكام قبضة الغرب على عالم الإسلام.. وكنائس الغرب ومنصروه يريدون اقتلاع الإسلام من الجذور، وطي صفحته من الوجود بتنصير كل المسلمين.. باعتبار ذلك قمة الانتصار الغربي في الحرب المعلنة على الإسلام والمسلمين؟!..

ثم يمضي «دون ماكري»، فيعلن كيف أن هذه الصحوة الإسلامية، التي – وفق عبارته – «قد بلغت شأوا لم تبلغه لعدة قرون مضت»، هي «الفعل» الذي جعل النصرانية الغربية تقرر تصعيد المواجهة مع الإسلام، من مستوى «التنصير بين المسلمين» إلى مستوى «تنصير كل المسلمين»؟!.. فيقول:

«في الوقت الذي تتطور فيه هذه الاتجاهات المذكورة، تصب في الحركة النصرانية تيارات جديدة..» (15).

وتؤكد هذا الارتباط – بين الصحوة الإسلامية وبين تصاعد مواجهة التنصير للإسلام وأمته – مقدمة الكتاب الذي ضم أعمال مؤتمر «كولورادو»، فتقول:

«كانت عملية تنصير المسلمين من أعظم التحديات التي واجهت الكنيسة على مر العصور، وأصبح ذلك التحدي أكثر وضوحا بسبب الأحداث السياسية التي تشد الأنظار نحو الأراضي الإسلامية»؟! (16).

فنحن لسنا بإزاء نشاط ديني يبتغي أصحابه إنقاذ الروح الإنساني من الانحراف عن الدين.. وإنما بإزاء حرب على النهضة الدينية للإسلام والمسلمين، تتصاعد بها النصرانية

الغربية إلى مستوى الإبادة الكاملة؟!..

* * *

وتحكي أبحاث مؤتمر «كولورادو» خطوات الإعداد والتنظيم لعقده وإدارته..

* ففي سنة 1966م عقد، في برلين، «المؤتمر الإنجيلي الأول حول تنصير العالم».. وأعقب انعقاده عقد اجتماعات ومؤتمرات إقليمية ووطنية في جميع أنحاء العالم..

* وفي سنة 1974م عقد، في لوزان، «المؤتمر العالمي الثاني حول تنصير العالم».. وانبثقت منه «مجموعة إعداد الاستراتيجية» (17)..

* ثم قدم القس «دون ماكري» – الذي سبق أن عمل منصرا في باكستان منذ سنة 1950م.. ثم التحق بكلية فولر لإرسالية تنصير العالم – والداعي لإنشاء كنيسة تلائم التقاليد المحلية للبلاد الإسلامية –.. قدم اقتراح عقد مؤتمر «كولورادو» إلى لجنة التنصير في لوزان.. فتبناه الدكتور «بيتر واكنر» – عضو كلية فولر لإرسالية تنصير العالم (18)..

وفي الحقيقة، فإن التخطيط والإعداد والإدارة والاستثمار لهذا المؤتمر، لهي دروس وخبرات تستحق التأمل.. لدلالتها على خطر المخطط والمواجهة والتحدي.. ولضرورة وأهمية التعلم من هؤلاء الأعداء!..

لقد عقد اجتماع استشاري، في مدينة «كراند رابدز»، للتخطيط والإعداد للمؤتمر.. ورسموا ونفذوا خطة عبقرية لإنجاز مهامه.. فكانت أغلب الجهود والأعمال خارج المؤتمر، وسابقة على انعقاده، بحيث أصبح أسبوع اللقاء بمثابة موسم الحصاد للجهود التي تمت قبل انعقاده؟!

لقد قرروا «إشراك كفايات عالية، ذات دوافع قوية، تتمكن من إحداث تغيير أساسي في عملية تنصير المسلمين».. و«تحديد القضايا الأساسية التي تدعو الحاجة إلى طرحها ومناقشتها» فاتفقوا على أربعين موضوعا «جسدت أساسا لعناوين الأبحاث».. وأعدوا «خطة تضمن مشاركة أكبر عدد من العلماء قبل انعقاد المؤتمر، ليحضر المؤتمرون متهيئين تماما..»..

وبعد تجنيد المؤلفين الذين كتبوا الأبحاث الأربعين.. أخذوا يرسلون الأبحاث أسبوعيا إلى دائرة واسعة من ذوي التخصصات المختلفة ذات العلاقة بعملية تنصير المسلمين وهم

لاهوتيون من مختلف التقاليد الكنسية.. وعلماء الأجناس البشرية.. وأصحاب التجارب في التنصير.. وإداريون.. ومنصرون عاملون، وأساتذة إرساليات تنصير.. ومتخصصون بالشؤون الإسلامية.. واستشاريون قوميون من مختلف البلاد وخبراء في وسائل الاتصال والإعلام.. إلخ.. إلخ.. وطلبت التعليقات والتعقيبات ممن أرسلت إليهم الأبحاث.. ثم أعطيت إلى المؤلفين، الذين أعادوا تحرير الأبحاث على ضوء رؤيتهم للتعليقات والتعقيبات.. – ولقد استغرقت هذه العملية – مع التنظيم المحكم – ستة أشهر، سبقت انعقاد المؤتمر..

ومن خلال الجدية ومستوى التعليقات والتعقيبات تحددت معايير الاختيار لمن سيدعون لحضور المؤتمر، مع مؤلفي الأبحاث، للاشتراك في مداولات لجانه النوعية والمتخصصة، وفي مناقشاته العامة، وصياغة توصياته..

ولقد حرصوا على دعوة «عدد كبير من الرجال والنساء من أعضاء الكنائس المختلفة في الشرق الأوسط وآسيا وإفريقيا، وكان هؤلاء أيضا يمثلون قطاعات متباينة، ويحتلون مراكز مختلفة، بينهم كهنة لاهوتيون، ومتخصصون بالشؤون الإسلامية، وأشخاص لديهم بعض النشاط في مجال التنصير..»

وفي أسبوع انعقاد المؤتمر، اجتمع 150 شخصا «يمثلون نوعية خاصة ومتميزة من الأشخاص».. ثم توزعوا، خلال أيام المؤتمر، على مجموعات متخصصة، وفق تخصصات المؤتمرين – لاهوتيين.. ومنصرين.. وعلماء أجناس بشرية.. وخبراء اتصال وإعلام.. وأساتذة تنصير.. ومختصين بالشؤون الإسلامية.. ومديري إرساليات... ومع كل مجموعة متخصصة المستشارون القادمون من وراء البحار، إضافة إلى أبناء أمريكا الشمالية..

ولقد كلفت كل مجموعة أن تطرح على نفسها هذا السؤال: «**ما المساهمات المحددة التي يمكن، بل يجب علينا أن نقدمها لتعزيز عملية تنصير المسلمين؟..**»

ومن خلال الجولة الأولى للنقاش تحددت أكثر من ثلاثين مهمة أساسية وثيقة الصلة بتنصير المسلمين.. وبدأ سيل الاقتراحات المقدمة لإنجاز هذه المهام.. ولما تزايدت الاقتراحات، كوّنوا «قوى عمل» مهمتها «اقتراح الخطوات الأولى التي تؤدي إلى ترجمة هذه الاقتراحات وتحويلها إلى خطط محددة».

ثم وصل المؤتمرون إلى مرحلة «تحديد الغايات ورسم الأهداف. ودارت النقاشات حول

الأشياء الملموسة والواقعية، مثل الوسائل والطرق والموارد وجدول الأعمال» - أي تحديد الغايات، ورسم الأهداف، وإقامة آليات التنفيذ -!.

وفي النهاية، عقدت جلسة عامة مطولة، استمع فيها جميع المشاركين إلى التقارير.. وقدمت فيها مقترحات وأفكار إضافية..

وهكذا حق لمنظمي هذا المؤتمر أن يقولوا - في التقديم لأبحاثه -: «.. ولا ريب أن هذه هي المرة الأولى في التاريخ التي يجتمع فيها هذا العدد الكبير، والذي يمثل مختلف الدوائر والهيئات وأنواع رجال الدين من أجل توحيد جهودهم وإمكاناتهم والاستفادة من بعضهم بعضا في عملية تنصير المسلمين.. وتقويم تجارب الماضي وجهود الحاضر بصدق وأمانة. وساعد وجود قطاعات مختلفة من المشاركين بينهم: منصرون ومدرو إرساليات تنصيرية ومتخصصون بعلم الأجناس البشرية والدراسات الإسلامية ومستشارون في شؤون العالم الثالث، على إجراء مناقشة متزنة وواقعية لاستراتيجيات وخطط جديدة»!

وحق لهم أن يصفوه بأنه «المؤتمر الاستراتيجي»[19] لتنصير كل المسلمين!

وحق لنا أن نقول: إننا بإزاء حرب دينية، أعلنتها النصرانية الغربية، من أمريكا، لاقتلاع الإسلام من جذوره، وطي صفحته من الوجود.. وأن مخطط هذه الحرب متمثل في أعمال مؤتمر «كولورادو».. التي تمثل بحق بروتوكولات قساوسة التنصير!..

* * *

وإذا كان قساوسة التنصير، في مؤتمر «كولورادو»، قد أشاروا إلى أن صراعهم ضد الإسلام هو صراع تاريخي وقديم.. «وأن الإسلام، منذ ظهوره، في القرن السابع، إنما يمثل تحديا لكنيسة يسوع المسيح» وتحدثوا عن «التقدم الذي أحرزه الإسلام في قرونه الأولى.. والمحاولات التي تمت لوقف المد الإسلامي بالقوة العسكرية.. وعدم فعالية الحملات التنصيرية نسبيا في استعادة مناطق إسلامية إلى المسيح، بينما استمر الإسلام في الانتشار على طول آسيا وإفريقيا، وينتشر اليوم في العالم الغربي..»[20]. فإن التخطيط الجديد الذي اتفقوا عليه، والذي جاء عبر نقد التجارب التنصيرية السابقة، قد جعلهم يتحدثون - في ثقة - عن «أن المؤتمر قد انتهى بعد أن ملأ المؤتمرين بروح الأمل وشجعهم على السير قدما نحو

هدفهم الكبير، وهو العمل على تنصير الـ 720 مليون مسلم - الذين تتوزعهم 3500 مجموعة إسلامية عرقية في العالم - وبث في المؤتمرين عزما جديدا لتجميع طاقاتهم وتنسيق جهودهم للوصول إلى هذه الغاية»[21]!..

لقد خطط قساوسة التنصير لوراثة الإسلام وأمته وعالمه.. ورفعوا - بلسان «دون ماكري» صاحب الدور البارز في التخطيط وأيضا في التنفيذ - شعارا لهم مقطعا من مزامير داود - (8:2) -: «سلني فأعطيك الأمم ميراثا لك[22]»؟!..

لقد جعلوا تدمير الإسلام رسالة حياتهم.. واعتبروه «التغيير لمجرى التاريخ»؟!.. فكتبوا في التصدير لأعمال هذا المؤتمر: «يجتمع المؤتمرون في كثير من المؤتمرات، فيتبادلون الرأي ويعلنون بعض القرارات ثم ينفضون، فتصبح مجهوداتهم حبرا على ورق، ومداولاتهم مجرد صدى. ولكن بعض المؤتمرات تغير مجرى التاريخ، ولا ريب أن المؤتمر الذي انعقد في أمريكا الشمالية عام 1978م قد أصبح واحدا من هذه المؤتمرات القادرة على تغيير مجرى التاريخ..[23]»!.

ولم ينس المؤتمرون، بالطبع، تغليف مقاصدهم وغاياتهم هذه بغلاف من نصرانيتهم، فرددوا التفسيرات الحرفية لرؤيا يوحنا، عن عودة المسيح ليحكم العالم من جديد، ألف سنة، والشروط التي جعلتها هذه التفسيرات البروتستانتية مقدمات لهذه العودة. ومنها تنصير العالم، بعد إبادة المستعصين على التنصير- وهي تفسيرات تلعب، في الغرب، دورا كبيرا في تأجيج نيران العداوة حتى في الصفوف العلمانية ضد العرب والمسلمين -.. فتحدث الخطاب الرئيس لأعمال المؤتمر عن «أن كل العلامات تشير إلى أن عودة المسيح قريبة جدا، وقد شعر حتى السياسيون والفلاسفة بأن معاناة هذا العصر تتصاعد باتجاه أهم حدث في العصور، وعلى ضوء هذه الحقيقة لا يوجد لدينا أمر أكثر أهمية وأولوية من موضوع التنصير.. وخاصة فيما يتعلق بالهدف الذي نحن بصدده، ألا وهو تنصير المسلمين[24].»!

* * *

وإذا كانت أعمال هذا المؤتمر - التحضير.. والقرارات.. والتنفيذ - قد جاءت ثمرة

لجهود مشتركة، ساهمت فيها كنائس مختلفة، وتخصصات متعددة، ومنظمات للتنصير يحتاج تعدادها إلى دراسة خاصة؟!.. فإن الأمر الواضح والملموس هو أن الدور القائد في هذا المخطط إنما كان للكنائس الإنجيلية الأمريكية ومنظمات التنصير التابعة لها والمنبثقة عنها والعاملة بتوجيه منها...

فالحقبة الحالية من النظام الدولي القائم، بعد المتغيرات التي أطاحت بالشيوعية وأحزابها ونظمها، هي حقبة هيمنة أمريكا على العالم - ولو لحقبة لم تتحدد نهايتها حتى الآن - وفي هذه الحقبة اغتصبت أمريكا «الشرعية الدولية»، على النحو الذي كادت أن تذهب فيه معالم الفروق بين «مجلس الأمن» الدولي وبين «مجلس الأمن» القومي الأمريكي؟!.. والحدود الفاصلة بين «الأمم المتحدة» وبين «الولايات المتحدة»؟!.. فغدا «راعي البقر» هو «السلطان - الأمريكي - للعالم».. الذي يقود المواجهة - بعد طي صفحة «إمبراطورية الشر الشيوعية» - مع الإسلام وأمته وحضارته وعالمه ومعه، في هذه المواجهة- وعلى الثغرة الدينية - تقف الكنيسة الإنجيلية الأمريكية في حربها المعلنة ضد الإسلام!.. فكما تتزعم أمريكا - مستعينة بكل القوى الأخرى - المواجهة الغربية «لكسر شوكة الإسلام بالعلمانية» وإلحاق أمته وعالمه بالمركز الغربي.. تتزعم الكنيسة الإنجيلية الأمريكية- مستعينة بكل قوى التنصير الأخرى العالمية.. والكنائس المحلية في عالم الإسلام - هذه الحرب الدينية التي أعلنوها على الإسلام..

إنهم يعترفون، في أعمال مؤتمر «كولورادو»، بالدور القيادي لإرساليات التنصير في أمريكا الشمالية في التخطيط والتنفيذ لعملية تنصير كل المسلمين.. وحتى عندما يدعون إلى الاستعانة بالآخرين، فإنهم إنما يدعون إلى ذلك من باب «الضرورات»، التي لا تمكن الإرساليات الأمريكية من الوصول إلى بعض البلاد، فيحتاج الأمر إلى استدعاء الآخرين، دون تخلي الأمريكان عن الهيمنة على «النظام العالمي للتنصير»؟؟!..

فالواقع القائم - باعترافهم - يقول: «إن إرساليات أمريكا الشمالية تؤلّف حاليا الجزء الأكبر من الإرساليات التنصيرية البروتستانتية المخصصة للأقطار المسلمة. وهناك ميل طبيعي لتصور العمل النصراني بين المسلمين في هذا الربع الأخير من القرن وكأنه أساسا مسؤولية

إرساليات أمريكا الشمالية..».

والمستقبل، الذي يتطلعون فيه إلى إشراك الكنائس والإرساليات الأخرى – وكثير منها تابع لكنيستهم الأم أو متعاون مع إرسالياتهم – فإنهم يتحدثون عن هذا الاشتراك، وهذا التعاون، كضرورة من الضرورات.. التي لن تمنع قيادتهم لمجمل حرب التنصير!.. كما يتحدثون عنه كاحتمال من احتمالات العقود القادمة.. فيقولون: «وحيث إن إرساليات أمريكا الشمالية مبعدة عن بعض أجزاء العالم الإسلامي، ومقيدة في أجزاء أخرى، وبما أن التجمعات النصرانية المحلية موجودة داخل أجزاء العالم الإسلامي وفي أقطار العالم الثالث الأخرى المحيطة به، فإنه يجب علينا أن ندرك الاحتمال القوي وإمكانية أن يقوم ربنا المسيح، خلال العقود القادمة، باستخدام كنائس العالم الثالث ووكالاته التنصيرية لتحل محل – أو على الأقل – لتكمل سعي إرساليات أمريكا الشمالية. وإذا كان الأمر كذلك، فعلى مديري إرساليات أمريكا الشمالية والقادة المنصرين الآخرين أن يكتشفوا ويوطدوا أساليب جديدة للتعاون والمشاركة مع كنائس العالم الثالث وعملها المنظم للوصول إلى المسلمين [25]. »!

بل إن بحثا من أبحاث هذا المؤتمر، ترد فيه إشارة توحي بأن الكنيسة المشيخية الإنجيلية في أمريكا، إنما تعتبر قيادتها وهيمنتها على هذا «النظام العالمي للتنصير» -للمسلمين- إنما هو «حق إلهي» لهذه الكنيسة؟!!.. فنقرأ في هذا البحث:

إنه «منذ سنوات مضت تحدثت الكنيسة المشيخية العاشرة في فلادلفيا حول العبارة التالية من الكتاب المقدس: «ها أنا فتحت لك بابا» – (رؤيا يوحنا 8:3) –، إن لدى الكنيسة في أمريكا اليوم فرصة لدعوة المسلمين لم تتوفر سابقا على الإطلاق [26]»؟!..

فالباب الذي تحدثت «الرؤيا» عن فتحه «ليوحنا»، رأته الكنيسة الأمريكية «باب» تنصيرها للمسلمين؟!

*   *   *

وإذا كنا قد سبق أن أشرنا – في التمهيد لهذا الكتاب – إلى تحالف نصرانية الغرب مع اليهودية على جبهة فكر «الحضارة المسيحية – اليهودية / الغربية» ضد الإسلام وأمته وحضارته وعالمه... وتحالف مؤسسات الغرب السياسية مع إسرائيل، تحالفا أكبر وأقوى من أن يكتب على الأوراق؟!– على حد تعبير «ريتشارد نيكسون» –.. فإن جبهة النصرانية الغربية لم تتخلف عن إنجاز هذا التحالف مع اليهودية ضد الإسلام.. فالتفسير البروتستانتي – الحرفي– لرؤيا يوحنا.. يشترط لتمام العودة المادية للمسيح:

أ– تنصير العالم، وفي المقدمة منه كل المسلمين !..

ب– «وعودة» اليهود إلى أرض فلسطين!..

وفي إطار سعي النصرانية الغربية – وخاصة البروتستانتية – وكنيستها الإنجيلية في أمريكا – إلى تحقيق ذلك كان الحلف الذي أثمر ما يمكن أن يسمى بدين جديد: «يهودي– مسيحي».. وفي أحد أبحاث مؤتمر «كولورادو» إشارات ذات معنى واضح على هذا الحلف.. تقول واحدة منها:

«إنه خلال السنوات العشر الماضية أصبح آلاف من اليهود: يهودا – مسيحيين.. وتقوم إحدى مدارس اللاهوت الآن بتدريب حاخامات نصارى للعمل في 500 – 1000 كنيس نصراني خطط لإنشائها خلال السنوات القليلة القادمة في أمريكا..»[27]! فتنصير كل المسلمين، باقتلاع الإسلام من الجذور.. وعودة اليهود إلى الأرض الواقعة ما بين النيل والفرات – عبر فناء المسلمين والعرب في معركة «هرمجدون» – وهو التفسير الحرفي – البروتستانتي – لرؤيا يوحنا. قد صنع قواعد هذا التحالف «النصراني – اليهودي» ضد الإسلام والمسلمين!.. وإذا كانت بشاعة هذا المخطط، الذي تحدثت عنه بروتوكولات قساوسة التنصير، في مؤتمر «كولورادو» قد فاقت الحدود.. فإن الأمر الذي يزيد من بشاعتها، ومن مخاطرها.. أن أصحابها قد أعلنوا أن ما نشروه ليس كل الذي خططوه؟!.. فهناك مخططات سرية، لم يعلنوها، لأنها تفوق في الخطورة والغرابة والشذوذ، هذا الذي أعلنوه!.. لقد أقام المؤتمرون مؤسسة جديدة، لتكون بمثابة العقل والمركز العصبي والقيادة الموحدة لكل أعمال الحرب التنصيرية التي أعلنوها على الإسلام.. وأطلقوا عليها اسم واحد من أبرز رموز التنصير في العصر الحديث – «زويمر» (صموئيل) Zwemer (1867–1952) – (معهد زويمر) –

وولوا مسؤوليته واحدا من ألمع رجالات مؤتمر «كولورادو» - «دون ماكري» -.. الذي أعلن هذه الحقيقة - حقيقة الجانب السري من هذه البروتوكولات - عندما قال: «لقد لخصت التقارير التي قدمتها قوى العمل في تقرير المؤتمر، الذي يتضمنه هذا المجلد - (أي أن ما بأيدينا - القريب من ألف صفحة - هو «الملخص».. وليس كل «الأصل»؟!).. ولكننا - والكلام لدون ماكري) - لن ننشر هذه التقارير كاملة نظرا لاحتوائها على معلومات حساسة للغاية. ولكن العديد من الأشخاص المسؤولين يقومون بتنفيذ ما طرحته هذه التقارير، وسوف يسهل المعهد - (معهد زويمر) - تنفيذ العديد من النشاطات في هذا المجال..[28]»! فإذا كان هذا هو القدر المعلن من خطط الحرب المعلنة على الإسلام.. فما هو - يا ترى - ذلك الذي لم يعلنوه «لاحتوائه على معلومات حساسة للغاية»؟!.

وإذا كان هذا هو مخطط النصرانية الإنجيلية الأمريكية وحدها.. فما آفاق مخططات كل الكنائس النصرانية، ومؤسساتها التنصيرية في قوميات الغرب ومذاهبه ودوله، التي تواجه الإسلام والمسلمين؟!.. ثم.. ما معالم وسمات ووسائل وآليات مخطط هذه البروتوكولات؟؟..

الهوامش

(1) انظر (المعجم الكبير) وضع مجمع اللغة العربية - القاهرة - طبعة سنة 1401 هـ سنة 1981 م.

(2) انظر الطبعة العربية لهذا الكتاب.. دراسة وترجمة عجاج نويهض.

(3) آل عمران: 75.

(4) نشرت طبعته الإنجليزية دار MARC سنة 1979م - في كاليفورنيا - بالولايات المتحدة الأمريكية.. انظر صورة صفحة الغلاف للطبعة الانجليزية في نهاية هذا الكتاب.

(5) (التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي) بحث حان الوقت لمنطلقات جديدة «لدون ماكري» - ص 17.

(6) (الدعوة إلى الإسلام) ص 89، 90، 455، 98، 99. ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي. طبعة القاهرة سنة 1970م.

(7) Zwemer (1867-1952م) منصر أمريكي، يعد من أبرز قادة الحركة التنصيرية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين.

(8) هذا هو الرقم الذي يرد في أبحاث المؤتمر لعدد المسلمين سنة 1978م. وهذا العدد يصل الآن إلى مليار وربع المليار.

(9) (التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي) - الخطاب الرئيس - ص 22،21.

(10) لم تكن الثورة الإيرانية قد حدثت يومئذ بعد.. وإنما كانت! إرهاصاتها - المظاهرات - قد بدأت. وكانت تتم في مصر، يومئذ، جهود كبيرة لتقنين الفقه الإسلامي، تمهيدا لاعتماده قانونا للبلاد، بدلا من القوانين الوضعية، ذات الفلسفة الغربية.. وهي الجهود التي أجهضت بعد عقد الصلح مع إسرائيل سنة 1979م؟؟!..

(11) هي «الدار البيضاء» بالمغرب، على ساحل المحيط الأطلسي.

(12) بين الباكستان وأفغانستان، على الطريق من كابل إلى بيشاور.

(13) (التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي) - الخطاب الرئيس - ص 21.

(14) انظر تعريفا بالمساهمين الرئيسيين في هذا المؤتمر بـ «الملحق» الذي أثبتناه في نهاية هذا الكتاب.

(15) المصدر السابق. - حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة - ص 8.

(16) المصدر السابق - المقدمة - ص 1.

(17) المصدر السابق - الوصول إلى الذين لم يتم الوصول إليهم - لـ «مجموعة العمل الاستراتيجية» في مؤتمر «ديلوبانك» 16-20 من يناير سنة 1978م - ثم ضم البحث إلى وثائق مؤتمر «كولورادو» - ص 909.

(18) المصدر السابق. - المقدمة - ص 1.

(19) المصدر السابق. - حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة - لـدون ماكري - ص 17،16 و - تقرير المؤتمر - لآرثر. ف. كلاسر - ص 45، 65. و-المقدمة- ص 21.

(20) المصدر السابق. - مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في الغرب - لـ «د. ماكس كيرشو»- ص 329.

(21) المصدر السابق. - المقدمة - ص2. و- حان الوقت لمنطلقات جديدة - «لدون ماكري» - ص18.

(22) المصدر السابق. - حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة - ص19.

(23) المصدر السابق. - تصدير - لـ «و. ستانلي مونيهام» - ص4.

(24) المصدر السابق. - الخطاب الرئيس - لـ «و. ستانلي مونيهام» - ص 22، 23.

(25) المصدر السابق - روابط أمريكا الشمالية مع إرساليات العالم الثالث التنصيرية العاملة بين المسلمين - لـ «والدرون سكوت» - ص 789، 790.

(26) المصدر السابق. - الحاجة إلى مجلة جديدة خاصة بالإرساليات التنصيرية الموجهة نحو المسلمين - لـ «س. جورج فراي»- ص816.

(27) المصدر السابق. - تطوير وسائل جديدة لتساعد في تنصير المسلمين - لـ «دونالدر. ريكاردر» - ص 643.

(28) المصدر السابق. - حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة - ص 17، 18.

الفصل الثاني

نظرة نقدية

لواقع التنصير.. وتاريخه

(لا يمكننا بعد اليوم اعتماد الأساليب القديمة للتنصير، في مواجهة الإسلام الذي يتغير بسرعة، وبصورة جوهرية !..

لقد كانت استراتيجية التنصير الأوروبية - الأمريكية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعقلية الاستعمارية..

وان الغرض من عقد هذا المؤتمر هو الإيمان بعدم جدوى وفعالية الطريقة التقليدية لتنصير المسلمين ؟!..)

من أبحاث مؤتمر كولورادو
لتنصير المسلمين

لقد انطلق قساوسة التنصير، في مؤتمر «كولورادو»، من النظرة النقدية لتاريخ التنصير، من حيث أساليبه وآلياته - مع الإصرار على أهدافه - بل وتصعيد طموحاتها-.. حتى لقد استخدموا عبارات «الندم» و «التوبة» عن الأساليب القديمة التي وقفت بهم، برغم الجهود والإمكانات التي بذلت، عبر تاريخ التنصير الطويل، أمام حائط مسدود.. فالإسلام مغلق في وجه النصرانية، والمسلمون مستعصون على التنصير، اللهم إلا حالات هامشية لنماذج منحلة أو ضحايا لمشكلات توقعها في حبائل المنصرين.. وحتى هؤلاء، فإن المنصرين يكتشفون هشاشة وسطحية علاقتهم بالنصرانية ؟!.. والنجاحات «الكمية» التي تحققت إنما تمت في بيئات كان أهلها على هامش الإسلام الحقيقي.. لما يدخل الإسلام في قلوبهم بعد ؟!..

لقد انطلقوا من النظرة النقدية للأساليب القديمة للتنصير.. بل لقد اعتبروا هذا النقد، وما يترتب عليه من تغيير جذري في الأساليب، مع تصعيد في الطموحات والمقاصد، هو الغرض من عقد هذا المؤتمر، الذي أرادوه نقطة انطلاق «لتغيير مجرى التاريخ».. فقالوا، صراحة : «إن الغرض من عقد هذا المؤتمر هو الإيمان بعدم فعالية الطرق التقليدية[1] » للتنصير.. ولقد كان في مقدمة الانتقادات التي وجهوها إلى أساليب التنصير التقليدية، والتي رأوها عيوبا ذاتية أدت إلى الإخفاق، وقدموا لها البدائل عبر صفحات أبحاث المؤتمر والحوارات التي دارت حولها :

* أنهم كانوا يجابهون الإسلام، فعجزوا عن مغالبته.. وأن عليهم أن يخترقوه ليقوضوه من داخله.. فالتنصير يجب أن يتم من خلال القرآن الكريم، وليس بالتهجم عليه؟!.. ومن خلال الثقافة الإسلامية والعادات والتقاليد والأعراف الإسلامية، وليس من خلال تجاوزها، فضلا عن احتقارها ؟!

* وأنهم كانوا يقدمون النصرانية مقترنة بالثقافة الغربية.. الأمر الذي جعل المسلمين ينظرون إلى النصرانية كديانة أجنبية - ديانة الرجل الأبيض - الذي غالبا ما كان المستعمر لبلادهم!. حتى إن من يتنصر من المسلمين كان مضطرا إلى أن ينخلع من ثقافته الوطنية والقومية، فيصبح معزولا ثقافيا، عاجزا عن التواصل، ومن ثم التأثير في محيطه.. بل وينظر إليه باعتباره «خائنا» ؟!.. وأن عليهم، في المخطط الجديد، أن يقروا بالتعددية الثقافية - وذهبوا يؤصلونها، ويصطنعون لها نسبا حتى في الإنجيل - وخاصة

لدى «بولس» -.. وعليهم أن يضعوا «المضمون» النصراني في «أوعية» الثقافة الإسلامية، بل وفي أوعية «الدين الإسلامي» ؟!.. فدعوا إلى اكتشاف المصطلحات القرآنية التي يمكن أن تمثل «جسورا» يعبرون عليها بالمضمون النصراني إلى عقول الضحايا من المسلمين.. من مثل «كلمة الله».. و «روح الله» و.. و«رفع عيسى» إلى الله.. إلخ.. إلخ.. كما دعوا إلى صب «مضامين» الشعائر النصرانية في «قوالب» الشعائر الإسلامية.. فتكون الصلاة النصرانية - لدى المتنصرين من المسلمين - ركوعا وسجودا، وليست جلوسا على المقاعد - كما هي في النصرانية - ؟!.. بل وأن تكون في المسجد الإسلامي، الذي اقترحوا أن يسمى «المسجد العيسوي» ؟!.. بل واقترحوا تسمية المتنصرين بـ «المسلمين العيسويين»، وطالبوا لهم بكنيسة متميزة، تصب «المضامين» النصرانية في «قوالب» الإسلام وثقافة المسلمين ؟!..

وأكدوا أن هذا «تكتيك» و «مرحلي».. فالتغيير الثقافي.. والاقتلاع من كل ما له صلة بالإسلام هدف استراتيجي وثابت.. ولكنه يتم بالتدريج، وتبعا لنمو «المضامين» النصرانية لدى المتحولين عن الإسلام ؟!.. الأمر الذي جعل من حديثهم عن «التعددية الثقافية»، التي استعانوا على اكتشافها وتأصيلها بعلماء الأجناس البشرية، ضربا من النفاق والتحايل الرخيص والميكافيلية التي لا علاقة لها بأي دين ؟!..

* ودعوا إلى الفرار من مواجهة الإسلام الحقيقي.. إسلام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة - فالمؤمنون وفق معاييرهما لا سبيل إلى عقولهم وقلوبهم -.. أما الحقل الذي تنادوا إلى العمل فيه فهو ذلك الذي أسموه «الإسلام الشعبي»، «الإسلام الأرواحي»، «إسلام» الشياطين والعفاريت والشعوذات والخزعبلات.. واستدلوا على هذا التخطيط بأن النجاح الحقيقي الذي حققه التنصير في عالم الإسلام إنما تم في إندونيسيا بين الذين وقف إسلامهم عند هذا المستوى، ولم يدخل إسلام الكتاب والسنة في عقولهم أو قلوبهم؟!.. وقالوا إن من السهل عليهم أن يقدموا المسيح مخلصا لهؤلاء من الشياطين والعفاريت؟!..

* ودعوا إلى حملة لدراسة الإسلام.. وأكدوا أن جهلهم به هو عامل من أبرز عوامل الإخفاق الذي أصاب جهودهم في التنصير.. ونبهوا على أهمية التنسيق الذي يجمع كل ثمرات الدراسات التي تقوم بها مختلف المراكز والمؤسسات، التنصيرية والعلمانية -

الحكومية وغير الحكومية - للإسلام وأمته وحضارته وعالمه!..

* ودعوا إلى الظهور بمظهر مَن فك الارتباط بينه وبين التاريخ الاستعماري والعنصري والاستعلائي للغرب، في علاقاته مع عالم الإسلام.. ومَن فك الارتباط بينه وبين سياسات الغرب المعاصرة، والمعادية لعالم الإسلام؟!..

* ودعوا إلى الاعتماد المتبادل، في التنصير، مع الكنائس المحلية والوطنية في العالم الإسلامي.. سواء منها تلك التي تتبع تقاليدهم الإنجيلية أو التي تتبع تقاليد كنيسة أخرى.. وإلى زيادة الوظائف التنصيرية للمؤسسات الكنسية، - العالمية والإقليمية - مثل «مجلس الكنائس العالمي».. و«مجلس كنائس الشرق الأوسط» ؟!..

لقد نقدوا تاريخ التنصير وأساليبه.. تلك التي ذهبت بجهودهم هباء وأدراج الرياح.. ودعوا إلى تسلل ميكافيلي، لاأخلاقي.. غريب وشاذ أن يتخلق به اللادينيون.. فضلا عن المتدينين.. ناهيك برجال الدين ؟!..

وكما هو نهجنا في هذه الدراسة، فسندع نصوص هذه البروتوكولات تعلن عن مقاصد ووسائل هؤلاء.. ففي الخطاب الرئيس للمؤتمر يقولون :

«من حقنا التساؤل : لماذا لم يتم تنصير العالم الإسلامي بصورة أفضل ؟

وكلنا يستطيع أن يقدم الكثير من الأجوبة، من بينها شح الموارد، وعدم وجود المال اللازم.. وموقف المجتمعات الإسلامية المنغلقة على نفسها، وضعف الكنائس المحلية الأهلية، وعدم وجود قادة وطنيين محليين. إن جميع هذه الأجوبة صحيحة.

ولكن، هل لي أن أشير، في الوقت نفسه، إلى أن كل هذه الأجوبة تتعلق بأمور خارجية ؟

هل من الممكن وجود أمور داخلية أكثر أهمية كانت سببا للنتائج المحدودة التي حققناها بين المسلمين ؟.. وهل نحن ناضجون بما يكفي لأن نواجه بشجاعة السؤال الأخير فيما إذا كانت المشكلة ترتبط بنا نحن المنصرين ؟ إني أود أن أقول: إننا كنا حتى الآن ضعفاء إلى درجة خطيرة جدا، ضعفاء في معرفتنا وأسلوبنا ومحبتنا، ونحن بحاجة

ماسة إلى أن نبدأ توبتنا وإعادة تجددنا منطلقين من هذه النقاط على الأقل :

1- لقد كانت لدينا، في أكثر الأحيان، معرفة محدودة وغير كافية بالإسلام وثقافته، فلم نكن أولئك الطلاب الجادين بدراسة الإسلام كما يجب علينا أن نكون.. أين هم الطلبة الذين يدرسون الإسلام، والذين يستطيعون أن يباروا طلاب الماضي؟

ليعطنا الرب رجلا مثل صموئيل زويمر، الذي أتقن اللغة العربية، وكان عالما محترفا في الإسلاميات، ومنصرا مقنعا، لقد عمل لمدة 23 سنة منصرا في الجزيرة العربية، وستة عشر عاما مديرا لمركز الدراسات الإسلامية والمطبوعات في القاهرة، واستطاع في الوقت نفسه أن يشرف على تحرير أهم مجلة نصرانية عن الإسلام لمدة 36 سنة، وهي مجلة «العالم الإسلامي».

اعطنا يارب رجلا آخر مثل تمبل كيردنر، الذي كان عالما شهيرا في الدراسات الإسلامية، ومترجما حاذقا للآداب الإسلامية، وكاتبا غزير الإنتاج. لقد قضى كيردنر 16 عاما يدرس اللغة العربية والإسلاميات للمتطوعين ومواطني البلاد العاملين في مجال التنصير، لأنه كان يعتقد بضرورة معرفة أفكار أولئك الذين يحاول الوصول إلى قلوبهم وعقولهم معرفة دقيقة شاملة.

اعطنا يا إلهي رجلا آخر مثل جورج ليفروي، الأسقف الأنجلكاني والمنصر الذي كان متقنا للغة العربية والأردو، ويحب الوعظ في الأسواق المكتظة في شمال الهند، وعندما حدد ليفروي مؤهلات المنصر الفعال في صفوف المسلمين أورد ما يلي :

- التمكن من اللغة العربية والقرآن والمصادر اللاهوتية الإسلامية.
- التحلي بالصبر والحزم في النقاش.
- الشعور المتعاطف الذي يمكنه أن يقود المسلم من الحقائق التي

يؤمن بها إلى المسيح..

- الاستعداد لنبذ الطرق القديمة البالية التي تثير الكثير من الجدل.

- أن تكون لديه روح الأمل.

2- لقد استخدمنا في الكثير من الأحيان طرقا وأساليب غير فعالة وغير ملائمة لتبليغ الكتاب المقدس. وقد تداخلت خلفياتنا الثقافية والحضارية مع الرسالة الإنجيلية. لقد أصررنا على طرق معينة للشهادة والعبادة، وأساليب معينة في البناء، وأنواع معينة من الموسيقا، إلى درجة أدت في الحقيقة إلى أن يساوى بين الشخص الذي يعتنق النصرانية في العالم الإسلامي وبين ذلك الذي يصبح أجنبيا.. قال أحد المسلمين الذين تحولوا إلى النصرانية في الهند ما يلي : «إذا تقبل المسلم المسيح كمخلص ورب ينظر إليه كمرتد وكشخص يجب أن ينبذ أخلاقيا، وفي العديد من البلدان كخائن سياسي».

فهل يمكننا عدم إلقاء عبء زخارفنا الحضارية والثقافية على عواتق أولئك المتحولين حديثا عن الإسلام ؟ وعلى سبيل المثال، فهل من تعاليم الإنجيل أن نفرض أساليب عبادتنا على ثقافة أخرى ؟ ألا توجد هناك بعض التقاليد والصيغ الإسلامية التي يمكن استخدامها بمحتوى نصراني ؟. ألا يمكن أن تكون لبعض أساليب العبادة الموجودة في العهد القديم معنى أكثر للمسلمين المتحولين إلى النصرانية من ذلك الأسلوب الصاخب والمروع والبعيد كل البعد عن الطقوس الدينية والذي يمارس في مدينة تايلر في ولاية تكساس الأمريكية ؟!. هل سعينا إلى إيجاد مؤلفين للترانيم بين صفوف المسلمين المتحولين إلى النصرانية، أو طلبنا منهم أن يؤلفوا ترانيم تناسب ثقافتهم ؟.. فعندما يتصل الأمر بالثقافة يجب على المبلغ، وليس على السامع، أن يقدم التنازلات!.

لقد حدثنا أحد أبحاث مؤتمرنا عن كاهن قبطي يعمل في مجال التنصير ويؤدي الصلاة والطقوس الدينية بطريقة تشابه ما يجري في الجامع، واكتشف أن صلواته قد أصبحت أكثر شعبية، ويحضرها الكثير

من الناس. وقد عرف عن تمبل كيردنر استعداده لتجريب طرق مختلفة لتبليغ النصرانية للمسلمين في مصر، وقد كان شغوفا بصورة خاصة بالدراما والموسيقا والشعر.

وفي بنجلاديش توجد حركة بين الشباب المسلم المتنصر لمتابعة لقائهم في الجامع كل يوم جمعة لممارسة عبادتهم النصرانية، حيث يستعملون أشكالا إسلامية في محتوى نصراني..

دعوني أثِرْ موضوعا آخر، بخصوص هذه القضية التي تتعلق بمنهجية التبليغ، هل نحن مستعدون لدراسة برنامج للتنصير نكون فيه الشريك الثانوي، وليس الشريك المسيطر؟. أي هل نحن على استعداد لأن نستخدم أموالنا لتمكين المنصرين من أبناء العالم الثالث من الذهاب إلى العالم الإسلامي؟.. أم هل يجب أن يكون المنصِّرون كافة الذين يتلقون دعمنا غربيي الثقافة والخلفية لينالوا رضا أولئك المصلين الذين يتبرعون بالأموال ؟، وبالطريقة نفسها، دعوني أسأل : ما الذي يمكننا أن نفعله أكثر من هذا لكي نستطيع حقا أن نجعل من المسلمين المتحولين عن دينهم منصرين عاملين بين أبناء بلدهم ؟..

3– النقص الثالث لدينا يتعلق بجانب الاهتمام والمحبة. لقد أخطأنا كثيرا عندما عاملنا الآخرين معاملة الأبوين للأولاد، منطلقين من شعورنا بالتفوق الثقافي..(2)»؟!..

وعلى ذات الدرب، درب نقد الأساليب التقليدية للتنصير، واقتراح ثورة تغير تلك الأساليب، يتحدث «آرثر. ف. كلاسر» – في «تقرير المؤتمر» فيقول :

«لم يكن جميع المنصرين حكماء وأتقياء ونبلاء ومحبين، لقد اتجه بعضهم إلى تشويه وتقليل قيمة المنزلة الخلقية والدينية لمحمد والقرآن. كما قام الكثير منهم بالدفاع الأعمى عن إرساليات التنصير إلى العالم الإسلامي خلال السنوات الطويلة للسيطرة الغربية السياسية، ونتيجة لذلك فقد كانوا غير مهتمين بصورة كبيرة بمهمة التقليل من شعور عدم الثقة وسوء الفهم الذي أفرزته التوترات والصراعات السابقة، لقد

أعطوا الانطباع بأنهم يفتقرون إلى الاهتمام بتدهور القيم النصرانية في العالم النصراني بينما يشجعون علانية عملية العلمنة في العالم الإسلامي!. ولقد كان إذلالا لنا أن نواجه مثل هذا الدليل على الاستعمار الثقافي مقترنا بمحاولة للهداية تبدو عدوانية وتفتقر إلى الإحساس!. لقد كنا متفقين - (يقصد في المؤتمر) - على أن هنالك الكثير داخل الحركة التنصيرية الحديثة، والذي يحتاج إلى تقويم» ..

فعبر قرون عديدة، عزز النصارى وشجعوا شعورا بالعداء تجاه المسلمين..

لقد أصابنا الرعب لأن عددا قليلا من المسلمين قد ولدوا ثانية من خلال تجاوبهم مع دعوة الكتاب المقدس.. فنحن النصارى قد قدمنا القليل من المحبة وبذلنا القليل من الجهد من أجل أن نعتبر المسلمين أناسا مثلنا ؟!.. وإن وكالات التنصير في أمريكا الشمالية مازالت مستمرة في اتباع الأسلوب الذي لا يتحسس القضايا الثقافية.. ونميل نحن نصارى أمريكا الشمالية إلى انتقاد الثقافة الإسلامية، وقد قادنا غرورنا وشعورنا بالتفوق العرقي أيضا إلى أن ننسى أن ثقافتنا نفسها مليئة بالعيوب. صحيح أن ثقافتنا تعكس الإبداع الخلاق لمجتمع متعدد الأهداف، ولكنها تعبر في نفس الوقت عن انحدارنا..

يجب أن يكون أحد أوجه اهتمامنا تعهد الإدراك الجديد لطبيعة الدين الإسلامي.. لقد بدأنا نحن نصارى أمريكا الشمالية نكتشف الآن فقط أننا قد دعونا في أغلب الأحيان، وأكثر مما يجب إلى رسالة مبتورة، وذات طابع غربي [(3)]!»

على هذا النحو تم نقد أساليب : المواجهة مع القرآن ونبي الإسلام.. وربط التنصير بالسيطرة السياسية للغرب على العالم الإسلامي.. وبالغزو الثقافي الغربي للمسلمين.. والصورة العدوانية للتنصير.. الأمر الذي زاد عداوة المسلمين للمنصرين، وقلل حصاد الجهود الكبيرة التي بذلها المنصرون.. إنهم لم يوجهوا الاحتقار فقط إلى القرآن ونبي الإسلام وثقافته.. بل لقد نظروا المسلمين باعتبارهم أقل في الإنسانية من الغربيين ؟!.. وذلك بسبب من غرور الشعور بالتفوق العرقي للغربيين على غيرهم من الأمم الأخرى ؟!..

الأمر الذي بدت معه نصرانيتهم «رسالة مبتورة، وذات طابع غربي»..

ثَمَّ نقد هذه الأساليب.. ودار الحوار، عبر كل أبحاث المؤتمر، حول البدائل التي تحقق مستويات أعلى لذات المقاصد والأهداف والغايات.. تنصير كل المسلمين.. واقتلاع الإسلام من الجذور، وطي صفحته من كتاب الوجود!..

وتتردد هذه النظرة النقدية، في كل الأبحاث وسائر المناقشات بالمؤتمر، على النحو الذي يجعلها أمرا مجمعا عليه بين قساوسة التنصير.. كما تقترن هذه الانتقادات بتقديم البدائل، التي تتفرع عن محور : اختراق الإسلام وثقافته، لتقويضه بالنصرانية من داخل البناء، مع استخدام كل السبل اللاأخلاقية والوسائل المكيافيلية في هذا الميدان!..

وفي بحث عن «المسلم المتنصر وثقافته» يتحدث «هارفي م. كون» عن الصورة الغربية للنصرانية بنظر المسلمين.. فيقول :

«إن شهادات المتنصرين المدونة تبين أن المسلم لا ينظر إلى النصرانية على أنها فقط كفر ديني، بل إنه يراها أيضا نظيرة للاستعمار وللحضارة وللثقافة الغربية.

وتعطي مجموعة التجارب الذاتية لأشخاص من شمال إفريقيا، العديد من الأمثلة على هذا الموضوع :

فقد رد أخو «مليكة»، بغضب، على رفضها الصوم قائلا : «لقد كنت تأكلين في بيت المنصرين، إنهم يحولونك إلى امرأة أوروبية». وقد اتهمت «مليكة» على أنها قد أصبحت «كافرة، وكلبة أوروبية».

وقابلتْ أسرةُ «نورية» تحوُّلَ ابنتهم إلى النصرانية بتحذيرها من «الدين الزائف للأوروبيين»، متسائلين : «ألا تعرف أن محمدا هو نبيها، وأن يسوع هو نبي الأوروبيين» ؟!.

وقد علق «أرك نيلسون»، السكرتير العام السابق لجمعية التنصير الدنماركية، قائلا : «غالبا ما تحدثت إلى شخص – وعلى سبيل المثال في إندونيسيا – وسألته فيما إذا كان مسلما ؟ فيجيب : «نعم»، فأقول له : «إني نصراني» وعندها يقول، وهو يبتسم : «نعم، إني ألاحظ

هذا». أي أنه يعرف هذا من خلال لون بشرتي، فكون الرجل أبيض البشرة يعني أنه نصراني بالنسبة إلى مثل هذا الشخص».

«.. إن قبول النصرانية أصبح لا يقرن بالولاء للمسيح، كما يقرن عادة بقبول الثقافة والمدنية الفرنسية.. وهكذا يستمر المسلمون، بكل نجاح، يزعمون أن العقيدة النصرانية هي دين الإنسان الأبيض [4]..»!

وهذه الصورة للنصرانية، هي التي تجعل المسلم المحترم يأنف من قبولها!.. وكما يقول أحد تقارير المؤتمر : «فإن الدعوة إلى المسيح لا تجد استجابة إلا من الأشخاص الهامشيين أو المنحرفين الذين ينتمون إلى القطاعات الفقيرة نسبيا في المجتمع الإسلامي. وفي الأماكن التي يحدث فيها هذا تصبح النصرانية دينا هداما منبوذا اجتماعيا، كما تفشل في التغلغل بين أفراد غالبية المجتمع، والمسلم «العادي» يجد تأكيدا لاعتقاده أن النصرانية جسم غريب ينبغي مقاومته، أما المسلم الذي يتحول إلى النصرانية فيشعر بالحرج وبالإهانة وبفقدان الدعم والانتماء العائلي وبالنبذ الاجتماعي، ويصبح عالة على المجتمع النصراني المدعوم من الخارج..[5] ».

وللهروب من هذا النبذ والاحتكار.. يسعى قساوسة التنصير إلى تغليف المحتوى النصراني في غلاف الأشكال الإسلامية، وإلى إبقاء المرتدين عن الإسلام في رحم الثقافة الإسلامية، مرحليا، مع التحلل من الأشكال الإسلامية كلما نمت المضامين النصرانية لدى هؤلاء المرتدين!..

ويعترف تقرير آخر من تقارير المؤتمر، أنه وحتى بالنسبة إلى القلة التي تتحول عن الإسلام إلى النصرانية، فإن أغلبيتهم الساحقة لا يمكن أن يعدوا نصارى حقيقيين ؟!..

«فالقس «باتمان» – من الجمعية التنصيرية الكنسية – عندما اختبر «تعميد» الذين «تعمدوا» كتب يقول : عندما قابلنا هؤلاء الناس، ورأينا شهادات تعميدهم، لم نجد فيهم خمسة أشخاص من كل مئة شخص يعرفون أي شيء يمكن أن يوصف بأنه نصراني ، على الرغم من أن بضعة مئات منهم يحضرون الكنيسة باستمرار، وكثيرون منهم يقولون إنهم أصبحوا

نصارى ليحصلوا على الخلاص، ولكن إذا سئلوا : ماذا يعنون بالخلاص ؟ لا يستطيعون أن يعطوا أية إجابة [6] »؟!

ثم.. هم يعترفون بارتباط النصرانية، في ذهن المسلم، بالتاريخ الدموي للغرب مع عالم الإسلام.. من الحروب الصليبية.. إلى إقامة إسرائيل.. ولذلك يدعون إلى الظهور بمظهر الذين «فكوا ارتباطهم» بصناع هذا التاريخ الدموي، حتى ولو أدى ذلك إلى «ارتكاب أنواع من أعمال «الخيانة» لأممهم ومجتمعاتهم» ؟!.. «فطرق الأساليب غير المباشرة».. و«البراءة من الإرهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين».. و«تجنب الخرائط التي تربط فلسطين بدولة إسرائيل».. و«تفادي الاعتقاد السائد بين المحافظين من النصارى بأن قيام دولة إسرائيل هو تحقيق وعد الرب لإبراهيم».. إلخ.. إلخ.. إلى آخر هذه «التنازلات» – التي تتحدث عنها هذه البروتوكولات – والتي يجب، لذلك، ألا تخدعنا عن نيات وأهداف النصرانية الغربية والمنظمات والكنائس المتعاونة معها في بلادنا، عندما نراها في قرارات وتوصيات مؤتمراتها ؟؟!.. فبروتوكولاتهم هي التي تعترف بأن هذا مجرد «طعم» يتوسلون به إلى ستر عورات التنصير للمسلمين ؟!.. وذلك بدليل أنهم يعترفون أيضا أن هذا موقف «ظرفي» تقتضيه «الظروف» ؟!.. إنهم هم الذين يعترفون بذلك، عندما يقولون :

«ما الأمور الملحة التي تحتم اتباع منهج سليم للتنصير بين المسلمين؟»

إن الشرط الأساسي هو أن نتوب من طبيعة علاقاتنا (الغربية النصرانية) التاريخية والحالية مع العالم الإسلامي. وإذا لم نخط هذه الخطوة فلا جدوى من التقدم إلى الأمام، ولن يفيدنا التنصل من مسؤوليتنا عن الجرائم البشعة التي ارتكبها الصليبيون ضد المسلمين، ولا عن الإرهاب الصهيوني ضد المسلمين، فالاعتقاد السائد بين المسلمين هو أننا نشترك في المسؤولية عما ارتكبه أسلافنا وحلفاؤنا أبناء جلدتنا إذا لم نشجب تلك الأعمال ونتصرف بطريقة مختلفة عنها. إن الظرفية تلزمنا أن نبدأ العمل وفق شروطهم وليس وفق شروطنا، وبمعنى آخر، فإن الموقف يتطلب منا أن نرتكب عن عمد أنواعا من أعمال «الخيانة» لأممنا ومجتمعاتنا..[7] »!

إنهم يعترفون، علنا، بالمكيافيلية، في الوقت الذي يرتدون فيه مسوح رجال الدين، ويتحدثون عن خلاص الأرواح ؟!..

وتتردد هذه الأفكار في العديد من الأبحاث [8].. حتى ليسأل سائل، في مناقشات المؤتمر : **«هل نعمل، وبصورة جادة على أن نرسل الآن منصرين من الأقطار غير الغربية ؟ أي من تلك الأقطار التي ليس لها ماض في مساعدة إسرائيل [9] ؟»**

وفي واحد من أبحاث هذا المؤتمر اعتراف بأن ما حققه التنصير من نجاحات محدودة بين المسلمين، ما كان – برغم محدوديته – أن يتم، لولا سلطات القهر الاستعماري التي مكنت له من هذه النجاحات.. وهي حقيقة تاريخية، أصبحت عقبة أمام التنصير.. **«حقيقة أن استراتيجية التنصير الأوروبية – الأمريكية كانت عموما مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعقلية الاستعمارية. ولهذا السبب كانت ناجحة كلما تعرضت الشعوب إلى التأثير القوي، وحتى إلى التخويف بالإنجازات الثقافية الأوروبية – الأمريكية.. لقد كنا مثل المهودين، أكثر نجاحا حيث يكون الناس على الأقل مستعدين للتحول إلى أجزاء من ثقافتنا.. وقد قاوم المسلمون بصورة عامة، بالطبع هذا الإكراه الثقافي»** [10] ؟!..

كما يتساءلون – بصدد المقتضيات «الظرفية» ؟! : **«كيف يمكننا أن نفصل أنفسنا عن مواقف الحكومات الغربية من النزاع الإسرائيلي الفلسطيني؟ وأهم من ذلك كيف يمكننا أن نتفادى الاعتقاد السائد بين المحافظين من النصارى أن قيام دولة إسرائيل إنما هو تحقيق وعد الرب لإبراهيم – ذلك الاعتقاد الذي يبرر جميع تجاوزات إسرائيل على أنها تحقيق لتلك النبوءة ؟ ما الوسيلة التي نتجاوز فيها سيطرة الضمير الغربي السيىء في التعامل مع اليهود على حساب الفلسطينيين؟** [11]**»**.

إنهم يحاولون، بالمكيافيلية، إخفاء الوجه الحقيقي للعنة التاريخية التي تمثلها عدوانية الغرب الاستعماري والنصرانية الغربية على الإسلام وأمته وحضارته وعالمه..

«فالطابع العام والمشترك، في كل من الامبراطورية العثمانية والجمهورية التركية، هو أن النصرانية والمؤامرات الخارجية والغزوات كانت دائما مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا (الحملات الصليبية، والتوسع الروسي في القرن التاسع عشر، والأمريكيون في الحرب العالمية الأولى، والاستغلال الرأسمالي بواسطة الدول الكبرى.. إلخ..).. إن الأتراك يساوون من يصير متنصرا بالخائن..[12] »؟!

وكما ينصح قساوسة التنصير بالهروب من مواجهة الإسلام الحقيقي – إسلام الكتاب والسنة – إلى «إسلام» العفاريت والخزعبلات ؟!.. وبالهروب من حقيقة التاريخ إلى زيف النفاق والمكيافيلية اللاأخلاقية.. ينصحون كذلك بالتركيز على الفئات الهامشية والدنيا في المجتمعات الإسلامية.. تلك الغارقة في الجهل والتي تعاني من القلق الناتج عن الفقر والتخلف اللذين كرسهما الاستعمار!.. فينتقدون توجه المنصرين إلى الطبقة الوسطى، وينصحون باصطياد الفرائس من الطبقات الدنيا والفئات الهامشية منها على وجه التحديد.. فيقولون :

«إن معظم العمل التنصيري الدائر حاليا يجري في أوساط أعضاء الطبقة المتوسطة وفوق المتوسطة.. بينما هذه الطبقة هي أكثر الطبقات تعرضا للخسارة بانضمامها إلى النصرانية.. بينما يكون اكتساب أوساط الطبقات الدنيا سهل، وأفرادها هم الأكثر ربحا في انضمامهم إلى النصرانية، حيث لا يوجد لديهم ما يخسرونه»؟!..

ولذلك يدعون إلى الاستفادة من خبرات علماء الاجتماع في «كشف وتصنيف الوحدات المتجانسة المتعددة في أوساط الطبقات الدنيا في الدول الإسلامية.. الجغرافية، والمستوى الاقتصادي، والمهنة الوظيفية، والجنس، والانتماء السياسي، والروابط الأسرية، والانتماء الديني، والسلالة، والسكن (المدن والقرى)، والمدارس، ومشاكل ذات طبيعة مختلفة.. لأنه، مثلما توجد طبقة أكثر مقاومة وأخرى أكثر تقبلا داخل المجتمع، فهناك أيضا أجزاء أكثر مقاومة وأخرى أكثر تقبلا داخل كل وحدة متجانسة..[13] »!

وهم يضربون على نجاح هذا المخطط - مخطط التركيز على «(إسلام) العفاريت» و«الطبقات الهامشية» والشرائح القلقة - بالنجاحات التي حققوها في إندونيسيا[14]..

* * *

ذلك طرف من نقد قساوسة التنصير لواقع وتاريخ التنصير في عالم الإسلام...

وتلك هي حقيقة «توبتهم» عن جرائمهم وجرائم أسلافهم.. لا علاقة لها بـ «التوبة» الحقيقية.. وإنما هي المكيافيلية، التي يبررونها بـ«الظرفية»!.. يخفون بها حقيقتهم وحقيقة وسائلهم.. فبدلا من المواجهة، بالوسائل المباشرة للإسلام.. يهرعون ويهربون إلى التنكر والتخفي والتسلل لهدم الإسلام من داخل نسقه.. وصولا إلى ذات الأهداف.. بل وإلى مستويات لم يحلم بها أسلافهم السابقون!.

الهوامش

(1) المصدر السابق. - الظرفية والتحول والتأصيل - لـ «شارلي. ر. تيبر» - ص 220.

(2) التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي. - الخطاب الرئيس - لـ «و. ستانلي مونيهام» - ص31- 36.

(3) المصدر السابق. ص 62، 50 - 52.

(4) المصدر السابق. ص 139، 147.

(5) المصدر السابق. - تطبيق «مقياس انيكل» في عملية تنصير المسلمين - لـ «ديفيد أ. فريزر» ص243.

(6) المصدر السابق. - دور الكنائس المحلية في خطة الرب لخلاص المسلمين - لـ «فرانك س. خير الله» - ص 853.

(7) المصدر السابق. - الظرفية والتحول والتأصيل - لـ «شارلي : ر. تيبر» - ص 214. - وانظر - بالنسبة إلى التوصية ربط خريطة فلسطين بدولة إسرائيل - بحث «الوضع الراهن لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين» - لـ «وليام د. رايبرن» - ص 553.

(8) المصدر السابق - مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في الشرق الأوسط - لـ «نورمان هورنر» - ص402.

(9) انظر ص 403.

(10) المصدر السابق. - كنائس ملائمة للمتنصرين الجدد في المجتمع الإسلامي - لـ «تشارلز كرافت - ص 170.

(11) المصدر السابق. - الظرفية والتحول والتأصيل - لـ «شارلي. ر. تيبر» - ص213، 214.

(12) المصدر السابق. - مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية في تركيا - لـ «محمد إسكندر» - ص 423، 422.

(13) المصدر السابق. - تطوير وسائل جديدة لتساعد في تنصير المسلمين - لـ «دونالدر. ريكاردر» - ص 638، 639.

(14) المصدر السابق. - تحليل المقاومة والاستجابة لدى الشعوب المسلمة - لـ «دون م. ماكري» - ص 267.

الفصل الثالث

اختراق الإسلام ؟!..

ان الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية.. وان النظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا .. انه - الإسلام - حركة دينية معادية للنصرانية ، مخططة تخطيطا يفوق قدرة البشر. ونحن بحاجة الى مئات المراكز، تؤسس حول العالم ، بواسطة النصارى، للتركيز على الإسلام. ليس فقط لخلق فهم أفضل للإسلام، وللتعامل النصراني مع الإسلام، وانما لتوصيل ذلك الفهم الى المنصرين من أجل اختراق الإسلام، في صدق ودهاء؟!..!

من أبحاث مؤتمر كولورادو
لتنصير المسلمين

لقد رفع قساوسة التنصير، الذين ائتمروا في مؤتمر «كولورادو»، شعارا أجمعوا عليه، وقتلوا مضامينه ومتطلباته وآليات تحقيقه بحثا.. وهو - بنص كلماتهم -:

«لنعمل، ليس فقط على خلق فهم أفضل للإسلام، والتعامل النصراني مع الإسلام، وإنما لتوصيل ذلك الفهم إلى المنصرين من أجل اختراق الإسلام [1]»؟؟!..

ففي الخطاب الرئيس للمؤتمر يحددون وينبهون على الثغرات التي يدعون إلى اختراق الإسلام منها.. وهي - حسب تصورهم -:

أ- **الثغرات الداخلية**: بين المسلمين.. مذهبية.. وقومية.. وعرقية.. وطبقية.. ومعرفية.. إلخ.. ويدعون إلى استراتيجية خاصة في التعامل مع كل فئة أو جماعة من هذه الجماعات الإسلامية، لاكتشاف المفاتيح الخاصة بتنصيرها..

ب- **الثغرات الخارجية**: التي فتحتها في جدار الإسلام الضغوط الخارجية التي تعرض ويتعرض لها.. من مثل ثغرة **التقليد، من فئات مسلمة، للغرب**؟!.. وثغرة **«الأفكار العلمانية»**، التي قالوا إنها تسهل لهم تنصير المسلمين؟!.. وثغرة التغييرات الاجتماعية التي نقلت - بسبب الثروة - مجتمعات إسلامية تقليدية إلى نمط استهلاكي ترفي غربي، خلخل حياتها المرتبطة بقيم الإسلام، وفتح فيها للتنصير ثغرات؟!.. وثغرة اغتراب المسلمين في المجتمعات الغربية وهم «مفتقرون إلى الدعم التقليدي الذي توفره المجتمعات الإسلامية، فيشعرون بالتمزق، ويكونون غير واثقين بأنفسهم، ويعيشون نمطا من الحياة يختلف عن ذلك الذي يجب عليهم اتباعه».. فتنفتح في عقولهم للتنصير ثغرات؟!.. وثغرة «النزعة العصرية» - الغربية - التي زرعت الارتباك في الحياة الإسلامية «وأضعفت من قبضة الإسلام وتأثيره»؟!.. أي أنهم - باختصار - قرروا اختراق **الإسلام من خلال الأمراض الذاتية لأهله - وهي الأمراض التي كرسها الاستعمار، لتمثل فراغا يستدعي ويقبل التغريب والتنصير.. ومن خلال الثغرات التي أحدثها الغرب الاستعماري في ميادين الفكر والواقع وأنماط المعيشة بعالم الإسلام؟!..**

لقد حدد الخطاب الرئيس للمؤتمر هذا المخطط، فقال:

«إنني أشعر شخصيا بوجود مجال كبير للتشجيع والتفاؤل.. هناك،

على الأقل، حقيقتان معاصرتان عن الإسلام تؤيدان هذا التفاؤل:

أولا: الخلافات والفرقة في داخله، والضغوط التي تدعو إلى التغيير، والتي تهاجمه. لاحظوا أن الإسلام لم يعد ذلك الدين المتماسك كما كان عادة يوصف في السنوات الماضية. بل هو عالم من الخلافات الواسعة والتفرق.

لقد أصبحنا أكثر وعيا، بعد لقاء «لوزان» [2]، على ضرورة النظر إلى العالم على أنه يتكون من مجموعات متميزة من البشر، وأن علينا التعامل مع كل مجموعة باستراتيجية تنصيرية خاصة.

إن هناك أكثر من خمسين أمة تقول إنها إسلامية، كما توجد جاليات إسلامية في أكثر من 150 دولة، وأكد دكتور «رالف ونتر» وجود نحو 3500 مجموعة فرعية في أنحاء العالم.

وكما أن المسلمين ليسوا شعبا واحدا، فإن الإسلام ليس عقيدة موحدة، فهناك الإسلام الشعبي، الذي يتبعه ملايين المسلمين، والذي هو خليط من الأرواحية والتقاليد، وهناك الإسلام الأسود، الذي تدين به الأقليات السوداء في أمريكا، كما يوجد أيضا الدين الإسلامي المدني، الذي يمارسه ظاهريا المتعلمون والطبقات الراقية من المسلمين الذين يفتقرون داخليا إلى «الإيمان الحقيقي». وتطبق أقلية نسبية الإسلام المستند إلى تعاليم القرآن والسنة النبوية.

وثانيا: ويضاف إلى اختلاف المسلمين أنفسهم أن الإسلام كعقيدة يتعرض لضغوط عديدة، منها:

اندفاع المسلمين لتقليد الغرب، والأفكار العلمانية، والتغييرات الاجتماعية، فأولئك الذين كانوا يسكنون خياما مصنوعة من جلود الأغنام ويركبون الجمال عبر كثبان الصحراء، في نمط للحياة لم يتغير منذ قرون عديدة، أصبحوا اليوم فجأة يقتنون سيارات المرسيدس وأجهزة التلفاز والساعات الإلكترونية والمصارف الأمريكية، وتم افتتاح فروع «لدجاج كنتكي المقلي» في الكويت وأبو ظبي، حيث يتمكن العرب من مضغ قطع لحوم الدواجن المشحونة من ولاية كارولينا الشمالية!.

ويتزايد باطراد عدد المسلمين الذين يسافرون إلى الغرب، ولأنهم يفتقرون إلى الدعم التقليدي الذي توفره المجتمعات الإسلامية، فإنهم يشعرون بالتمزق، ويكونون غير واثقين بأنفسهم، ويعيشون نمطا من الحياة يختلف عن ذلك الذي يجب عليهم اتباعه، ولقد كتب «ماكس كيرشو» – في بحثه الذي قدمه إلى هذا المؤتمر – يقول: «يبدو أن عقيدة الغالبية العظمى من المسلمين في الغرب، سواء أكانوا مهاجرين أم طلابا أم زوارا، تتعرض للتأثير..». ويجسد هذا تأثيرا خطيرا للتماسك الإسلامي. وقد أشار أحد الكتاب المسلمين إلى أن انتشار النزعة العصرية لم «يزرع الارتباك فقط، ولكنه أضعف من قبضة الإسلام وتأثيره، كما أدى إلى فصل أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي عن بعضها بعضاً أكثر من أي وقت مضى»..

« أنا أعتقد أننا نستطيع أن نجد وسط هذا التباين داخل الإسلام، والضغوط التي يتعرض لها من خارجه الكثير من أسباب التفاؤل بأن رسالة يسوع المسيح ستجد أذنا صاغية..[3] »!

فمبعث التفاؤل بإمكانية اختراق الإسلام، لتقويضه من الداخل، وتنصير كل المسلمين، هي الأمراض الداخلية للمسلمين.. والضغوط الغربية التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون..

ثم يمضي المؤتمر، من خلال أبحاثه ومناقشاته، في تفصيل الحديث عن الثغرات.. ورسم مخططات الاختراق!..

إنهم يركزون على ضرورة فهم الإسلام كدين.. وعلى الأهمية القصوى لفهم تصورات المسلمين لهذا الدين.. لاكتشاف ثغرات الاختراق.. إذ كيف سننصر المسلمين «**إذا لم نحاول أن نفهم تفكيرهم وموقفهم إزاء الحياة والعقيدة التي يؤمنون بها؟! إذن يتعين على كل واعظ نصراني بين المسلمين أن تكون له معرفة كبيرة بمعتقداتهم وشعائرهم وآمالهم وطموحاتهم.. وعلى الكنيسة المهتمة بتنصير المسلمين أن تجعل كل الجهود التي تقوم بها منسجمة مع المحيط الثقافي الذي تعمل فيه، وأن تشارك في الطموحات المشروعة للسكان المحليين** »[4]؟!

فالمشاركة في المشروعات والأنشطة، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية – التي تمارسها الكنائس في المحيط الإسلامي– هي التنفيذ لمخطط: «الفهم.. للاختراق».. ولذلك

فليتنبه المتنبهون؟!..

ولقد وقف قساوسة التنصير موقفا نقديا من قصور معرفتهم بالإسلام، ذلك القصور الذي لم يتح لهم اكتشاف ثغرات الاختراق، للتقويض من الداخل، على النحو الذي رسمه المخطط التنصيري الجديد.. فترددت في أبحاث المؤتمر عبارات:

«كانت أبحاثنا في الموضوعات الإسلامية في كثير من الأحوال تكتيكية فقط، ومعدة حتى تناسب مزاجنا وهدفنا، وينقصها الاحترام، وكثيرا ما أصدرت أحكاما قطعية من جانب واحد، وكانت سطحية، ونادرا ما كانت أبحاثا حقيقية..(5)»؟؟!..

وبعد هذه الشهادة التي تدين أكثر كتابات المنصرين عن الإسلام.. يطلب قساوسة التنصير – في مجال الفهم للإسلام – الاستفادة من ثمرات الدراسات التي تنجزها عن الإسلام مؤسسات التعليم ومراكز البحوث العلمانية.. الأمر الذي ينبه **إلى أن كل مراكز البحث والدراسة المعنية بفهم الإسلام والمسلمين إنما تصب ثمراتها في كل الأوعية المعادية للإسلام والمسلمين، وفي جميع ترسانات كل الكتائب المنخرطة في مواجهة الإسلام والمسلمين، بصرف النظر عن تعددها وتنوعها وتوزعها على الثغرات والجبهات؟!.. بل إنهم يسخرون ثمرات بحث المراكز التي يعمل فيها مسلمون؟!..**

يقولون: «إن مختلف مؤسسات التعليم العالي المرتبطة بالكنيسة لها أيضا مقررات عن الإسلام، ولاشك في أن أبحاثا مهمة تتم تحت رعايتها، ومع ذلك فهي ليست مركزا للبحث بالمعنى العلمي، وهنالك مراكز دراسات أخرى يعمل فيها مسلمون عملا يعد جزءا من الاهتمام العام لهذه المراكز. ولم يُبذل جهد لتحليل البرامج الأكاديمية في الدراسات الإسلامية والتي تمت تحت رعاية علمانية أو إسلامية، وهذا الموضوع يحتاج إلى معالجة أوسع..(6) ».

إنهم يؤكدون على «أن ظاهرة الإسلام واسعة بالدرجة التي يستطيع المرء فيها أن يتصور الحاجة لاثني عشر، وربما مئات المراكز لتؤسس حول العالم بواسطة النصارى، ولتكون مخصصة للتركيز على الإسلام،

كل واحد منها يمثل مبادرة لمجموعة معينة من النصارى، يمكن أن تحدد جغرافيا أو على أي أساس آخر.. ولتعمل ليس فقط على خلق فهم أفضل للإسلام، والتعامل النصراني مع الإسلام، وإنما أيضا لتوصيل ذلك الفهم إلى واحد أو أكثر من مجموعات المنصرين في أمريكا الشمالية.. إن رؤية أشمل للموضوع هي مهمة جدا من أجل اختراق الإسلام[7].. »؟!

إنها دعوة لزرع الكرة الأرضية بمراكز البحث في الإسلام.. لتصنيع قذائف للتنصير تمكن أهله من اختراق الإسلام.. مع التنبيه إلى أهمية أن تكون قيادة ذلك كله للقساوسة الأمريكان.. أقطاب النظام التنصيري العالمي؟!..

ولقد تحدثت أبحاث المؤتمر عن الدوافع المختلفة للباحث الغربي في الإسلام.. وميزوا فيها بين الدوافع الرومانسية.. والدوافع العملية.. والدوافع الأكاديمية.. والدوافع الدينية.. «فهناك عدة دوافع لإعداد أبحاث في الإسلام:

1- **أحد هذه الدوافع:** ما يمكن وصفه بالاهتمام الرومانسي..

2- **أما الدافع الثاني فهو الدافع العملي:** وهو الذي وجد فرصة في عالم اليوم، ويتعلق بعاملين:

ا - الدولية في العالم الحديث، من ناحية.

ب - واستعادة الدول الإسلامية للهيبة والقوة الاقتصادية من ناحية أخرى.

فكل من هذين العاملين يجبر الغرب النصراني على أن يكافح من أجل معرفة أعمق بالإسلام والمسلمين. إن حقيقة أن بعض الشعوب الإسلامية قد دخلت في مجموعة أصحاب القوة والنفوذ قد ركز اهتماما جديدا على المسلمين. كيف سيوجه الإسلام أنشطة هذه الشعوب في المستقبل فيؤثر بذلك على مصير الجنس البشري؟ إن الحقائق الحيوية والاقتصادية الدولية تعتبر اليوم عوامل مهمة تشجع البحث النشط في الإسلام.

3- **أحد الدوافع المألوفة: هو المتابعة الأكاديمية للمعرفة،** وقد قدم علماء الجامعة، ومازالوا يقدمون، مدفوعين بهذا الحافز، عددا

ضخما من الأعمال العلمية حول مختلف جوانب الإسلام، وقد وجدوا خلال ذلك فرعا جديدا من فروع المعرفة الحديثة أسموه «إسلاميات»، وقد اعتمدت الكنيسة بصورة كبيرة، في التنصير، على نشاط وذكاء المتخصصين بالإسلاميات، الذين من بينهم عدد كبير من النصارى الذين وقفوا أنفسهم على خدمة عقيدتهم، ومازالوا يواصلون في جامعات العالم عملهم مشجعين وممثلين أساسيين للدراسة المكثفة والعلمية عن الإسلام.

4- أما الدافع الذي ينتقل إلى عالم القلب: فهو الدافع الديني، أي البحث عن الحكمة الروحية، وهذا الدافع يختلف عن السعي وراء المعرفة، لأنه يشمل البحث عن الحقيقة المعيارية، وقد حرك هذا الدافع قطاعا واسعا من الأفراد، حيث نجد على أطراف السلسلة أولئك الذين يبحثون عن النور والبصيرة الروحية حيثما وجدت من أجل نموهم الروحي، وعلى الطرف الآخر يوجد أولئك الذين يحاولون الفهم بطريقة منهجية، طبيعة النشاط الإلهي بين الناس والاستجابة الإنسانية في الأديان، وعلى ضوء نظامهم اللاهوتي، تركزت هذه الجهود عند النصارى في الحلقات الدراسية وفي مجالات التنصير، ونتج عن ذلك ما يسمى «لاهوت الدين»، وهو مجال ذو أهمية متناهية في الدراسات اللاهوتية النصرانية.

« إن مظاهر هذه الدوافع، والدوافع الأخرى، تتوافق وتتداخل مع الدوافع «النصرانية» الأكثر تحديدا..» (8).

إذاً، هناك «دوافع نصرانية» خاصة ومحددة لدراسة الإسلام، بهدف اختراقه وتقويضه وتنصير المسلمين.. وأصحاب هذه الدوافع – قساوسة التنصير– لا يكتفون بالأبحاث التي ينجزها أصحاب هذا الاتجاه.. وإنما هم يستثمرون كل الأبحاث – في الإسلاميات – التي ينجزها كل أصحاب الدوافع لدراسة الإسلام.. الرومانسيون.. ومراكز السياسة الدولية.. والاقتصاديون، الذين يواجهون قوة الثروة الإسلامية.. والذين استنفروا عقولهم لتطويق

اليقظة الإسلامية.. والأكاديميون الذين يخدمون نصرانيتهم بما ينجزونه في الدراسات الإسلامية بالجامعات العلمانية.. إنها جبهات «الأواني المستطرقة»، تسري ثمراتها لتخدم جيش الغرب، بكتائبه المتميزة، في مواجهته الموحدة مع الإسلام والمسلمين!..

بل لقد اعترف قساوسة التنصير، في بروتوكولات مؤتمر «كولورادو»، بأن مراكز الأبحاث النصرانية التي أقاموها في عالم الإسلام، إنما هي، في الحقيقة، لدراسة الإسلام، بهدف تنصير المسلمين، وليست لدراسة النصرانية؟!.. وبنص عباراتهم «فإن «مركز الدراسات النصراني» في «روالبندي» - (بباكستان) - هو في الواقع مركز للدراسات الإسلامية، وهو يحاول أن يؤمن قاعدة للتفاهم المتبادل بين النصارى والمسلمين، وأن يعلم النصارى كيف ينصرون المسلمين بطريقة فعالة.. وتقدم «إرسالية إخوان القديس أندروز» في «لاهور» - (بالهند) - منزلا مؤقتا وتعليما نصرانيا للمتحولين المسلمين الجدد.. وتسعى «رابطة تنصير الأطفال» و «إرسالية الخدمات الخاصة» لاستمالة الأطفال إلى جانب المسيح عن طريق تنظيم اجتماعات الأطفال وتجمعاتهم في مدرسة يوم الأحد، وتقديم الوسائل السمعية والبصرية لتشجيع الأطفال على تسليم أرواحهم للمسيح[9].»؟!..

لقد طلب قساوسة التنصير، في ميدان دراسة الإسلام، إلى جانب دراسة الثغرات - لاختراقه منها - طلبوا دراسة عوامل القوة والمنعة والصمود والجاذبية في الإسلام، إما للالتفاف حولها، وتجنب مواجهتها.. أو لمحاولة كسر شوكتها.. تحقيقا لذات الهدف: الاختراق؟!.. فقالوا: «إن من المأمول أن يقوم البعض بإجراء دراسة حول بواعث التحول من الأرواحية[10] أو أي مذهب آخر إلى الإسلام. فلماذا يتحول الناس إلى الإسلام؟!..[11]».

وتحدثوا عن صمود الإسلام أكثر من سبعين عاما تحت قهر المادية والإلحاد الماركسي.. وكيف كان في أذربيجان نحو 1000 مسجد سري سنة 1969م؟!.. وكيف صمدت الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى في وجه اللغة الروسية.. فحتى سنة 1970م كان 83٪ من مسلمي هذه الجمهوريات يجهلونها؟!.. وكان 98٪ «يعتبرون لغتهم

الأصلية هي لغتهم الوطنية، بدلا من الروسية»؟!.. وكيف صمد الإسلام في الصين، برغم ما صنعه الشيوعيون من إلغاء أوقاف المساجد والمعاهد والمدارس الإسلامية، ومنع التعليم الإسلامي، بل والختان، وفرض الزواج من «الهان» على المسلمات [12]؟!..

وهكذا «أوصى المؤتمر بدراسة المشاكل اللاهوتية التي تؤثر في تنصير المسلمين، ونشر كلِّ الدراسات التي تساعد النصراني العامل في هذا المجال..» [13].. سواء أكانت ثغرات داخلية.. أم ضغوطا خارجية.. أم عوامل منعة وقوة وصمود.. فدراسة جميع ذلك– في الإسلام والمسلمين – مطلوب لاختراق الإسلام وتنصير المسلمين!..

* * *

وجدير بالانتباه أن هؤلاء القساوسة الذين طلبوا «زراعة» العالم بمراكز الأبحاث والدراسات في الإسلاميات، هم الذين يدعون إلى الهروب من الحقائق عند مواجهة الإسلام؟!.. ويصرحون بأن عرض حقائق وثوابت وأصول وأركان النصرانية على حقائق وثوابت وأصول الإسلام، عند المواجهة، سيجعل الاختراق – عن طريق التخفي والختل – أمرا مستحيلا.. فطلبوا تجاهل حقائق الدينين، والالتفاف حولها.. وإيقاع المسلم في حبائل «الإيمان» النصراني قبل أن «يفهم» حقيقة هذا «الإيمان»؟!..

لقد دعوا إلى ذلك، فقالوا:

«إذا كان جوهر الإيمان في الإسلام هو التوحيد، فإنه صحيح أيضا أن مركز الإبداع في الإنجيل هو الثالوث الأقدس. إن مفهومي: «الرب محبة» و «يسوع هو المحبة المجسدة» هما مفهومان للرب كشخص يتجاوز مفهوم الوحدانية الحسابية للرب..

إن كل مقاييس الطبيعة غير مناسبة كلية لتعريف مفهوم المحبة الإلهية على الطريقة النصرانية، التي تجعل من الإنسان إلها وابنا للإله في آن واحد، إن جوهر هذا المفهوم لا يمكن إدراكه إلا من خلال دائرة الإيمان، وعليه فإن المنصر يجب أن يدخل في علاقة عميقة مع المسلم تؤدي إلى الإيمان قبل أن يكون ممكنا إدراك هذا المبدأ. إن المنصرين

قد قبلوا عامة بالمنهج الذي يقول به كل من أوكاستين [14] وأنسلم[15]: «إني أومن حتى أتمكن من أن أفهم» [16]!..

فهم يعترفون بأن محور الاعتقاد النصراني - الإنسان الإله وابن الإله في آن واحد - هو اعتقاد يستحيل أن يعقل أو يفهم بكل المقاييس والمناهج الطبيعية للفهم.. ولذلك يطلبون الهروب من المواجهة حوله.. ويدعون إلى ايقاع الفريسة في حبال «إيمان» غير مؤسس على «فهم».. أملا في أن «يفهم» بعد تخليه عن إيمان إسلامي مفهوم ومعقول، بدخوله في «إيمان» لا معقول ولا مفهوم؟!..

وهم يدعون إلى شيء مماثل، هربا من المواجهة مع الإسلام حول عقائد النصرانية في «الخطيئة الأولى» وتحمل البشرية لأوزارها - ويعترفون بقوة الموقف الإسلامي المستنكر والمنكر للا أخلاقية هذا الاعتقاد (...وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ...)[17] وما بنوا على هذا «الاعتقاد - اللاأخلاقي.. واللامنطقي» من عقيدة «الصلب» - يدعون إلى الهروب من المواجهة مع الإسلام حول محاور الاعتقاد النصراني هذه، والاكتفاء بوجود «نية الصلب» لدى اليهود للمسيح، زاعمين تضمن ذلك «قدرا من خطيئة العالم»؟!.. أما كيف؟!.. فلست أدري ولا المنجم يدري؟!!..

يقولون، في دعوتهم إلى منهج الهروب والمخاتلة والاحتيال:

«هنالك حاجة ملحة في الجانب السلبي تدعو إلى تحرير الفكر الإسلامي من الإحساس الخاطئ الذي يثيره مصطلح «الخطيئة الأولى» في نفوس المسلمين..

إن الكتاب المقدس الذي يدعو إلى أن عيسى هو المخلص يلزمه أن يواجه الحيرة الأساسية والكراهية الراسخة في الإسلام لهذا المفهوم.. وانطلاقا من مقطع مهم في القرآن (157:4 وما يليها): (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا *) [18] -.. ونتيجة لاعتبارات أخرى في اللاهوت الإسلامي، فإن

الإسلام يرى:

1- أن المسيح لم يصلب.

2- وأن الصلب ما كان من الواجب أن يحدث.

3- وأن الصلب لا حاجة إلى حدوثه.

فالإسلام ينكر حدوث الواقعة تاريخيا، ويرفض احتمال حدوثها على أساس أخلاقي، كما يرفض الضرورة لها على أساس عقائدي.

أما من الناحية التاريخية، فيوجد الاعتقاد السائد برفع المسيح إلى السماء وإبداله بشخص يشبهه اعتقد خطأ بأنه يسوع.

ويجب أن نلاحظ هنا أن هذا يبقينا مع يسوع الذي حاول بعض الرجال قتله، ومع يسوع الذي كان على استعداد للمعاناة، لأن عملية «الإنقاذ» التي «تخلصه» جاءت في اللحظة الأخيرة فقط، وهي طبعا ليست ذات قيمة لولا وجود خطر مهلك كان قد أضمر له، ولذلك فإنه لايزال بإمكاننا أن نرى في نية صلب المسيح المبشر والمداوي قدرا من خطيئة العالم التي تمثل جانبا كبيرا في الكتاب المقدس للمسيح المصلوب.

ولكن التساؤلات المتعلقة بما إذا كان المسيح قد عانى حقا، وإذا كان الرب «يصالح العالم مع ذاته» من خلال معاناة المسيح، لا يمكن مواجهتها إلا من خلال اعتقادين آخرين يتعلقان بإنكار الإسلام لصلب المسيح، فالمسلمون يعتقدون أن يسوع ما كان ينبغي أن يتعذب بهذا المعنى الذي يتضمن عجز الرب أو إهماله في الدفاع عن خادمه (بل وأكثر من هذا إن قلنا ابنه!). ومن هذا المنطلق فإن الرب «يودع قدرته» في حقيقة أن المسيح لم يمت، علاوة على ذلك فإن تحمل عقاب الإثم نيابة عن الآخرين ليس من الأخلاق في شيء، فالقرآن يقول: (...وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ...)، إذ ليس من العدل معاقبة (ا) لذنب ارتكبه (ب)، ولهذا فالمسلمون يشعرون بأن فكرة

البديل النصرانية هي فكرة غير أخلاقية إلى حد بعيد[19] »..

يهرب قساوسة التنصير من لا أخلاقية ولا معقولية عقيدة الخطيئة - التي تقوم عليها النصرانية - ومن انتفاء الصدق التاريخي عن واقعة الصلب والقتل للمسيح.. ويدعون إلى الاكتفاء، في المواجهة مع الإسلام بوجود «نية للصلب» عند بعض الرجال.. متغافلين عن أن الوقوف عند هذا إنما يعني تصديق القرآن وتكذيب الإنجيل.. وفي ذلك - مع الإقرار بلا أخلاقية عقيدة الخطيئة - نسف للنصرانية من الأساس؟!..

* * *

أما قمة اللاأخلاقية في هذا المنهج التنصيري، فإنها تأتي في دعوة قساوسة التنصير إلى صب المضامين النصرانية في أوعية المصطلحات والرموز القرآنية، وتقديم هذا «السم في العسل» طعما لتنصير المسلمين؟!.. وهم في هذه اللاأخلاقية يقتدون - كما يقولون «باستخدام الرسول بولس للإله الإغريقي «المجهول» [20]؟!.. فكما وضع بولس مضامين النصرانية في أوعية وثنية إغريقية - وهو ما أفسد النصرانية وأخرجها عن حقيقتها!- يدعون هم، اقتداء به، إلى صب هذه المضامين الفاسدة في أوعية الإسلام القرآنية، ليفسدوا على المسلمين إسلامهم بهذا التنصير؟!.. ولا حول ولا قوة إلا بالله!!..

إنهم يدعون إلى مزج «الصدق» بـ«الدهاء» في هذه المهمة اللاأخلاقية!!.. أما نصوصهم الشاهدة على هذا المخطط فإنها تقول عن اكتشاف «الجسور» للاختراق منها.. واكتشاف «الحواجز» للالتفاف حولها؟!:

«.. كيف يمكننا الاستفادة من نظرة الإسلام تجاه وحدانية الرب وسموه؟

كيف يتسنى لنا التغلب على قناعة المسلمين بأننا نؤمن بثلاثة آلهة؟

كيف يمكننا الاستفادة من المكانة الجليلة التي يتمتع بها يسوع في الإسلام لنجعلها نقطة انطلاقنا لإقناع المسلمين بصحة ما يرويه الإنجيل عنه؟

كيف يمكننا التغلب على النصوص القرآنية التي تكذب بعض الأجزاء المهمة من رؤية العهد الجديد؟

هل يمكن أن نحدث الناس عن الحقيقة الواردة في المعنى الإنجيلي المجازي «ابن الرب»، دون أن نستخدم التعبير ذاته لكي نتخطى سوء الفهم المتأصل في هذه العبارة؟

كيف نستفيد من التطابق الذي نجده بين المثل الإسلامية والمثل النصرانية، وبذلك نتمكن من دعوة المسلمين إلى الإيمان بيسوع المسيح؟[21]».

وفي «تقرير المؤتمر» يتحدثون عن مشروع جدول أعمال مركز الأبحاث الرئيس الذي أقاموه، فنجد من مهامه: «أن تسعى المجموعة الدراسية لتحري القضايا اللاهوتية التي لها علاقة بإيصال الكتاب المقدس إلى المسلمين، وتكون هذه المجموعة مخولة بإعداد دراسة مقابلة بالاصطلاحات اللاهوتية الإسلامية - النصرانية المهمة، وتتبع ذلك بدليل عن الجسور والحواجز الفعلية للدعوة النصرانية إلى الإسلام، وتشتمل هذه الجسور التي تربط الديانتين على مفاهيم مثل: الرب، الحساب، الشيطان، الجنة، الجحيم، الولادة البتولية، الكهنوت، عودة المسيح ثانية، الحاجات الملحة للرجال والنساء، صلاة الرب».

أما الحواجز - بين الديانتين - المطلوب تحديدها، للالتفاف حولها والهروب منها.. فمن أمثلتها «المسائل المثيرة للجدل، مثل: حاجة الإنسان للخلاص من الخطيئة، وأهمية الصلب، وألم المسيح من أجل تكفير خطايا البشر، والثالوث المقدس، والتجسد، والاصطلاحات الدينية، وتفسير التاريخ، وعلاقته بالسياسة، ووحدة الإنجيل... إلخ..».

ونحن عندما نقابل ما يسمونه بـ «الجسور» بما يسمونه بـ «الحواجز»، نجد أن جوهر النصرانية، بل كلها «حواجز».. وأن المراد هو صب «الحواجز» في «مصطلحات» إسلامية لها مضامينها المخالفة تماما، بل والمناقضة، لهذه «الحواجز» النصرانية؟!..

ولذلك رأينا «تقرير مؤتمر» قساوسة التنصير، بعد أن أوصى بدراسة هذه القضايا، من قبل مركز الدراسات المقترح.. والذي تأسس باسم «معهد زويمر»: طلب «أن يعطى اهتمام خاص إلى علاقة هذه الدراسات بتلك النقاط المهمة للاحتكاك مع

الإسلام الشعبي، على مستوى الخبرة الأساسية» [22].. وهي دعوة إلى سلوك «جسور» ما يسمونه «الإسلام الشعبي»، أي إسلام «العفاريت والخرافات»، هربا من حقيقة الإسلام، التي لا تقبل وفاقا، بل ولا تلفيقا مع هذه النصرانية التي فقدت جوهرها وهويتها كديانة من ديانات التوحيد!..

وفي بحث آخر من أبحاث هذا المؤتمر.. حديث عن ذات القضية.. الاختراق للإسلام من خلال القرآن الكريم؟!.. باعتبار ذلك هو الطريق المضمون للتنصير؟!.. يقولون:

«إذا أردنا من المسلمين أن يفهموا حقيقة جديدة، أو أن يكتشفوا مضامين أوسع من هذه الحقيقة، أو ليس من الأجدى أن نستخدم القرآن ذاته – وهو المصدر الحقيقي لجميع معتقداتهم – لمساعدتهم على إدراك ذلك؟..

إن النصارى غالبا ما قللوا من قيمة كتاب المسلمين المقدس بالنسبة إلى ما نسميه إمكانات القرآن «النصرانية الكامنة».. والاحتمالات النصرانية الكامنة في القرآن.. وهذا مرده بلاشك إلى تاريخ طويل من العداء والتنافر والاتهامات المتبادلة الباطلة. وإنه من الحكمة أن نترفع عن ذلك دون أن يعيق هذا الاتجاه مواجهتنا للمشاكل والمناقشات المتعلقة بنبذ بعض الأمور المنصوص عليها في بعض أجزاء القرآن أو الناجمة عن تخوفنا من المخاطر التي قد يوقعنا فيها الأمل..

فالمسألة النهائية بالنسبة إلينا ليست في كيفية تقويم القرآن في أرضه، وإنما ماهية المفاتيح والحلول التي يمكن أن يقدمها لنا لزرع الثقة بالإنجيل في العالم الإسلامي..».

فالقضية لا علاقة لها بتقويم القرآن تقويماً موضوعيا.. وإنما هي البحث عن «المفاتيح» التي يريدون بها فتح قلوب المسلمين، بهذه المفاتيح القرآنية، ليدخلوا فيها نقيض القرآن.. ونقيض حقيقة هذه «المفاتيح» ومع هذه البروتوكولات يتقدمون إلى الناس بمسوح الكهنة ورجال الدين؟؟!..

ثم يمضي نفس البحث ليقول: «دعونا نواصل الحديث عن الجسور، إن للقرآن والإنجيل أرضية مشتركة من الإيمان بالخالق «هو (الله) الذي

يقول كن فيكون»، إن الخلق المبدع هو لله، والأرض الطيبة كذلك.. و«الأمانة» التي حملها الإنسان. والإنسان هو «خليفة» الرب في «حكم» النظام الطبيعي، وهو في ذلك مسير بإرادة إلهية. وتفهم الغاية الإلهية بالنسبة إلى العالم من خلال تسخيره للإنسان الفلاح والزارع والتقني والفنان والعالم الذي يمتلك ويستكشف ويستغل العالم بتفويض إلهي، كما أنه يكون مسؤولا عن أعماله هذه أمام الرب، فالإنسان مخلوق أدنى من الرب، وهو عبد للسلطة الإلهية، وخليفة ومندوب في مواجهة الطبيعة.. والنظرة القرآنية إلى الأنبياء في التاريخ لا تختلف كثيرا عن مرامي أمثلة المسيح عن الكرْم والكرامين والرسل، فخصوصية مهمة اليهود غير واردة، ولكن مسؤولية الإنسان أمام الرب في تسخير الطبيعة عبر التاريخ حقيقة مهمة في المفهوم الإسلامي للخلق وفي مكانة النبوة المتميزة في التاريخ..» [23].

لكن هذا الاتفاق والاشتراك بين نظرة القرآن والإنجيل إلى مكانة الخالق ومكانة الإنسان، لا يسوقها قساوسة التنصير لتكون منطقة تعاون بين الديانتين ضد الإلحاد، وضد المذاهب الوضعية والعلمانية التي تؤله الإنسان.. وإنما يسوقونها لتكون مفاتيح وجسور اقتلاع الإسلام وطي صفحة القرآن!..

إنهم يتحدثون عن ضرورة التحلي بـ«الدهاء» في «الوصول إلى المخزون النصراني في القرآن».. مع إدراك «الحواجز» للتغلب عليها [24]!..

بل إنهم يدعون إلى إلباس «الإنجيل» ثياب «القرآن» الكريم!.. فبعد الحديث عن استغلال «المصطلحات»، كمفاتيح وجسور و«طعم» لدس النصرانية وابتلاعها.. يتحدثون عن استغلال قواعد الإملاء القرآنية.. وشكل الحرف في اللغات الإسلامية والألقاب والتعبيرات القرآنية، «كأشكال وثياب» يخفون فيها الإنجيل، ويقللون بها الرفض الإسلامي لهذا الإنجيل؟!.. فيتحدثون – بصدد ترجمة الإنجيل إلى اللغات الإسلامية – فيقولون:

«من الممكن في بعض الأحوال الذهاب أبعد فيما يتعلق باستعمال المصطلحات القرآنية، مع إعطاء اهتمام خاص إلى الثقافات الإسلامية، وتكييف اللغة لحروف خاصة، واستعمال قواعد الإملاء القرآنية للأسماء

الإنجيلية المعروفة، واستعمال الألقاب التبجيلية والتعبيرات القرآنية..»[25] في ترجمة الإنجيل؟!..

وهكذا نجد أنفسنا أمام، ليس رجال دين، وإنما عصابة لصوص تتخفى في زي رجال الأمن، لتسرق أغلى ما لدى المسلمين: إيمانهم بالإسلام؟!..

والمضحك والمبكي، أن قساوسة التنصير هؤلاء لا يخشون سلطان القيم التي تعارف عليها الناس، من كل الأجناس والأديان، وهم يدعون إلى تقديم النصرانية في أشكال إسلامية.. وإنما الذي يضعونه في حساباتهم ويخشونه ردود فعل كنائسهم المحلية؟!.. فيقولون: «ومثل هذه الخطوات يجب أن يراعى فيها ردود فعل الكنائس المحلية»[26]!..

* * *

ونفس المنهج - منهج التحايل - يدعون لسلوكه عندما يتحدثون عن الاعتبارات والأولويات التي يجب أن تحكم اختيارهم لما يختارون تقديمه إلى الضحايا المسلمين من الإنجيل.. فينصحون بأن لا تبدأ عملية التنصير بنصوص الإنجيل التي تتحدث عن «ابن الرب» - كما هو شأن إنجيل مرقس-؟!.. كما ينصحون باختيار القصص المناسب للأعياد والمناسبات الإسلامية؟!.. فيقولون: «قليلون هم الذين يشجعون على نشر مرقس كأول كتاب، وذلك للإشارة التي ترد في بدايته عن «ابن الرب».. وغالبا ما يقترح بعضهم نشر مختارات خاصة بمناسبة أعياد المسلمين - مثل التكوين: 22 لمناسبة عيد الأضحى - وبعضهم يرى أن يضاف عليها قصص - مثل العبرانيين 10:1- 18- أو قصة العاطفة وعيد الفصح -. وكذلك نشر قصة صيام المسيح وقصة إغوائه بمناسبة شهر رمضان -.. وقد تهدف المختارات مثلا إلى تعريف النساء المسلمات بامرأة معينة في الإنجيل..[27] »!.

وكما دعوا إلى وضع المضامين النصرانية في الأوعية الإسلامية، وإلى صلاة نصرانية بقيام وركوع وسجود إسلامي؟!.. وإلى ممارسة طقوس النصرانية في المساجد - «مسجد عيسوي»؟!.. فلقد دعوا إلى دراسة «الأشكال الممكنة لمسجد المسيح»؟!..

إنها «حرب باطنية» لا خلاق لأهلها، ولا أخلاق فيها.. يريدون بها تأويل كل شيء

لاقتلاع الإسلام وتنصير كل المسلمين.. إنهم – بنص عباراتهم – يقولون: «كيف يمكن الوصول إلى المسلمين من أجل المسيح على أساس تأويلات قرآنية [28] »؟!

ولاشك في أن هذا المخطط، الذي يريد إفساد الإسلام بالتأويلات القرآنية، إنما يدعونا إلى أن نولي قضية تأويل النصوص حقها الواجب من الضبط والتدقيق.. فللتأويل في علوم العربية قواعده المحددة التي ضبطها العلماء – ومنهم ابن رشد (520 – 595هـ 1126 – 1198م) – في «فصل المقال» – وأبو حامد الغزالي (450 – 505هـ 1058– 1111م) – في «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» [29].. أما هذه الدعوات التي تنخر في قواعد الإسلام ونصوص القرآن بـ«سوس التأويل» – ولها من أبناء العرب والمسلمين نماذج عديدة – فإن الوعي بمخططها، والتصدي لمحاولاتها يجب أن يكون جزءا من التصدي الإسلامي لهذه الحرب التنصيرية التي تريد تفريغ القرآن من المحتوى الإسلامي لتضع المحتوى النصراني في قوالبه ومصطلحاته بواسطة التأويل؟!..

لقد انفتحت لهذا الخطر ثغرة في داخل الصف الإسلامي.. وهي وإن كان لها نظائر في الفكر الباطني القديم.. إلا أن الجديد فيها هو مواكبتها وتزامنها وتزاملها مع هذا المخطط الذي رسمته هذه البروتوكولات لقساوسة التنصير.. فعلينا أن ننظر إليها في هذا الإطار [30]؟!..

* * *

وإمعانا في الفرار من المواجهة بين حقائق الإسلام والنصرانية إلى التزييف الذي يخفي النصرانية في الأوعية والأشكال والتأويلات الإسلامية.. وزيادة في الإيغال على ذات الدرب.. يدعو قساوسة التنصير إلى الفرار من تأمل ثمرات الإيمان الإسلامي، كي لا يصاب المنصرون بالإحباط؟!..

فهم يعترفون بثمرات «التوحيد الإسلامي» على جبهة «التقوى الدينية».. ويرون في هذه الثمرات مبعث إحباط أكيد للمنصرين!.. ولكنهم بدلا من الموقف الموضوعي، اللائق برجل الدين، الذي يطلب الحقيقة ويتغيا الحكمة أنى وجدت، لأنه هو الأحق بها.. بدلا من هذا النهج، الذي يعلمه للمسلم نبي الإسلام، صلى الله عليه وسلم، عندما يقول: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن» [31].. نراهم يحذرون من الوقوف أمام «التوحيد الإسلامي» وثمراته على

جبهة «التقوى الدينية» – والتي يعترفون بتفوقها على ثمرات إيمانهم النصراني حتى لدى المنصرين أنفسهم؟!– ويدعون إلى الهروب من هذا الميدان – الذي هو ميدان المواجهة الحقيقية – إلى ميادين الشعوذة والخرافة والعفاريت وأساطير الجهلة والدهماء وأصحاب التدين الهامشي والاسمي – إلى ما يسمونه إسلام العامة.. والإسلام الشعبي –.. فيتحدثون – في لحظة من لحظات الاعتراف بالحقيقة – عن التوحيد الإسلامي وثمراته، فيقولون:

«ويمكن أن يكون العاملون في مجال التنصير في هذه الأيام، والذين كيفتهم الظروف، قد تأثروا كثيرا بالتقوى والولاء الديني للكثير من المسلمين حتى كادوا يهملون حقائق الشهادة الإنجيلية الواضحة تماما.. وكان تركيزهم منصبا على هذه التقوى المثيرة للإعجاب، بحيث إنهم جعلوها نقطة البداية في تفسيراتهم اللاهوتية حول المواجهة الدينية.

لقد وقفوا بكل رهبة أمام المسلم المنهمك في عبادة الله وقوته وعظمته، وتجاوبوا مع التزامه المحسوس للخضوع لرغبة الله الغامضة («الإسلام» يعني: الاستسلام والخضوع)..

إنهم يحسدون غيرة المسلم على عبادة الرب الواحد الذي يتصرف في ملكوته، ليس كما يفعل شيخ مستبد من الصحراء وإنما كحاكم وكمشرع أعلى، هو الواحد فوق الجميع، والرب الذي يقف وراء كل الظواهر، ولا يمكن لأي فرد أن ينجح في مقاومة إرادته.

ومن المؤكد أن يقول هؤلاء الرجال: إن مثل هذه القوة والخشوع لله تفوق تقواهم هم. ألا تقارب هذه التقوى تقوى الرسول بولس، الذي أنشد: «فكل شيء منه وبه وإليه، فله المجد إلى الأبد» (رومية 11: 36) فلماذا إذاً يجب أن نميز بين تقوى الرسول بولس النصراني وتقواهم الإسلامية؟

سيكون غريبا ومزعجا أن تواجه مسلما ورعا، مؤكدا له بكل جرأة: أن عبادته الدينية لا طائل منها بسبب استثنائه المتعمد لاسم وألوهية يسوع المسيح، وسيكون من الخطإ أيضا أن تمدحه لعبادته الله، ومع

ذلك فإن الرب هو المؤهل الوحيد للحكم ما إذا كانت عبادة الإنسان هي فعلا «بالروح وبالحق» (يوحنا 4:26)..» (32).

هكذا.. وفي «لحظة صدق» أمام التوحيد الإسلامي وتقوى المسلمين الدينية، يعترف قساوسة التنصير بتفوق التقوى الإسلامية، لله «الحاكم.. المشرع.. الواحد فوق الجميع.. والذي يقف وراء كل الظواهر.. لا سبيل لمقاومة إرادته» .. بتفوق هذه التقوى الإسلامية على تقواهم.. حتى لتستدعى، لديهم، تقوى بولس الرسول؟!.. الأمر الذي يصيبهم، ولابد، بالإحباط في مسعى التنصير لأصحاب هذه التقوى!.. حتى لقد وصلوا إلى نوع من «اللاأدرية» والتشكك في حقائق المواقف وطبائع الأمور؟!.. من يكون على الحق.. وأي الفريقين أهدى؟!.. وهل يتصور أن تحبط هذه التقوى الإسلامية لأن أصحابها ينكرون «ألوهية يسوع المسيح»، ويجعلون، بدلا من ذلك، «الله واحدا فوق الجميع»؟!..

لكن لحظة الصدق هذه، لا تقود الذين يلبسون مسوح رجال الدين إلى التوبة والإنابة إلى الله الواحد الأحد.. بل ولا حتى إلى العدول عن حرب الإسلام والتخطيط لاقتلاع هذا التوحيد والتقوى الدينية التي يثمرها.. وإنما هم – من موقع وموقف «العارف – الجاحد.. عمدا، ومع سبق الإصرار» – يدعون إلى الالتفاف حول هذه الحقائق، وتغطيتها، والتعمية على آثارها.. بل والهروب من ميدانها كلية، والتوجه إلى «خرافات.. وعفاريت» العامة – التي يسمونها «الإسلام الشعبي» و«إسلام العامة»– لأن هذا هو الميدان الوحيد الذي رأوا لنصرانيتهم قدرة على العمل فيه؟!..

يعترفون بهذه الحقيقة.. بل بهذه الجريمة.. ويقولون:

«كل هذا يقودنا إلى لب الموضوع. فعندما يتم لقاء مباشر بين الفرد الذي حرره المسيح وبين المسلم الورع، فإن ما يظهر ويطفو على السطح نادرا ما يكون هو الإسلام «المثالي»، أي إسلام العقيدة والممارسة، فكل من النصراني والمسلم، في هذا السياق، يدركان بالغريزة أن ما يمكن الحصول عليه من خلال مناقشة العقيدة أو الدين قليل للغاية..».

ونحن نسأل: أي تحول ديني هذا الذي لا يتم عن طريق مناقشة العقيدة والدين؟!..

وهل يكون تحول ديني حقا إذا هرب أطرافه أو تجاهلوا قضايا العقيدة والدين؟!

وهل التحول عن الدين لأسباب دنيوية أو اعتقادات خرافية يمكن أن يسمى، علميا وأخلاقيا، تحولا دينيا؟!.. لكن لقساوسة التنصير مقاصد لا علاقة لها بحقائق الدين ولا بطبيعة العقائد الدينية.. ولذلك كان هذا هو منهاجهم المكيافيلي، الذي يجاهر بالدعوة إلى الهرب – في التنصير – من المواجهة بين عقائد كل من الإسلام والنصرانية.. والولوج إلى المسلمين من باب الشعوذة والخرافة وما يسمونه «إسلام الجن والعفاريت»؟!.. فيواصلون هذا الحديث، في بروتوكولاتهم، قائلين: «**إن الذي يهم المسلم العادي ويشغل فكره هي محاولاته التغلب على العديد من القضايا المهمة والقوى المعادية التي تحتشد في عالمه وتقلق راحته النفسية والفكرية، فهناك السحر الذي يرغب في ممارسته، وماذا عن الروح الشيطانية التي لابد من تهدئتها واسترضائها، والتعاويذ التي يجب عليه استخدامها؟ فهل تساعده مناشدة القديسين على مخاوفه؟ وأشياء كثيرة أخرى. وهكذا نرى باستمرار أن عالم المسلم تهيمن عليه «العين الشريرة»، والمرض، والموت، واللعنات، والسحر. فهو لا يلتزم بالإسلام القرآني، ولكن بإسلام أرواحي، يولد عن خواء في القلب بصورة مثمرة. هذا الجوع، وهذا الخواء هو ما يجب أن يواجهه الشاهد النصراني– (أي المنصر) – حيث إن المسيح هو الوحيد الذي يستطيع أن يشبعه..**[33] »؟!..

ويؤكد قساوسة التنصير «الجدوى – النفعية» للاصطياد في مياه «الإسلام الأرواحي».. إسلام السحر والعين الشريرة.. وليس في مواجهة إسلام الكتاب والسنة.. يؤكدون هذه «الجدوى – النفعية» بنجاحاتهم في هذا الميدان دون غيره من الميادين.. فيقول واحد منهم:

«.. **وسوف أركز على طريقة مستمدة ومعتمدة أساسا على التجربة، خلافا لطريقة الإدراك المعتمدة على الحقيقة.**

إن غالبية المسلمين الذين يحتمل أن يتنصروا هم الذين يعتنقون ما يطلق عليه الإسلام الشعبي (أو إسلام العامة)، وهم أرواحيون، يؤمنون بالأرواح الشريرة والجن، ويعرفون القليل جدا عن الإسلام الأصيل. كما يؤمن هؤلاء بدرجة كبيرة بالتعاويذ التي يعتقدون أنها تمدهم بالقوة

لمواجهة شرور الحياة وتحدياتها، والباب الذي يمكن من خلاله التأثير في هؤلاء وتنصيرهم هو أن يقوم شخص بتقديم منافع دنيوية لهم، مثل ممارسة العلاج الروحي، وطرد الأرواح الشريرة... أما فهم حقائق الكتاب المقدس الأساسية فهي مرحلة تأتي بعد..»؟!.

هذا هو المنهج الفكري في التحولات العقدية الذي صاغه هؤلاء القساوسة، أبناء الحضارة «العلمية- العقلانية»؟!..

اصطياد الذين لا يعرفون سوى «القليل جدا عن الإسلام الأصيل».. من المؤمنين «بالأرواح الشريرة والجن»، وتحويلهم عن الإسلام بـ «تقديم منافع دنيوية لهم» مثل «ممارسة العلاج الروحي، وطرد الأرواح الشريرة»؟!.. أما حقائق النصرانية وكتابها فمكانه بعد أن يكون المسيح قد مارس دوره مع العفاريت؟!.. وهم يضربون الأمثلة الكثيرة على جدوى هذا المنهج التنصيري

«فعلى يد قس قبطي لديه القدرة على العلاج الروحي وطرد الأرواح الشريرة تم تنصير أعداد كبيرة من المسلمين أكثر مما تم بطريقة الوعظ.. فالنقطة المهمة في هذا التحول بالنسبة إلى المسلمين هي «البركة» والقوى التي يطردها المنصر..[34] »؟!..

«وفي مصر تلمس المسلمون من خلال عمليات الشفاء وطرد الأرواح الشريرة قوة المسيح وقوة الإيمان[35] »؟! - ولعل الإشارة هنا إلى القصص الخرافي الذي شاع عندما مثلت بعض الجهات «مسرحية ظهور العذراء» في بعض الكنائس بمصر أواخر الستينيات -؟!.. وهي «مسرحية» دبرت وأخرجت لأسباب لا علاقة لها لا بالدين ولا بالعذراء.. بل ولا بالعلاج من الأرواح الشريرة.. فلقد كانت صراعا مع «دوائر شريرة» لأسباب بعيدة تماما عن هذا القصص الخرافي الذي يشير إليه المنصرون؟!..

ومثال آخر على نجاحات التنصير في الاصطياد بمياه «الإسلام الأرواحي».. إسلام «السحر» و «العفاريت» و«العيون الشريرة» - الذي لا علاقة لأهله بحقيقة الإسلام!!.. هو مثال إندونيسيا..

فلقد استغل المنصرون - كما تقول بروتوكولاتهم - تسامح «سوكارنو» (1319-

1390 هـ 1901- 1970م) -الرئيس الإندونيسي- «على المستوى الرسمي والشخصي.. وما كان لتسامحه من تأثير في السكان».. واستفادوا من «اشتراك الأقلية النصرانية – الإندونيسية – في جوانب عديدة من التراث العرقي واللغوي والثقافي والسياسي للمجتمع».. ومن «إدارة الأقلية النصرانية لعدد من المستشفيات أكثر مما تديره الأغلبية المسلمة»؟؟!..

فقاموا بترجمة الإنجيل إلى اللغة القومية لإندونيسيا..

ومع كل هذه العوامل المواتية للتنصير – والإمكانات المادية التي جعلت من إرساليات التنصير «دولة» داخل المجتمع الإندونيسي؟!- فإن نجاحات التنصير، بإندونيسيا، قد ظلت – باعترافهم – «في المناطق غير الإسلامية»[36]... وبين «أتباع ما يعرف «بالإسلام الجاوي»، الذي يميل إلى التوفيق بين المعتقدات، بدلا من الإسلام القويم، المختلف تماما..»! حتى إن 63٪ ممن تنصروا كانوا «مسلمين بالاسم فقط.. ومن خلفية جاوية أرواحية»؟!

وكذلك الحال في بنجلادش.. فلقد كانت أهم نجاحات التنصير في أبناء «طائفة نصف هندوسية ونصف مسلمة»؟!

وفي إفريقيا أشارت مناقشات أبحاث المؤتمر إلى أوجه الشبه بين «مفهوم الخلاص النصراني وبين الموقف اللاهوتي» لبعض الطرق الصوفية.. وإلى ما يمثله هذا الشبه من «فجوة داخل الأمة السنية يساعد على فهم الكنيسة، وحتى تقبلها، على شرط أن تكون نماذج الكنيسة مشابهة لنماذج «الطريقة» التي يتبعها أولئك المسلمون..[37] »؟!..

وفي إيران، تحدث أحد تقارير المؤتمر عن إمكانات التنصير بين «خمس مجموعات شعبية يظهر أنها منفتحة لدعوة الإنجيل.. مثل طائفة «أهل الحق».. الذين يختلف مذهبهم بصورة واضحة عن الإسلام الشيعي، وخاصة اعتقادهم بالحلول والتجسد وتناسخ الأرواح. ويبلغ عددهم 500.000 نسمة بين أكراد منطقة كرمنشاه..»!.. وأيضا عن الإمكانات التنصيرية التي يحملها ويتضمنها التراث الفارسي.. فهو «يحمل عناصر ليس فقط نصرانية، بل ويهودية أيضا.. وعليه، فإن استراتيجية فعالة يجب أن تكون مدركة لهذه

الجسور الطبيعية، بل ومستخدمة لها في التعبير عن الكتاب المقدس..[38] »؟!..

* * *

و «حوض» آخر، من «أحواض» المياه العكرة.. المحسوبة على الإسلام.. والتي تنبه بروتوكولات قساوسة التنصير إلى ضرورة الاصطياد فيها.. هو أتباع الفرق المنحرفة، الداخلين في تناقضات وصراعات مع الأغلبية الإسلامية.. من مثل طائفة «الأحمدية» – في الهند وباكستان – والتي يمكن اختراقها بالإنجيل من باب «عقيدة المهدي»، التي يمكن أن تفضي إلى القبول بعقيدة «الخلاص النصرانية»؟!..

فـ «بالنسبة إلى الطائفة الأحمدية الإسلامية – التي كانت معادية منذ فترة طويلة للنصرانية، وتم مؤخرا إعلان عدم شرعيتها ورفضها، كنظام إسلامي أصيل – فلربما ينفتح الباب لفرصة جديدة أمام المنصرين، فماذا يكون وقع الأمر على هؤلاء المسلمين، وهم في حالة حرمان من حقهم الشرعي، عندما يسمعون عن يسوع باعتباره مؤسسا لمجتمع جديد؟»

ومثل الأحمدية.. الطوائف التي يتمحور اعتقادها حول «عقيدة المهدي».. مثل:

«المجموعة الصغيرة من المسلمين القاطنين في شمال نيجيريا، التي مازالت موالية – برغم الاضطهاد الإسلامي لها – لزعيمها إبراهيم، ولتنبؤاته بأن الرب سوف يظهر في يوم ما حقيقة الدين الصحيح فيما يتعلق بيسوع كلمة الرب وروح منه؟. فالرسالة التي جاءهم بها منصر في عام 1913 م عن يسوع المنجز للوعد، قد حولتهم إلى المسيح» من باب العلاقة بين «المهدي» المنتظر وبين «المسيح» المخلص!.. ومن باب الأوصاف القرآنية للمسيح – (... **إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا** *)[39].. فلقد دعا المنصرون إلى وضع المضمون النصراني في وعاء ومصطلح « كلمة الله » و « روح من الله » ،

لتتحول هذه المصطلحات القرآنية عن معانيها الإسلامية، فتصبح سبلا للاختراق والتنصير؟!..

وفي غرب إفريقيا «تأتي الأخبار عن «بنو عيسى»، وهم مجموعات كبيرة من المسلمين، الذين يتجمعون منذ فترة في قرية «بيماهيل»، في منطقة «الكومبا»، في ولاية «بوش» النيجيرية، في انتظار قدوم «عيسى المهدي» والذين التمسوا من الكنيسة الإنجيلية في غرب إفريقيا أن تشرح لهم عن يسوع. ويبدي هؤلاء الإعجاب بالشرح اللاهوتي لشخص المسيح وعمله، والذي يدور حول يسوع على أنه المهدي الذي يكسر الصلبان لأنه انكسر فوق واحد منها.. فتحت سلطة هذا المهدي سيكون هناك أمن ورفاهية دائمان، حيث تعيش الجمال والأسود، والدببة والأغنام معا، ويلعب الطفل الصغير مع الثعابين دون أن يتعرض للأذى..»[40] ؟!..

وهكذا يتم الاختراق النصراني من الشبهات ومناطق التشابه الشكلي، بعد القفز على المضامين التي تفصل وتباعد بين حقائق الاعتقاد في كل من الإسلام والنصرانية.. وهي شبهات ومناطق تشابه لا وجود لها في إطار الإسلام الحقيقي.. ولذلك فإنهم يبحثون عنها فيما يسمونه «الإسلام الأرواحي»، الذي يعترفون بأن أهله ليس لهم من الإسلام إلا الاسم فقط.. وحتى مع هؤلاء، فإنهم لا يتقدمون لهم بعقائد النصرانية – ليقينهم بأنها ستقابل بالرفض – وإنما يتقدمون بالشعوذة، التي يزعمون أنهم بها يخلصون «مرضى الأرواح الشريرة» من الجن والعفاريت!!..

وهم، بهذا التحايل، يزرعون «الجرثومة» ثم يتعهدون عملية نموها وفتكها – الناعمين الخفيين – بما لدى الضحايا من عقائد الإسلام.. وبنص كلماتهم:

فإن هذا الأسلوب «يهدف إلى غرس روح المسيح وتعاليمه في الفكر الإسلامي والحياة الإسلامية، وبهذه الطريقة تصبح عملية التنصير مثل الخميرة التي تعمل داخل الكيان كله لتمكن الروح النصرانية وتعاليمها من إحداث التغيير الطبيعي، وبهذه الطريقة أيضا يمكننا أن نستوعب في الحظيرة النصرانية: «مسلما – نصرانيا»، و«لاهوتيا – إسلاميا»،

و«نصرانيا- محليا»، و«نمطا محليا» من أنماط «الإسلام - النصراني» المنظمة[41] »؟!

أرأيتم مدى اللاأخلاقية في التعامل مع الأديان؟!..

تلك هي «الحقائق - المعلنة» من بروتوكولات قساوسة التنصير.. فما بالكم بغير المعلن منها؟!.. وهذه هي مواقعها من «الأخلاقيات» المفترضة في رجال الدين.. أي دين!..

أما مواقعها من منهاج (... قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ*)[42] (... لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ...)[43].. فمتروك أمر اكتشافها للقراء!.. لقد أعلنوا عن عزمهم.. وعن خططهم لاختراق الإسلام.. بكل السبل.. ومختلف الإمكانات.. ونحسب أن كشف نياتهم.. ومعرفة ثغرات الاختراق، هي المقدمات الضرورية للتحصين والحصانة، التي تحفظ على الإسلام والمسلمين استعصاء بنيانهم على الاختراق.. بل والانتقال من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم على هذه اللاأخلاقية التي لم تتكلف حتى ستر عوراتها برغم رفعها رايات الدين؟!..

الهوامش

(1) المصدر السابق. - الحاجة إلى مركز للقيادة في أمريكا الشمالية - لـ «رالف دي ونتر» - ص 752.

(2) الإشارة إلى المؤتمر العالمي الثاني لتنصير العالم - سنة 1974 م - وهو من المؤتمرات التحضيرية لمؤتمر «كولورادو».

(3) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي - الخطاب الرئيس - لـ «و. ستانلي مونيهام» - ص 23 - 25.

(4) المصدر السابق. - دور الكنائس المحلية في خطة الحرب لخلاص المسلمين - لـ «فرانك سل خير الله» - ص 845، 846.

(5) المصدر السابق. - بناء شبكة من مراكز الأبحاث - لـ «رولاند أي ميلر» - ص 687.

(6) المصدر السابق. - بناء شبكة من مراكز البحث - لـ «رولاند أي ميلر» - ص 688.

(7) المصدر السابق. - الحاجة إلى مركز للقيادة في أمريكا الشمالية - لـ «رالف دي ونتر» - ص 752.

(8) المصدر السابق. - بناء شبكة من مراكز الأبحاث - لـ «رولاند أي ميلر» - ص 681- 683.

(9) المصدر السابق. - مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في شبه القارة الهندية - لـ «ريتشارد بيلي» - ص 461، 462.

(10) من الاعتقاد بتأثير الأرواح في حياة الناس والحيوانات والظواهر الطبيعية.

(11) التنصير: خطة لغزو العالم- المسلم المتنصر وثقافته - لـ «هارفي م. كون»- ص 150.

(12) المصدر السابق. - المقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في روسيا والصين - لـ «ج. روبرت أوفير برودك» - ص 505، 508، 509.

(13) المصدر السابق. - تصدير - لـ «ستانلي مونيهام» - ص 5.

(14) أوغسطين Augustin (354 - 430 م) أسقف هيبون (إفريقيا)، وهو أشهر آباء الكنيسة الغربية، كان خطيبا، ولاهوتيا، وفيلسوفا، وكاتبا.

(15) Anselme (1033 - 1109 م) رئيس أساقفة كنتر بري (إنجلترا)، وأحد مؤسسي

الفلسفة المدرسية.

(16) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي - منطلقات لاهوتية جديدة في عملية تنصير المسلمين - لـ «بروس ج نيكولز» - ص227، 228.

(17) الأنعام: 164.

(18) النساء: 157، 158.

(19) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي. - اللاهوت الإسلامي: الحدود والجسور - لـ «كينيث أ. كراج» - ص 294 - 296.

(20) المصدر السابق. - الظرفية والتحول والتأصيل - لـ «شـارلـي. ر. تيبر » - ص 209.

(21) المصدر السابق. - الظرفية والتحول والتأصيل - لـ «شـارلـي. ر. تيبـر» - ص 212، 213.

(22) المصدر السابق. - تقرير المؤتمر - لـ « آرثر. ف. كلاسر» - ص 70.

(23) المصدر السابق. - اللاهوت الإسلامي: الحدود والجسور - لـ «كينيث أ. كراج» - ص 286، 287، 292، 289، 290.

(24) المصدر السابق. - اللاهوت الإسلامي: الحدود والجسور - لـ «كينيث أ. كراج» - ص 293.

(25) المصدر السابق. - الوضع الراهن لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين - لـ «وليام د. رايبرن» - ص 551.

(26) المصدر السابق. - الوضع الراهن لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين - لـ «وليام د. رايبرن» ص551.

(27) المصدر السابق. - الوضع الراهن لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين - لـ «وليام د. رايبرن» - ص554، 555.

(28) المصدر السابق. - الحاجة إلى مجلة جديدة خاصة بالإرساليات التنصيرية الموجهة نحو المسلمين - لـ «س. جورج فراي».. ص 815.

(29) انظر لأبي الوليد بن رشد (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) ص 32. دراسة وتحقيق، د. محمد عمارة، طبعة القاهرة سنة 1983م. وانظر للغزالي (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) ص4-9 - طبعة القاهرة سنة 1907 م.

(30) من الكتابات المعاصرة التي قد تصب في هذا المجرى كتابات الدكاترة: محمد أركون، ونصر حامد أبو زيد، وسيد القمني.

(31) رواه الترمذي وابن ماجة.

(32) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي. – صراع القوى في عمليـة التنصـير – لـ «آرثر. ف. كلاسر» – ص 193.

(33) المصدر السابق. – صراع القوى في عملية تنصير المؤمنين – لـ «آرثر. ف. كلاسر» – ص 197.

(34) المصدر السابق. – تطبيق «مقياس اينكل» في عمليـة تنصيـر المسلمـين – لـ «ديفيد. أ. فريزر» – ص 252.

(35) المصدر السابق. – تحليل المقاومة والاستجابة لدى الشعوب المسلمة – لـ «دون م. ماكري» – ص270.

(36) المصدر السابق. – الدعوة إلى التجديد الروحي – لـ «ج أيدون أور» – ص 627 – 629.

(37) المصدر السابق. – المسلم المتنصر وثقافته – لـ «هارفي م. كون» – ص 144 – 146.

(38) المصدر السابق. – مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في إيران. لـ «ديفيد كاشن» – ص 440، 441.

(39) النساء: 171.

(40) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي – المسلم المتنصر وثقافته – لـ «هارفي م. كون» – ص 149.

(41) المصدر السابق. – نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين – لـ «جورج بيترز» – ص 595، 596.

(42) البقرة: 111.

(43) الأنفال: 42.

الفصل الرابع

تنصير المسلمين

من خلال الثقافة الإسلامية؟!

(إن هدفنا هو غرس روح المسيح وتعاليمه في الفكر الإسلامي والحياة الإسلامية!.. وبهذه الطريقة تصبح عملية التنصير مثل الخميرة التي تعمل داخل الكيان كله، لتمكن الروح النصرانية وتعاليمها من إحداث التغيير الطبيعي!..

وبهذه الطريقة، أيضا، يمكننا أن نستوعب في الحظيرة النصرانية: مسلما-نصرانيا؟!.. ولاهوتيا-إسلاميا؟!.. ومسجدا-عيسويا؟!.. وجماعة صوفية - نصرانية؟!.. ونمطا من أنماط الإسلام - النصراني المنظمة؟!..)

من أبحاث مؤتمر كولورادو

لتنصير المسلمين

وكما انتقد قساوسة التنصير موقفهم التاريخي من القرآن.. واعترفوا بأن احتقارهم له قد حرمهم مما قالوا عنه إنه «مخزون نصراني» و «جسور» و «إمكانات» للاختراق.. فدعوا إلى «احترام» هو أشبه ما يكون باحترام الوحش للفريسة؟!.. كذلك صنعوا مع «الثقافة الإسلامية»!..

فلقد نقدوا موقفهم التاريخي، الذي كانوا يؤمنون فيه – وفق عبارتهم – «بأن **الثقافة والحضارة الإسلامية شريرة برمتها، وليس فيها ما يمكن خلاصه، بل يجب إدانتها ورفضها جميعا..**[1]»؟!..

انتقدوا هذا الموقف الذي أدانوا فيه ثقافة المسلمين وحضارتهم، لا من منطلق المراجعة التي تدعو إلى احترام الثقافات والحضارات الأخرى.. وإنما من منطلق أن هذا الاحتقار وهذه الإدانة قد جعلتهم يفرضون – في التنصير – الثقافة الغربية مع النصرانية.. الأمر الذي أدى إلى قيام حاجزين بين المسلمين وبين الارتداد عن الإسلام إلى النصرانية:

أولهما: أن ربط الثقافة الغربية بالنصرانية قد جعل المسلمين ينظرون إلى النصرانية باعتبارها «ديانة أجنبية».. ديانة الغرب.. الذي كان غالبا، إن لم يكن دائما، المستعمر والمستغل والعنصري والجلاد.. فزاد ذلك من ارتباط المسلم بإسلامه باعتباره المعبر عن هويته الحضارية.. وعمق من نفوره من النصرانية، باعتبارها ديانة الثقافة الأجنبية والاستلاب الحضاري..

وثانيهما: أن الذين حدث أن تحوّلوا عن الإسلام إلى النصرانية، قد اقتلعوا، لا من الإسلام وحده، كدين، وإنما من الثقافة الوطنية والقومية.. فكانوا كالسمك الذي انتزح من الماء!!.. لقد غدوا أجانب في محيطهم، معزولين عن ذويهم، حتى لقد نظر إليهم مواطنوهم كغرباء.. بل وكخونة؟!.. ومن ثم، فإنهم تجاوزوا حدود العجز عن نشر النصرانية في محيطهم، إلى حيث أصبحوا عالة وعبئا على إرساليات التنصير؟!..

انتقد قساوسة التنصير، في بروتوكولات مؤتمر «كولورادو»، احتقارهم ونفيهم للثقافة الإسلامية، لا من موقف إحلال الاحترام محل الاحتقار، وإنما لأن هذا الاحتقار قد صرفهم عن العمل على اختراق هذه الثقافة، وزرع النصرانية في أوعيتها ومصطلحاتها ورموزها وأنماطها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها.. ومن ثم قرروا – كما حدث منهم مع القرآن – دراسة الثقافة الإسلامية، للتنصير من خلالها وبوساطتها، مع التغيير التدريجي

الذي ينفيها كلما نما المحتوى النصراني لدى المرتدين!..

لقد أرادوا الالتفاف حول ما أسموه «الصدمة الثقافية» التي كانت تحدث للمتنصر، عندما كانوا يجبرونه «على قبول المفاهيم الثقافية والاجتماعية الخاصة بالمنصر، سواء أكان بروتستانتيا أم غير ذلك» الأمر الذي كان يؤدي إلى «موته ثقافيا واجتماعيا - حتى ولو لم تطبق عليه عقوبة الموت فعليا - حيث يعزل ويطرد. وعندما يطرد المجتمع الإسلامي مثل هؤلاء الناس، ويشارك المنصر في العملية عن غير دراية، باحتضانه لهم، والترحيب بهم، وتلقينهم التقاليد الثقافية للكنيسة، تتم ممارسة عملية الاقتلاع وترسيخها دون أية محاولة للتصدي لها، وتكون النتيجة عزل المسلم المتنصر عن أبناء جلدته وثقافته وبيئته التي يمكن أن يكون أكثر تأثيرا فيها..»(2)؟!..

فليس إيمانا حقيقيا بالتعددية الثقافية، كسنة من سنن الله في الاجتماع البشري.. ولا احتراما حقيقيا للثقافة الإسلامية، كان نقد قساوسة التنصير لتاريخهم في فرض الثقافة الغربية مع النصرانية في عملية التنصير.. وإنما هو «تكتيك».. و«طعم» و«التفاف» حول العقبات التي رأوها متمثلة في الثقافة الأجنبية أكثر مما هي متمثلة في النصرانية كدين!..

وفي نقد هذا «التحويل الثقافي»، الذي رأوه عقبة أمام «التحويل الديني» اتفقت آراؤهم، في البحوث والمناقشات، فقالوا:

«إن التقليد المتبع هو أن إرساليات التنصير كانت ترفض دائما ثقافة المسلم المتنصر، وتفرض عليه ثقافة المنصر. وعملية الاقتلاع هذه، والإصرار على هذا التحويل المزدوج، أي تحويل المسلم إلى المسيح أولا، وإلى ثقافة المنصر ثانيا، قد تكون حقا أهم أسباب عدم فعالية العمل في صفوف المسلمين..»(3)؟!.. ولذلك «فإنهم يرفضون الدين النصراني لا كراهية له ولكن لعدم رغبتهم في أن تحتويهم ثقافة أخرى. ويبدو أننا، وعلى امتداد التاريخ الطويل للعلاقات النصرانية الإسلامية، قد أخطأنا في اتجاهين ملحوظين:

أولا: لقد فشلنا في النظر للمسلمين باعتبارهم شعوبا مختلفة عرقيا.
ثانيا: لقد تأثرت نظرتنا الحالية إليهم بمئات السنين من التعصب العرقي لثقافتنا الدينية..»[4]؟!..

إنهم يعترفون بممارستهم احتقار الشعوب غير الغربية.. والثقافات غير الغربية.. وعلى الرغم من هذه الأوهام التي جعلتهم يعلقون الفشل على كراهة المسلمين للتحول الثقافي، وليس كراهيتهم للتحول والارتداد الديني – وهي أوهام تفصل الإسلام الدين عن الثقافة الإسلامية – لأن أصحابها يغفلون – بسبب نصرانيتهم، التي لا تمثل منهاجا شاملا لكل مناحي الحياة – يغفلون عن خصوصية الإسلام، كمنهاج شامل للدين والثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد والأخلاق.. وكل مناحي العمران– معرفة وتطبيقا –.. برغم هذه الأوهام التي جعلتهم يغفلون عن ارتباط الإسلام بثقافته.. وعن أن ارتباط المسلم بالثقافة الإسلامية إنما هو ثمرة من ثمرات ارتباطه بمصدر صبغتها التي ميزتها، وهو الدين الإسلامي.. برغم ذلك.. فلقد استمرت نصوصهم تتحدث عن مخطط عزل الإسلام عن الثقافة الإسلامية، وضرب الدين من خلال الثقافة، كمخطط جديد للتنصير.. فقالوا: «إن تجرؤنا – نحن الغربيين – على القيام بنقل ثقافتنا الغربية إلى أنحاء العالم، والترويج لها في الهند وإفريقيا والشرق الأدنى كحقيقة من حقائق الكتاب المقدس، وجعلها مساوية للمسيح، يبدو سلوكا منافيا للطبيعة والعقل. فإذا كانت هذه الأنماط الدينية عزيزة علينا إلى مثل هذه الدرجة، وذات مغزى بالنسبة إلينا، وإن التخلي عنها يولد مشاعر عميقة وردة فعل، فكيف يجب أن يشعر المسلم الذي يتقبل رسالة المسيح عندما نُصِرُّ على أن نجرده من كل ما يعرفه وكل ما اعتاده[5]؟!..

لقد انتقدوا تاريخهم في «التحويل الثقافي»، وفي فرض الثقافة الغربية مع النصرانية.. ودعوا إلى تنصير المسلمين عن طريق «استخدام لغتهم، وضمن مفهومهم الثقافي، وتمشيا مع المكان الذي يعيشون فيه..»[6]؟!..

* * *

وبعد هذا النقد لتاريخهم في الغزو والقهر والتحويل الثقافي والذي رأوه قد قادهم في

التنصير إلى طريق مسدود.. حتى قالوا إنه «قد يكون حقا أهم أسباب عدم فعالية العمل في صفوف المسلمين..»!. وطرحوا التساؤل:

«هل من الممكن أن يكون السبب الأساسي في عدم تنصر المسلمين، على نطاق واسع، سببا ثقافيا وليس لاهوتيا[7]؟» عقدوا حلقات الدرس التي بحثت قضية التعددية الثقافية للأمم والشعوب والأعراق.. وعلاقتها بالتنصير.. بل والتأصيل النصراني لهذه التعددية في مناهج التنصير الأولى، وخاصة عند بولس الرسول؟!..

والأمر الذي يعكس عظم الآمال التي علقوها على التنصير من خلال التعددية الثقافية- وليس من خلال التحويل الثقافي - أنهم عقدوا لبحث هذه القضية مؤتمرين - أولهما سنة 1977م في «باسدينا» - والثاني من 16-20 من يناير سنة 1978 في «ويلوبانك» - ثم ذهبوا إلى مؤتمر «كولورادو» بمخطط مدروس ومرسوم في هذا الطريق الجديد لاختراق الإسلام!..

ولقد تحدثوا في «تقرير المؤتمر» عن هذين المؤتمرين اللذين تخصصا بدراسة هذه القضية، فقالوا: **«لقد حيا مؤتمر «باسدينا» للمشاورات، الذي عقد سنة 1977 م، الإرادة الربانية التي قضت بتعدد واختلاف الأقوام والثقافات التي تكوِّن الجنس البشري.. وأعقب ذلك مؤتمر «ديلوبانك» للمشاورات الذي عقد سنة 1978م من أجل التعمق في دراسة العلاقة المتبادلة بين كتاب يسوع المسيح المقدس وبين الثقافة. وضمن هذا التعاقب تمت التهيئة لمؤتمر أمريكا الشمالية حول تنصير المسلمين كي يركز على كيفية الوصول إلى المسلمين.. ودراسة معطيات الكتاب المقدس الواسعة التي تنطبق على ثقافتهم الإسلامية..[8]»؟!..**

كما تكشف لنا معالجة قساوسة التنصير لهذه القضية - قضية التعددية الثقافية - **ودورها في الاختراق التنصيري للإسلام كيف تتكامل كل جهود القوى والاتجاهات والمؤسسات الغربية، فتتوحد ثمرات أبحاثها ودراساتها لتصب في ترسانة الحرب المعلنة ضد الإسلام وأمته وحضارته وعالمه!..**

فلقد استعان قساوسة التنصير في بحث هذه القضية بجهود موازية كان يقوم بها

علماء الأجناس البشرية الغربيون.. وكتبوا يقولون: إنه «بينما كانت هذه الأفكار تتبلور وتتطور في صفوف دوائر التنصير، كانت العناية الإلهية تهيىء أيضا أناسا آخرين يحملون أفكارا أخرى. فقد أعطى علماء الأجناس البشرية، من النصارى، وغير النصارى، اهتماما كبيرا للثقافات والمجتمعات الإسلامية، وراقبوا المسلمين في أماكن وجودهم وحددوا وشرحوا القوة المحركة في صفوفهم. وبدأت عبارات «الإسلام الشعبي» أو «الإسلام المعمول به بين الناس» تظهر في كتاباتهم، وتفتح الطريق أمام آفاق جديدة كثيرة لا تنطبق على التصور التقليدي للإسلام. ويظهر من الوصف الذي قدمه أولئك العلماء أنه لا توجد ثقافة إسلامية خامدة إطلاقا، ولاحظوا إمكانية تحديد ثلاثة تيارات متكررة في هذه الثقافات والمجتمعات:

فقد وجدوا أن التراث الثقافي والديني الذي سبق الإسلام واضح جدا، وفي الكثير من الأحيان يغلب على التقاليد الإسلامية التي فرضت أو قبلت طواعية.

كما أن هذين التيارين يتفاعلان، في آن واحد، مع تأثيرات التيار العلماني الحديث، الغربي أو الشيوعي.

وقام علماء آخرون يتبادلون وجهات النظر في كيفية حدوث التغيير الاجتماعي؟ ودور المجددين؟ وكيفية سقوط الصيغ القديمة، لتحل محلها صيغ جديدة..»[9]؟!..

ولقد وضع هذا النص يدنا على حقائق عديدة، جدير بها أن تنبه الغافلين:

* فالتنصير يستثمر كل ثمرات البحث الذي يجري في المجتمعات الإسلامية، على اختلاف ميادين هذا البحث!..

* ومراكز البحث والعلماء الذين يقومون بمسح عقول وثقافات ومجتمعات المسلمين، ليسوا هم النصارى فقط، بل إن منا من يشاركون في تعريف الأعداء بسبل ومناهج وآليات اختراقنا واحتوائنا وتنصير أمتنا!..

* وإن تحول التنصير إلى اختراق الإسلام من ثغرة التعددية الثقافية لا يكتفي باكتشاف تميز ثقافتنا الإسلامية عن ثقافته الغربية.. بل إنه يركز على اكتشاف الثغرات في التعددية الداخلية بثقافتنا الإسلامية.. فالاختلاف في التصورات للإسلام – ما يسمى بـ «الإسلام الشعبي»، و«الإسلام المعمول به بين الناس»، و«الإسلام المثالي».. إسلام القرآن والسنة، وكذلك ما يسمى بالثقافات الفرعية – المواريث الثقافية السابقة على ظهور الإسلام – والثقافة العلمانية الوافدة على المجتمعات الإسلامية.. إلخ.. إلخ..

كل هذه الألوان من التعددية الثقافية.. مع محاولة خلق «تجديد لا إسلامي»؟!– لعله أقرب إلى «الحداثة» بالمعنى الغربي.. ولا علاقة له بالتجديد الذي هو سنة من سنن اللّه في الفكر – بنظر الإسلام –.. وذلك لفتح ثغرة أخرى بين هذا اللون من «التجديد» وبين «الصيغ القديمة» والموروثة..

كل هذه الألوان من التعددية أرادها قساوسة التنصير ثغرات لاختراق الثقافة الإسلامية منها وصولا إلى إزاحة الإسلام وطي صفحته بتنصير المسلمين!

ولقد انطلق المنصرون من ثمرات أبحاث علماء الأجناس البشرية حول التعددية الثقافية، إلى البحث في جهود التنصير التي قام بها أسلافهم، لإعطاء مخططهم الجديد– التنصير من خلال الثقافة الإسلامية – وليس بالتحويل عنها – مشروعية نصرانية!.. لتقتنع بهذا المخطط الجديد كل إرساليات التنصير، والقوى النصرانية المحافظة التي تمول هذه الإرساليات!..

ولقد وجدوا في تميز أسلوب بولس الرسول، عندما أدخل المضمون النصراني في الثقافة الإغريقية – بما في ذلك رموزها وتقاليدها – تراثا مرجعيا يقيسون عليه.. فإذا كان بولس قد تميز في ذلك عن أسلوب المسيح، الذي وضع النصرانية في القوالب اليهودية.. فإن من حقهم اختراق الإسلام بالمضامين النصرانية يضعونها في قوالب الثقافة الإسلامية؟!.. ذهبوا إلى التأصيل على هذا النحو، وكتبوا يقولون:

«إن المسيح والرسول بولس قد اتخذا سبلا مختلفة اختلافا جذريا في نشر الرسالة. فقد قال المسيح: إن النبيذ الجديد ينبغي أن يصب في قرب نبيذ جديد، وكان يتحدى دائما قادة اليهود في كل ما يتعلق بالتقاليد الثقافية للتعاليم التوراتية، والتي حاولوا اعتبارها مطلقة لا

تقبل الجدل..

أما بالنسبة إلى الرسول بولس، فقد اقتحمت القضية لديه حواجز اليهودية الفلسطينية، وصبت في الثقافات المختلفة في حوض البحر الأبيض المتوسط.. وفيما يتعلق بالتعابير الثقافية الخاصة بكل مجتمع فقد كان يخاطب الإغريقي كأنه إغريقي، واليهودي كأنه يهودي، والخاضعين للقانون والخارجين عليه كأنه واحد منهم.. والجدير بالذكر أنه يمكن تقصي طريقة تفكير الرسول بولس في النهج الذي سلكه المسيح.. وإذا تمعنا في الطريقة التي كان المسيح يخاطب بها أبناء الثقافات المختلفة، من سامريين وإغريق وفينيقيين، فإننا ندرك أنه لم يحاول قط أن يفرض عليهم الأنماط اليهودية، بل كان يسمح لهم بالحفاظ على هوياتهم وثقافاتهم، وأن يتجددوا فقط عن طريق لقائهم به..(10)»

ثم استشهدوا بتراثهم الحديث أيضا.. فهذا هو مارتن لوثر (1483 – 1546 م) صاحب الإصلاح البروتستانتي، قد قدم «نصرانية ألمانية»، الأمر الذي يزكي أن تكون للكنائس الإنجيلية في المحيط العربي «نصرانية عربية»!.. ذلك «أن أقرب خطوة مماثلة للجسر التقليدي الذي بناه الرسول بولس للعبور من اليهود إلى غير اليهود نشهده بوضوح في تجارب مارتن لوثر، الذي حاول أن يوفق بين ثقافتين مختلفتين، وكما هو الحال مع الرسول بولس، فإن مارتن لوثر قد خاض تجربة تنصيرية في إطار أنماط الثقافة الناقلة (النصرانية اللاتينية)، ومهما ظلت النصرانية اللاتينية طبيعية في نظر «جوهان ستوبتيز»، المتخصص بدراسة تجربة الرسول بولس، والذي سهل على لوثر اكتشاف المسيح وسط الأشكال اللاتينية، إلا أن لوثر (الذي كان ألمانيا أكثر مما كان بولس إغريقيا) قد أدرك بالتدريج أن الشعب الألماني لا يحتاج إلى إنجيل مكتوب باللغة المحلية فحسب، ولكنه يحتاج إلى عقيدة حقيقية لا يشترط تعريفها الالتزام بقوانين أو مبادىء أية ثقافة أخرى، وبخاصة التراث اللاتيني. لقد كان لوثر من

المتهودين حديثا، وبعد ذلك أنكر الحاجة إلى العلاقة اللاتينية، وأصبح داعية إلى التراث الألماني النصراني. وقد دافع «المتهودون»، من أمثال «جون إيك»، دفاعا شديدا عن عالمية الأنماط اللاتينية، بما في ذلك الترجمة اللاتينية المعتمدة للكتاب المقدس من قِبَل الكنيسة الكاثوليكية، بينما أصبح لوثر، لكل من يفهمه فهما صحيحا، النموذج الأصلي للقائد الوطني المتمسك بتقاليد نصرانية الأصل محلية الصبغة[11]»!

ومن هذا «التأصيل» لصبغ النصرانية بالصبغة الإغريقية – في تجربة بولس – وبالصبغة الألمانية– في تجربة لوثر –.. قفز قساوسة التنصير إلى قضيتهم: اختراق الإسلام بنصرانية ذات أشكال ورموز وصبغة من الثقافات الإسلامية.. فقالوا:

«لقد جسد الرسول بولس المسيح في شكل يهودي كي يصل إلى اليهود، وجسده في شكل وثني كي يصل إلى الوثنيين، فهل لدينا الجرأة على سلوك مسلك يسوع والرسول بولس، وأن ندعو إلى «مسيح متجسد بشكل إسلامي» كي نصل إلى المسلمين؟!..

فما المدى الذي نحن على استعداد للذهاب إليه كي نجسد المسيح في بيئة إسلامية؟

هل يمكننا أن نكون قد اتبعنا النموذج الذي أعطانا إياه المسيح في التجسد إذا قمنا بلبس العمائم والجلاليب وذهبنا إلى أماكن عبادتهم، حتى لو نظر إلينا الناس، خطأ، كمسلمين..[12]»؟؟!!..

وإذا كان هؤلاء القساوسة قد سموا هذه «اللاأخلاقية»: «تجسيداً لشمائل المسيح»؟!.. فإننا ندع لهم «الحرية» في تسمية تلك «اللاأخلاقية»: «شمائلَ» مع استنكارنا نسبتها إلى «المسيح»، عليه السلام!..

لكننا لا ندع هذا الموقف دون التنبيه على حقيقة أن تجربة بولس الإغريقية قد أدت إلى تطويع النصرانية للثقافة والحضارة الإغريقية، وليس العكس؟!.. وبعبارة قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمداني (415 هـ 1024م) فإن النصرانية عندما دخلت روما، لم تتنصر روما، ولكن النصرانية هي التي ترومت؟!.. فتصور التنصير مع قبول الثقافة

الإغريقية هو وهم.. وهذا هو الذي جعل النصرانية مجرد «تراث» في الحضارة الغربية، ولم يجعل هذه الحضارة نصرانية في الحقيقة والجوهر والروح والهوية!..

أما في تجربة مارتن لوثر، فإن المغايرة بين الثقافة الألمانية وبين الثقافة اللاتينية لا تبلغ الحد المساوي لمغايرة الثقافة الإغريقية للأصول الشرقية للنصرانية.. ومن ثم تم الإصلاح البروتستانتي في حدود ذات الدين..

بينما الحال مع الإسلام مختلف تماما.. فالإسلام هو المكون الأول والصابغ الأول لثقافتنا الإسلامية التي يمثل الإسلام هويتها.. فتصور فك الارتباط بين الإسلام الدين وبين الثقافة الإسلامية فيه غفلة عن التأثيرات الثقافية للإسلام في ثقافة المسلمين - باعتبارها منهاجا شاملا للثقافة وغيرها من مناحي العمران الحضاري-.. فهناك استحالة لوضع المضمون النصراني في الثقافة الإسلامية، لأنها لن تكون، عندئذ، إسلامية.. ومن ثم فسيكون المسلمون رافضين للتنصير، لأنهم سيجدون أنفسهم أمام تحويل ثقافي واقتلاع ثقافي متمثل في نفي إسلامية ثقافتهم، والذي هو نفي لهذه الثقافة بإطلاق!.

لكن قساوسة التنصير قد أعماهم الله عن إدراك هذه الحقيقة.. أو هم تغافلوا عنها، مد الخبال آمالهم في طريق جديد للتنصير يخرجهم من الإحباط الذي أفضت بهم إليه الجهود التي بذلوها قبل هذا المؤتمر الذي عقدوا فيه هذه البروتوكولات!..

فمضوا في رسم معالم هذا الطريق الجديد!..

* * *

لقد حددوا الأهداف.. وهي: تنصير المسلمين، وتحويلهم عن الإسلام..

أما الثقافة الإسلامية والقوالب الاجتماعية الإسلامية فإنهم لم يروها عائقا أمام تحقيق أهدافهم، بل لقد رأوا في استخدامها فوائد جمة ترجح، في ميزان التنصير، محاولات اقتلاعها مع الإسلام الدين!.. فقالوا: «إن تحديد الأهداف هي الخطوة الأولى التي يجب اتخاذها لتطوير أسلوب جديد.. والهدف هو: إيجاد

مجموعات من أبناء الرب – (المتنصرين) – في أوساط ما يسمى «الثقافة الإسلامية»، وتكون هذه المجموعات:

1- ملتزمة بولاء الإيمان للرب وفقا للوحي الإنجيلي.

2- أن تؤدي وظيفتها ضمن قالبها الاجتماعي – الثقافي..[13]»..

لقد دعوا إلى قبول «الأشكال والأنماط» الإسلامية، مع ملئها بالمضامين النصرانية:

«إن مضمون صلاتنا ووعظنا موجود بكل وضوح في الكتاب المقدس، ولكن الشكل والنمط قد ترك دون تحديد [14]»!

وهنا من حقنا أن نتساءل:

إذا لم تكن في النصرانية أشكال وأنماط للعبادات.. فأي دين هذا الذي به يبشرون؟؟!..

وإذا كانت فيها للعبادات أشكال وأنماط، بينها وبين المضامين علاقات، فأي رجال دين هؤلاء الذين يفسدون دينهم ويشوهونه ويقطعون أوصاله، لا لشيء إلا لإفساد دين المسلمين؟؟!..

ثم.. ألا ترتبط الأشكال والقوالب والأنماط والهيئات في العبادات الدينية بمضامين هذه العبادات؟!.. إن ذوي العقول لا يختلفون في ذلك.. بل ويجعلون هذا الارتباط قانونا في كل الميادين، في الآداب والفنون: علاقة للشكل بالمضمون، وفي أنماط الحياة: علاقة للهيئات بالقيم والأخلاق ، وفي العبادات كذلك: علاقات بين الهيئات والأماكن وبين المضامين..

وإذا كان «الصب» – كما يقولون – «تفضحه عيونه»؟!.. فإن بعضا من كلمات قساوسة التنصير تعري نفاقهم، عندما تشير إلى أن قبولهم بالثقافة الإسلامية، ليس فقط فك ارتباطها بالإسلام، وتوظيفا لها في التنصير – وهو ما يعترفون به، ويدعون إليه – وإنما هو قبول مراوغ ومنافق.. لأنهم يتحدثون عن ضرورة «تطهير» هذه الثقافة الإسلامية من «تلك العناصر التي لا تخدم هدف» التنصير!!.. وهنا نسأل عن الجديد.. أليس هذا هو «التحويل الثقافي»؟.. لكنه في المخطط الجديد يتم بالتدريج، ومع تزايد جرعات التنصير، حتى لا

تحدث «الصدمة الثقافية» التي كانت تحدث عند التحويل الثقافي المفاجيء؟!..

إنهم يتحدثون عن هذا «التطهير» للثقافة الإسلامية – التي يريدون فك ارتباطها بـ«الإسلام» – فهو، إذاً، تطهير لها من إسلاميتها.. فهل تصبح بعد ذلك «إسلامية»؟!.. وفيم إذاً الحديث عن قبول الثقافة الإسلامية وأنماطها وأشكالها، وقبول القوالب الاجتماعية للحياة الإسلامية؟!..

إن الحديث عن «أن يسوع كان يحب أن يتجسد في أية ثقافة من الثقافات، حيث يقوم هو طبعا بتطهير تلك العناصر التي فيها والتي لا تخدم هدفه، كما يحرم الممارسات الآثمة، ولهذا فإن رسول يسوع، غير المتحيز إلى المسلمين، سوف يجد في الثقافة الدينية الإسلامية الشيء الكثير الذي سوف يكون، بعد تطهيره من قبل المسيح، أداة رائعة يمكن من خلالها أن يظهر المسيح نفسه لهؤلاء الناس..(15)»!

إن هذا الحديث يفضح المخطط، بل ويجرده من عناصر «الجدة»!.. فنحن أمام ذات المخطط القديم.. التحويل الثقافي.. ولكن بالتدريج، المسخ الثقافي.. ولكن بأسلوب ناعم، اقتلاع الثقافة الإسلامية.. تحت شعار تطهيرها من إسلاميتها!. ويبقى التنصير غزوا فكريا غربيا في الدين والثقافة جميعا.. ويبقى حديث قساوسة التنصير عن «التعددية الثقافية» ضربا من النفاق الرخيص؟!..

ولنتأمل جيدا العبارة الآتية – فهي «اعتراف» بهذا المخطط.. مخطط قبول «لافتة» الثقافة الإسلامية لاقتلاعها بعد ذلك، لكن بالتدريج.. تقول عبارة البروتوكولات:

«نرجو أن يلاحظ أننا لا نلعب لعبة الحقائق النسبية الثقافية، فما يحتاج إلى تغيير في ثقافة المسلم سوف يتم تغييره، أملين في أن يكون ذلك عن طريق الكنيسة التي ستنشأ، ومن خلال زيادة الفهم والإدراك الروحي..»

والقضية هي قضية «المحافظة على أكبر قدر ممكن من الخلفية الثقافية كي نساعد المسلم العيسوي على أن يشعر أنه بتنصره وإيمانه بالمسيح فإنه لم يكن عليه أن ينتقل من ثقافته إلى ثقافة أجنبية غريبة

عليه، وهذا العمل يتطلب منصرا من نوعية خاصة جدا للقيام به»

فجديد هذا المخطط لا يتعدى، في هذه القضية - قضية الموقف من الثقافة الإسلامية - تحاشي الانتقال الفجائي - كي لا تحدث «الصدمة الثقافية» - التي - كما يقولون -: «تؤدي إلى شعور بفراغ اجتماعي يؤدي إلى هروب عدد كبير من المتنصرين..[16]»؟!..

فبدلا من التحويل الثقافي المفاجئ.. يتم «التطهير» التدريجي للثقافة الإسلامية من إسلاميتها، وإحلال المضمون النصراني محلها.. فنصبح بإزاء ثقافة غير إسلامية!!..

وبدلا من استخدام «السين» - سنغير - يستخدمون «سوف» - «فما يحتاج إلى تغيير في ثقافة المسلم سوف يتم تغييره..»!!..

هذا هو الجديد.. وتلك هي «التعددية الثقافية» التي يتحدثون عنها، والتي ذهبوا يؤصلونها حتى من الإنجيل، ولدى بولس الرسول!!..

* * *

وإذا كان عجيبا أن نتحدث عن ثقافة «إسلامية» بعد نزع الصبغة «الإسلامية» عنها.. فإن الأشد عجبا هو حديث هؤلاء القساوسة عن فك الارتباط بين «مضامين» أركان الإسلام الخمسة وبين «أشكالها».. والزعم «بأن أركان الإسلام الخمسة تتوافق جوهريا مع الكتاب المقدس في معظم أشكاله، وإن كانت تختلف أحيانا في المضمون..[17]».

فشهادة أن لا إله إلا الله، لا تعصف، فقط، بمضامين النصرانية.. وإنما تفضي إلى رفض أشكال عباداتها المؤسسة على عقيدة الخطيئة والخلاص والتثليث.. كما أنها تحدد وتكرس «التوحيد» الخالص كمكون أساسي «لأشكال» العبادات في الإسلام.. فتوهم فك الارتباط بين مضامين الدين الإسلامي وأنماط عباداته وأشكال شعائره، ومثل ثقافته، والقيم الاجتماعية لأمته وحضارته هو وهم من أوهام قساوسة التنصير!..

لكننا - لمزيد من فضح معالم المخطط - نواصل عرض النصوص التي تعلن عن أبعاده.. وذلك من مثل قولهم:

«فالمسلمون في حاجة «لأن يتم اللقاء بهم داخل إطار الإسلام»،

و«الثورة الروحية يجب أن تحدث داخل الإطار الاجتماعي للمتنصر»، «هل نستطيع أن ننقل المسيح الحي، بكل قدرته على الشفاء وطرد الأرواح الشريرة والخلاص إلى داخل العالم الحقيقي للمسلم العادي.. دون إدانة ضمنية لتراثه القومي والثقافي..[18]»؟

«ومن البديهي أن الناس يكونون أكثر رغبة في تقبل الإنجيل عندما يقدم إليهم بطريقة ملائمة غير غريبة عن ثقافتهم، وعندما يستطيعون الاستجابة إليه بمشاركة أبناء جلدتهم معهم.. فالرفض الإسلامي للكتاب المقدس في بعض المجتمعات الإسلامية قد يكون سببه حواجز ثقافية ولاهوتية في نفس الوقت..[19]»

وهم قد هربوا من المواجهة على جبهة «الأسباب اللاهوتية».. وسلكوا سبل الخداع والتمويه على جبهة «الأسباب الثقافية»؟!..

لقد دعوا إلى التنصير من خلال «الثقافة السوداء» في إفريقيا.. وكتبوا عن التنصير في السنغال – ذات الأغلبية المسلمة – يقولون «يجب علينا أن نتحرك عبر الإسلام وعبر الثقافة السوداء أيضا، أي عبر البيئة القبلية التي يوجد فيها الإسلام في السنغال.. فالإسلام بالنسبة إلى السنغاليين دين للسود[20]»..؟!

ودعوا إلى صلاة نصرانية، بقيام وركوع وسجود – حركات – إسلامية في دور عبادة مناسبة لهذه الحركات؟!.. لأن «المتحولين عن الإسلام»، الذين يقولون: إن أعمق تجربة لعبادة يسوع هي في سجودهم ورؤوسهم على الأرض، لهم مطلق الحرية أن يتعبدوا بمثل هذه الطريقة، ويبنوا أماكن عبادتهم على هذا الأساس، ويسوع يحررهم من العبادة وفق الأنماط والأشكال الغربية. فهل سمحنا نحن لهم بذلك؟

تشير الأدلة التاريخية إلى أننا قد رفضنا أسلوبهم في العبادة، وشيدنا لهم أبنية على النمط الغربي، وأجبرناهم على أن يجلسوا على المقاعد وقد وضعوا رجلا فوق أخرى، تماما كما يحدث في الكنائس البروتستانتية في الغرب، فما مدى استعدادنا، من أجل يسوع المسيح،

أن نتجسد في أنماط دينية - ثقافية - إسلامية - مقدسة [21]؟»

وإدراكا منهم لقرب النموذج اليهودي - لأصوله السامية - من النموذج العربي الإسلامي - ذي الأصول السامية - إذا ما قوبل بالنموذج الغربي - في العمارة - دعوا إلى «اقتباس هندسة «الكنيس» اليهودي لبناء «كنيس نصراني»، لإمكان أن يكون ذلك مثالا يحتذى به في عملية تنصير المسلمين»!

بل ودعوا إلى «مسجد نصراني» أو «جماعة صوفية» نصرانية، بدلا من الانضمام إلى «كنيسة» نصرانية أجنبية، فلربما تكون قرارات التحول إلى النصرانية أكثر عددا وأجدى نفعا مما كانت عليه في الماضي» [22]؟!

لقد هربوا من مواجهة الاختلافات الجوهرية بين عقائد الإسلام والنصرانية.. وقفزوا فوق حقيقة ارتباط المضامين بالأشكال في العبادات والشعائر الدينية.. وحقيقة أن الإسلام الدين هو الذي صبغ الثقافة الإسلامية بالصبغة التي جعلتها متميزة بهذه الإسلامية.. وحاولوا اختزال الفروق بين الديانتين في أشكال ومظاهر ثانوية.. وفك الارتباط بين الإسلام وثقافته.. وبين الدين وشعائره.. للبدء في مسيرة تعتمد التدرج والمرحلية في اقتلاع كل شيء: المضامين - التي أعلنوا نية تنصيرها من البداية -.. والثقافة التي أعلنوا تغييرها بالتدريج!.. ودعوا إلى «لغة» و «مصطلحات» غير تقليدية، تخلط الأوراق، وتساعد على تحقيق مقاصد هذه البروتوكولات.. وقالوا في رسم معالم هذا المخطط:

«إن استعمال اللغة يمكن أن يكون «وسيلة» أيضا.

* إن كلمة مسلم تثير المشاعر كثيرا بالنسبة إلى المنصِّرين، من ناحية تاريخية ولاهوتية. ولكن هناك حقيقة مجهولة تهمل في أكثر الأحيان، وهي أن لهذه الكلمة مدلولاً إنجيلياً: أي استسلم. ونحن نقترح أن يطلق على المسلمين الذين يعتنقون النصرانية: «مسلمون عيسويون».

وهذا له معنيان:

أولا: أنهم استسلموا لعيسى.

ثانيا: أنهم مازالوا جزءا من ثقافتهم ووطنهم.

وباستخدام اصطلاح «مسلم - عيسوي» يمكن المحافظة على الثقافة والولاء الجديد معا.

إن كلمة «مسجد»، هي الأخرى، تثير المشاعر، ويجب أن يعالجها المنصرون.

ألا نتجرأ على القيام بمبادرة جديدة، واستخدام اللغة كوسيلة جديدة؟. لماذا لا نطلق على المكان الذي يلتقي فيه المسلمون العيسويون: «مسجد عيسوي»؟ فربما قبل المسلمون في النهاية المسجد العيسوي كفرع طبيعي ضمن الثقافة الإسلامية.

يجب ألا يفهم من ذلك أننا نقترح أو نعمل على التوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة عندما نقترح استعمال هذا الاسم. وعلى كل فنحن لا نحط من قدر العقيدة النصرانية بأي حال، ولا نساوم على مبدإ إنجيلي، لقد التقى الرسول بولس واستيفن وعدد من الآخرين في الكنيس اليهودي بصورة منتظمة، ولم يكن ذلك فقط من أجل الجدل اللاهوتي والمناظرات مع اليهود، ويمكن أن يمجد ربنا يسوع المسيح فوق المنبر في مسجد عيسوي كما يمجد داخل مبنى يطلق عليه الكنيسة المشيخية في «إسلام فيل» فالإنجيل سيقوم بالإقناع بغض النظر عن اللافتة الموجودة على الباب.

ونحن لا نفكر هنا أبدا في إيجاد مكان لمحمد بجانب المسيح. وما أريد أن أقوله هو أنه إذا لم تنتهك مبادىء الكتاب المقدس، إذاً فليس هناك ما نربحه من جراء طمس كل الاعتبارات الثقافية وإزالة البنية الاجتماعية للمسلمين العيسويين، والذي يؤدي إلى شعور بفراغ اجتماعي يؤدي إلى هروب عدد كبير من المتنصرين.

* يجب المحافظة على أكبر قدر ممكن من الخلفية الثقافية كي نساعد المسلم العيسوي على أن يشعر أنه بتنصره وإيمانه بالمسيح فإنه لم يكن عليه أن ينتقل من ثقافته إلى ثقافة أجنبية غريبة عليه. وهذا العمل

يتطلب منصرا من نوعية خاصة جدا للقيام به. نرجو أن يلاحظ أننا لا نلعب لعبة الحقائق النسبية الثقافية، فما يحتاج إلى تغيير في ثقافة المسلم سوف يتم تغييره، آملين في أن يكون ذلك عن طريق الكنيسة التي ستنشأ، ومن خلال زيادة الفهم والإدراك الروحي.

والسؤال المطروح هو: هل يصح أن نستمر في خلق حواجز أكثر مما هو موجود عن طريق عزل المسلم عن ثقافته؟ والإجابة عن ذلك نفي قاطع لا لبس فيه، إذاً نقترح أن تترك الأحذية عند الباب في المسجد العيسوي (وليس هناك خسارة في القيام بذلك). وأن تكون هناك أوضاع متعددة للصلاة العامة (والكتاب المقدس يسمح بالركوع ورفع الأيدي). وألا تكون هناك مقاعد، وأن تستعمل حصائر للصلاة إذا رغب المصلون في ذلك. ولكن المصلين لن يولوا وجوههم نحو الشرق [23] ولن يكون هناك أي إشعار أو دعوة للجهاد على حيطان المسجد العيسوي (إذ إن المصلين العيسويين قد يقررون مستقبلا كتابة شيء عن المسيح على تلك الحيطان).

* هل من الضروري أن يكون للمؤمنين يوم مخصص لعبادتهم الجماعية، كيوم الأحد مثلا؟

لنفترض أن الدولة اختارت يوما آخر ليكون اليوم الروحي أو الديني بالنسبة إلى الأسبوع؟ هل يمكن للمسلم العيسوي أن يحافظ على مبدإ بدء أسبوعه بالعبادة في هذا اليوم الذي تم اختياره؟ وهل يعتبره قد حل محل اليوم الأول للأسبوع في ذهنه وقلبه؟ وهل يمكننا على ضوء ماحدث لتقويمنا على مر القرون [24] أن نؤكد أن يوم الأحد عندنا كان دائما هو اليوم الأول في الأسبوع فقط؟

بما أن كثيرا من الحكومات في البلدان الإسلامية قد اعتبرت يوم الجمعة هو يوم العطلة الأسبوعية، فنحن نقترح، على ضوء ما يقوله العهد الجديد، بخصوص مراعاة الأيام، أن يتم توزيع تقويم على المسلمين العيسويين يوضح لهم أن يوم الجمعة هو اليوم الأول في

الأسبوع بالنسبة إليهم، وسيكون لهذا الإجراء أثره على الحفاظ على الموقف الروحي.

*** يجب كذلك أن نجعل من رمضان - شهر الصيام - شهراً مليئاً بالعمل والنشاط والحيوية، بخلاف ما كان عليه الحال في الماضي من قضاء ليالي الشهر في ممارسات دينية، وعليه فيجب أن يتم التخطيط لمؤتمرات وندوات دراسية على امتداد الشهر لأعمار وأجناس مختلفة. يجب أن يكون هذا الشهر شهر تركيز واهتمام بالنسبة إلى المسلمين العيسويين، إذ يقيمون الاحتفالات والأفراح كما يفعل جيرانهم المسلمون المحمديون.**

- أما مناسبات الزواج والميلاد، وحتى الجنائز، فيمكن أن تكون عيسوية، بحيث تظهر بالنسبة إلى المسلم الخارجي على أنها جزء من الثقافة الوطنية..» [25]

تلك ملامح أساسية من هذا المخطط الجديد الذي لا يبقي، في الحقيقة، من الثقافة الإسلامية - برغم الحديث عن التعددية الثقافية، واحترام الثقافة الإسلامية - سوى «لافتتها» فقط لا غير.. والذي يعتمد - وهذا هو الجديد - التغيير التدريجي لها.. **بدلا من التحويل الفجائي الذي يحدث «صدمة ثقافية» تجعل المتنصرين يهربون!.. وبدلا من «حالة الحرب الدائمة» التي يشنها بعض المنصرين على «المسلم في كل موقع من كيانه الثقافي، ويصرون على تطهيره بصورة كاملة من مجمل ثقافته، الأمر الذي ينتج عنه حصاد ضئيل..»** [26]؟!

فمع الاحتفاظ بلافتة «الثقافة الإسلامية» يتم اقتلاعها، تدريجيا، مع اقتلاع أصلها وصبغتها: الإسلام!.. وإذا كانت «طقوس الزواج الإسلامي في إيران» تضع - على قطعة من القماش - أمام العريس والعروس:

1- القرآن، يوضع في الوسط، كي يكون مركز حياتهم.

2- بعض النباتات الخضراء الغضة، كي تصبح حياتهم رتيبة.

3– سمكة من نوع السمك الذهبي، كي يكون زواجهم مفعما بالحياة.

4– قطعة من الخبز، كي تكون مائدتهم عامرة دائما.

5– بيضة، كي يرزقهم الرب أولادا.

6– قطعة من السكر، يجري كسرها فوق رأسيهما، كي تكون حياتهم حلوة.

7– شمعة، كي يضيء الرب لهما الطريق الجديد.

فإن المخطط الجديد للتنصير ينصح بالاحتفاظ بهذه «الأشكال» مع تغيير «مركز الحياة»! «فإذا وضع العهد الجديد في الوسط، مع مضمون ورسالة نصرانية – (بدلا من القرآن) – فهل يستطيع المسيح أن يتجسد بهذا الشكل الثقافي. إني – (والعبارة لكاتب البحث: بشير عبد المسيح) – أعتقد أنه سيكون سعيدا جدا لأن يتجسد بهذا الشكل» [27]!

المهم تحويل «المركز» و«الاتجاه» و«المضمون» و«دائرة التركيز».. ولا ضير، بعد ذلك، من بقاء «الشكل الثقافي» «طُعما» تألفه الضحايا كي تقع في الشباك؟!..

* * *

ولقد ذهب قساوسة التنصير إلى ضرب الأمثال على نجاح هذا المخطط الجديد في زيادة حصادهم النصراني بين المسلمين.. فحكوا عن تجربة قس قبطي – (مصري) – طبق هذا المنهاج في عقد الستينيات – وهي تجربة نورد النص المعبر عنها للتدبر والتأمل والاعتبار؟! – قالوا:

«قبل نحو عشر سنوات، أرسل الرب بهدوء قسا أرثوذكسيا ولد من جديد – وسوف نسميه إبراهيم – للعمل على تنصير المسلمين في الشرق الأوسط.

لقد أدهشني شيئان حول عمله. فقد استطاع القس إبراهيم أن يعمد مئات المسلمين في بلد لم يتم فيه تنصير مسلم واحد [28]!

أما الشيء الثاني فهو أن الرب قد شاء أن يستخدم قسا أرثوذكسيا كي يكسب المسلمين في بلد توجد فيه كنيسة بروتستانتية محلية قوية جدا [29].

في اجتماع مساء يوم الخميس، امتلأت القاعة بالحضور، كما امتلأت غرفة أخرى وضع فيها جهاز تلفيزيون لنقل ما يجري في القاعة. ولقد استمرت التراتيل نحو ساعة كاملة، كان يسيطر عليها الشعور بحضور عميق للكتاب المقدس. ثم ألقى القس إبراهيم موعظة استمرت ساعة وعشر دقائق، أعقبها فتح المجال لطرح الأسئلة المكتوبة، وبعد ثلاث ساعات كاملة انفض الاجتماع.

* أنماط اجتماعية وثقافية في طريقة القس إبراهيم:

1- لم يتم استعجال الوقت أو تحديده، مما جعل المسلم يشعر وكأنه في بيته، وهذا ما يحصل عادة في الاجتماعات الإسلامية.

2- كانت أصوات مكبرات الصوت والنوافذ مفتوحة، إضافة إلى وجود أجهزة تسجيل تحيط بالقس إبراهيم، أمور ملائمة ثقافيا، حيث ملأت هذا الجو بشعور من الإثارة الروحية والدينية، تماما كما يجري في اجتماعات الجامع الذي سبق لي أن حضرتها.

3- لقد كانت المنصة ملأى بالناس، وسيطر على الاجتماع روح من الارتباط المتبادل العفوي، وكان الحضور مشاركين فيما يحدث أكثر مما كانوا مشاهدين ومستمعين.

4- لقد تعامل القس إبراهيم مع الأسر الإسلامية كوحدة كاملة، وركز على رؤساء الأسر الذين يكونون عادة صانعي القرار في المجتمع الإسلامي، وكان للرجال المسنين مثل هذا المركز أيضا، وقد تم تعميد الأسر كوحدات كاملة.

5- لقد كان اختيار عقد الاجتماع في مساء يوم الخميس مناسبا جدا، لأنه أفضل وقت يتمكن فيه المسلمون من الحضور.

6- لقد تم الفصل بين الرجال والنساء، وخصصت الشرفة الداخلية للنساء ، وهذا مكان مناسب جدا للنساء المسلمات اللواتي لم يعتدن نظرات الرجال الفضولية.

7- وضع القس إبراهيم على رأسه قبعة تشبه العمامة، ولبس جلبابا طويلا يشابه اللباس الذي يلبسه علماء المسلمين.

* أنماط الوعظ والتبليغ في طريقة القس إبراهيم، التي تناسب المسلمين:

1- إن الموعظة القوية والمؤثرة والمطولة تحظى بإعجاب المسلم.

لقد شهدت مرارا مواعظ كثيرة متقدة بالحماس، حيث يتبادل الوعظ عدة أشخاص، وهذا يتم حتى في احتفالات الزواج، إن طريقة استخدام اللغة، وخاصة اللغة العربية، مهمة جدا.

2- إن الاستخدام الواسع للأقاصيص والأمثلة، بدلا من المنطق البارد، مهم أيضا.

3- لقد هز ترديد مقاطع الإنجيل من قبل الجميع القاعة مرات عديدة، وكم هو رائع أن تسمع 2000 شخص يرددون هذه المقاطع. إضافة إلى ذلك قام القس إبراهيم بتدريس الكتاب المقدس لنحو 400-500 شخص بقوا بعد مغادرة الجميع لطرح الأسئلة [30].

4- إن الطريق إلى إرادة المسلم لا تكمن في عقله، ولكن في دعوة قوية ومؤثرة توجهها إلى قلبه. ولقد كان الاجتماع مشحونا بالحياة والمشاعر كما يجري في الجوامع.

5- تم تدريس الشباب في مدارس إنجيلية غير رسمية أقيمت بصورة مشابهة للمدارس الدينية غير الرسمية التي تهيىء العلماء المسلمين للعمل في الجوامع.

6- لقد استخدمت المعجزات كعامل مقنع ومؤثر في إرادة المسلم، لا كجزء من منطقه الديني، حيث إنه يؤمن بشدة بالأمور الخارقة للطبيعة.

* الأنماط الدينية والثقافية في طريقة القس إبراهيم التي تناسب المسلمين:

1- كان وعظ القس إبراهيم جليا وحماسيا تلازمه القوة المقنعة التي يحترمها المسلم.

2- كانت القاعة خاوية إلا من بعض الصور التي وضعت في

الواجهة.

3– كانت ملابس القس إبراهيم ومظهره تتطابق وفكرة المسلم عن العالم الديني.

4– رفع الكثير من الحضور أياديهم في أثناء الصلاة كما يفعل المسلمون.

5– إن الأب هو رأس الأسرة الإسلامية، وقد وجهت الدعوات إلى رؤساء البيوت الإسلامية.

6– لم تتم الصلاة والحضور جلوس. فقد طلب القس إبراهيم من الحضور الوقوف، ووقف هو في نفس الاتجاه ثم بدأت الصلاة، ويشعر المرء أن الجمهور اتحد معه في التعبير المسموع وفي رفع الأيدي. إن الصلاة الجماعية جزء مهم جدا من عبادة المسلم.

7– كانت الموعظة والدعوة قوية ومنفتحة، فالمسلم الصالح غير متخلف، ولا يكون عادة معتذرا أو مدافعا وهو يتحدث عن دينه..» [31].

تلك هي الصورة العملية للاختراق التنصيري، من خلال الأعراف الثقافية والاجتماعية للمسلمين.. وإذا لم تكن هذه «التجربة» قد حدثت على هذا النحو.. فإنها – في كل الحالات – التعبير عن «النموذج» الذي يقدمه قساوسة التنصير «للعمل» على تطبيق «المنهج» الجديد في الاختراق للإسلام من خلال الثقافة الإسلامية.

* * *

ومن باكستان يسوقون تجربة المنصرة «التي كانت تعمل في باكستان لمدة سنين عديدة دون نجاح، كي تقحم مسيحها «الغربي» في الثقافة الإسلامية. وكيف استطاعت أن تدخل بفضل محبة ومساعدة أصدقاء مسلمين لها داخل هذه الثقافة، وأن تجد بمرور الوقت مسيحا «شرقيا»، يستطيع تماما أن يواجه احتياجات المسلمين..» [32]!

وللشعوب ذات الخلفيات الثقافية الشبيهة بالسامية – في مواريثها الفكرية – يرشحون الأجزاء الملائمة من نصوص كتابهم المقدس.. وعن ذلك يقول واحد منهم:

«لقد علمتني تجربتي الذاتية في إفريقيا أن أبناء الأمم ذات الثقافة الشبيهة بالثقافة اليهودية، ترى الرب ورسالته بوضوح أكثر عن طريق أجزاء أخرى من الكتاب المقدس..

وفيما يختص بالمسلمين الذين لديهم ثقافات سامية فهناك الكثير من النظائر في تلك الأجزاء من الإنجيل، والتي غالبا ما يتجاهلها الأمريكيون - الأوروبيون.. كما يجب علينا أن نلقي نظرة فاحصة على الأجزاء السامية من العهد القديم والعهد الجديد، وليس على تلك الأجزاء التي وجهت إلى الجماهير الرومانية - الإغريقية...»[33]!.. ذلك أن «إنجيل القديس متى (الذي يفترض جمهورا ساميا، ويركز على إشارات العهد القديم.. إلخ) يختلف عن إنجيل القديس مرقص (الذي يتعمد أن يشرح التقاليد اليهودية لغير اليهود.. إلخ). ولأسباب عديدة أوصى صموئيل زويمر المنصرين باستعمال إنجيل القديس متى في عملهم بين المسلمين»[34]؟!

وهكذا يظل اقتلاع الإسلام هو المقصد الأكبر.. وتجريد الثقافة الإسلامية من هويتها وجوهرها والصبغة التي تميزها هو جوهر مخطط التعامل معها.. برغم الحديث الكثير عن التعددية الثقافية.. فالمنطلق والمقصد - ومن ثم الوسائل والسبل - تتضافر جميعا على إلغاء أمة وحضارة بإلغاء الدين الذي صنعها وميزها من بين الأمم والحضارات!..

* * *

لقد حدد قساوسة التنصير أنه لا قبل لهم ولا لنصرانيتهم بمواجهة الإسلام الحقيقي.. إسلام الكتاب والسنة.. إسلام التوحيد.. وقرروا الهروب من هذه المواجهة، والالتفاف حول الإسلام الحق، واختراق ماسموه «الإسلام الشعبي».. «إسلام العامة».. «إسلام الجن والعفاريت والسحر والعين الشريرة».. فنصرانيتهم لا تستطيع المواجهة خارج هذا الإطار!..

وحتى في هذا الميدان.. كان مخططهم «الخداع» و«التحايل»، بالاختراق تحت مظلة الثقافة الإسلامية، ومن خلال المصطلحات الإسلامية، التي رأوا إمكانية صب «المضامين»

النصرانية في «أوعيتها»!..

وكي ينجح مخططهم هذا، اعترفوا بأن الثغرات التي فتحتها الحضارة الغربية «العلمانية - اللادينية» في جدار الثقافة الإسلامية هي سبل اختراقهم النصراني للإسلام!!.. فكأنهم - وهم رجال الدين - إنما يستعينون في نشر الدين بالسبل والعوامل اللادينية؟! - وهذا هو مبلغ هؤلاء القساوسة من أخلاقيات الدين والتدين؟؟!..

لقد أعلنوا - دون حياء - أن «الإرساليات التنصيرية تعتبر نمو المادية والعلمانية قد يؤدي إلى انفتاح أكبر في قطاع من المجتمع نحو التنصير، كما قد يؤدي إلى تخفيف حدة العداء لتنصير المسلمين»!!.. وأن «القومية (بالمعنى الغربي الذي زرعوه) - وإن كان لديها إمكانية لتقوية الإسلام سطحيا - تنخر في مبادئه وقيمه الأساسية»!!..

وأن الحكومات المسلمة «التي تمثل القوة الدافعة نحو التغريب والتحديث، هي أسوأ عدو للإسلام» (35)!! وأن «العوامل التي تجعل الإنسان المسلم على استعداد لتقبل النصرانية هي - على وجه التحديد -: التمدن، والصناعة الجديدة، والتهجير، والاستعمار، واعتماد النمط الغربي في الحياة، والتغييرات السياسية، والثورات، والقمع..» (36)!!

وأن «أتاتورك كان مفضلا ومحبوبا جدا من قبل المنصرين، لأن تأثيرهم كان متفقا مع خط التغريب التجديدي الذي انتهجه أتاتورك للإصلاح» (37)!!

ونحن نرى.. وننبه على أن الأهم من فضح إعلانهم هذا لمخططات الهيمنة الحضارية الغربية على بلادنا، التي تمهد السبل للتنصير واقتلاع الإسلام... الأهم من هذا هو فضح هذا الإعلان للعلمانيين والمتغربين من أبناء جلدتنا؟!.. أولئك الذين كشفت بروتوكولات قساوسة التنصير عن دورهم وموقعهم ووظيفتهم، لا في تغريب الثقافة الإسلامية والحياة الإسلامية والنهضة الإسلامية فحسب، بل وفي التنصير الذي يريد اقتلاع الإسلام وتنصير كل المسلمين!!..

إن هذا الفضح الذي أعلنته هذه البروتوكولات لدور العلمانيين

والمتغربين من أبناء المسلمين، ليستوجب منهم إعادة النظر، والمراجعة، وتحسس مواضع الأقدام.. فلقد يكون فيهم المخدوع.. وحسن النية.. وصاحب الاجتهاد الخاطيء.. لكن الكشف عن حقيقة الثمرات التي تصنعها العلمانية والتحديث الغربي «واعتماد النمط الغربي في الحياة»، ودورها في فتح ثغرات الاختراق النصراني للإسلام لابد من أن يحفز المخلصين منهم إلى الانتباه.. فالعمالة الحضارية، والعملاء الحضاريون - كما تعلن هذه البروتوكولات - هم ثغرات تمهد السبل لهذا الاختراق!..

ورحم الله فيلسوف الشرق وموقظه، جمال الدين الأفغاني (1254-1314هـ 1838-1897م) الذي قال قبل قرن من الزمان: «إن المقلدين للتمدن الغربي إنما يشوهون وجه الأمة، ويضيعون ثروتها، ويحطون من شأنها، إنهم المنافذ لجيوش الغزاة، يمهدون لهم السبيل، ويفتحون لهم الأبواب، ثم يثبتون أقدامهم..» (38)؟!

نعم.. فنحن أمام اعترافات، لا تفضح فقط قساوسة التنصير، وإنما تفضح أيضا، الامتدادات السرطانية للنموذج الحضاري الغربي في مختلف مذاهب الفكر وميادين الحياة في عالم الإسلام؟!..

* * *

لكن المنصرين، أصحاب هذه البروتوكولات، بعد هذا الحديث عن مخططات اختراق الإسلام، بالالتفاف حوله، وإتيانه من داخله، وتحت مظلة ثقافته.. تزل ألسنتهم، بين الحين والآخر، بكلمات تتحدث عن استحالة الفصل بين الإسلام وبين الثقافة الإسلامية.. لكن دون أن يثنيهم هذا الاقتناع عن السير في هذا المخطط، ولكنهم يشحذون الهمم لتكثيف الجهود في التدبير والتنفيذ؟!..

إنهم يقولون: «قد نحاول أن نفرق بين المحيط الديني والمحيط الثقافي ولكن هذه المحاولة ستؤدي إلى تشويه سمة جوهرية في الإسلام..» (39).

فهل يتعلم - من هذا القول - العلمانيون من أبناء جلدتنا أن فصل الثقافة الإسلامية

عن الدين الإسلامي، لا يشوه، فقط، هذه الثقافة، وإنما، أيضا «سيؤدي إلى تشويه سمة جوهرية في الإسلام»؟!..

وهل نتعلم – من هذا القول – أن «إسلامية ثقافتنا» ليست فقط حفاظا على هويتنا الثقافية المتميزة، وإنما هي، أيضا، تحصين للإسلام ضد اختراق التنصير؟!..

وهم يعترفون باستعصاء الإنسان المسلم على الاختراق النصراني من خلال الثقافة الإسلامية، لأنه لا يفتح لهم ثغرة بين «الدين الإسلامي» وبين «الثقافة الإسلامية».. ويضربون المثل بالمسلم التركي، الذي بذل أتاتورك الجهود الخارقة لعلمنة ثقافته ودولته وقانونه وكل ميادين العمران في بلاده.. ومع ذلك ظل هذا «المواطن التركي – (في رأيهم.. وحسب تعبيرهم) – متعصبا، حيث إن دينه مرتبط ارتباطا بهويته الثقافية القومية، فالطلب من التركي لأن يصبح «نصرانيا» يعني بالنسبة إليه أن يصبح يونانيا أو أرمنيا بغيضا.. إنه يرى النصرانية شيئا غريبا أساسا، وأجنبيا، والأقليات النصرانية، كالأرمن واليونان، تؤكد له الارتباط بين النصرانية والمشكلة القبرصية ومكاريوس والمؤامرات الأرمنية وتدخل الأنظمة النصرانية الغربية في شؤون تركيا.. إلخ...» (40) . فهل نتعلم من هذا الاعتراف أن الإسلام هو هوية هذه الأمة، حتى في الثقافة والقومية؟.. وأن اختراق أي ميدان من ميادين «فكرنا» الإسلامي، أو «واقعنا» الإسلامي إنما هو سبيل لاختراق هذا المكون لهويتنا وجوهر حضارتنا، وصبغة أمتنا: «الإسلام الدين»؟!.. وهم يبررون هروبهم من مواجهة الإسلام الحقيقي، باستعصائه على الاختراق.. فيقولون – بلسان واحد منهم –: «إنني أميل إلى الاتفاق مع «فاندر» و «زويمر»، و«فريتاك» وآخرين فيما ذهبوا إليه من أن الإسلام حركة دينية معادية للنصرانية «مخططة تخطيطا يفوق قدرة البشر»، لمقاومة الإنجيل، إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، وترفض بكل وضوح موثوقية وصحة الإنجيل، وأبوة الرب، وأن المسيح ابنه، وضرورة موته وكفايته لمفهوم الخلاص، وتبرير بعثه، إنه الخلاف الأكبر في النصرانية وفي الكتاب المقدس.. وفي ذات الوقت، فالنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة

اجتماعيا وسياسيا..»!..

هنا.. في هذا «الاعتراف»، نرى «الجحود» - جحود الكافرين - يضع على ألسنتهم عبارة: «الإسلام حركة دينية مخططة تخطيطا يفوق قدرة البشر»!!.. وذلك بدلا من الاعتراف بأنه وحي الله الذي تفوق قدرته قدرة البشر؟!..

لكنهم - مع هذا الاعتراف بتفوق الإسلام.. وبأنه «أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا». - لا يزايلهم أمل اختراقه، بالالتفاف حوله، وتحت مظلة ثقافته، بالمكر والحيلة والخداع.. فيواصلون الحديث قائلين: «.. **ولكن هذه الحقيقة يجب ألا تثبط عزم المنصرين أو تعميهم عن رؤية العديد من نقاط الاتصال والجسور**» [41]؟!

فهل ندرك نحن قيمة نعمة الإسلام، التي من الله علينا بالتدين بها؟.. وإذا كان الله سبحانه وتعالى، قد تعهد بحفظ كتاب هذا الدين: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ**)[42].. فإنه قد افترض علينا نحن أن نقيم هذا الدين: (**شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**)[43].

وفي مقدمة مقتضيات إقامة هذا الدين:

* سد الثغرات التي فتحها الغرب في جدار الحياة والثقافة الإسلامية.. والتي يسعى المنصرون من خلالها لاقتلاع الإسلام وتنصير المسلمين..

* والدعوة إلى الإسلام.. ليس فقط بالقول.. وإنما بإنهاض نموذجه الحضاري، الذي يشيع هدايته على العالمين، حاملا لهم سعادة دنيوية تؤهلهم لسعادة الدار التي هي خير وأبقى..

* وكشف المخططات اللاأخلاقية لأعداء الإسلام، كسرا لشوكتهم، وإزالة للغشاوة الغربية والتغريبية من على أعين المخدوعين من أبناء أمتنا.. وذلك بتمييز مضامين المصطلحات الدينية التي يريدون استغلال أوجه الشبه بينها وبين مصطلحات نصرانية لوضع المضامين النصرانية الغربية فيها..

* وإحكام الحصار حول البؤر الدينية والفكرية - نصرانية.. وعلمانية - التي يريد قساوسة التنصير الاعتماد عليها في مخطط اقتلاع الإسلام وتنصير المسلمين.. إحكام الحصار الإسلامي حولها، لنزع أسلحتها، كي لا توظف في هذا الاختراق؟!..

* ونقل المعركة إلى قلب النصرانية الغربية.. بالكشف عن تهافتها، ولاعقلانيتها.. بل ولاأخلاقيتها.. عندما تؤسس نسقها الفكري على عقيدة الخطيئة - وتحميل البشرية وزرا لم تقترفه - وما أقامت على هذه العقيدة الفاسدة، واللاأخلاقية، من عقائد في الصلب والخلاص والتثليث.. نقل المعركة إلى قلبها، بعرض هذه العقائد على التوحيد الإسلامي.. الذي يدعو إلى الإيمان بكل الشرائع والرسل والأنبياء، ويرى في التعددية سنة الله في الاجتماع الديني والحضاري والقومي.. ويقرر أنه: (..وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ*)(44).

* * *

لقد كان التنصير الغربي - وهو أحد وجوه الهيمنة للحضارة الغربية - يفرض - في مخططه القديم - على الإسلام: ثقافة الغرب مع نصرانيته.. انطلاقا من الفلسفة الغربية: نفي الآخر الثقافي والديني!..

وها هو في مؤتمر «كولورادو»، يتحدث عن تعدد الثقافات العالمية، بل ويذهب لتأصيل هذه التعددية في تراث النصرانية.. لكن دون أن يتخلى عن فلسفته الأصلية- والقبيحة في أنانيتها - فلسفة: نفي الآخر؟!.. فنراه يوظف «التعددية الثقافية» لخدمة «الواحدية الدينية»؟!.. عندما يجعلها سبيلا لتنصير كل عالم الإسلام، وإزالة الإسلام من الوجود!..

فبدلا من أن تقوده مفاهيم «التعددية الثقافية» إلى مفاهيم «التعددية في الشرائع الدينية» بإطار التوحيد لله، والإيمان بالبعث والجزاء، والعمل الصالح.. فيتقدم على درب الإيمان بالتعددية

الحقيقية، والقبول بالآخر.. نراه يوظف هذه «التعددية الثقافية» في سبيل الوصول إلى نفي التعددية الدينية.. فكأنه لجأ إلى هذه التعددية - الثقافية - لنفيها في مجال الدين؟!..

بل لقد اكتشفنا زيف هذا الذي سماه اعترافا وإيمانا بالتعددية الثقافية.. فهو يعترف بالثقافة الإسلامية، لينفيها - ولكن بالتدريج - عندما يزيل عنها الإسلامية، التي هي سبب تميزها، ومن ثم سبب وجودها كثقافة مستقلة.. فكأنه - هذا الغرب الحضاري - بمختلف تياراته، العلمانية والدينية، لايزال في مواقعه القديمة.. وبوجهه القبيح: الأنانية.. ونفي الآخر.. والطموح إلى الهيمنة الحضارية على الآخرين!. تلك هي بروتوكولات قساوسة التنصير، حول اختراق الإسلام من خلال الثقافة الإسلامية.

الهوامش

(1) المصدر السابق. – حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة – لـ «دون ماكـري» – ص 12.

(2) المصدر السابق. – حان الوقت المناسب لمنطلقات جديـدة – لـ «دون ماكـري»– ص 12، 13.

(3) المصدر السابق. – حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة – لـ «دون ماكـري» – ص 9.

(4) المصدر السابق. – تحليل المقاومة والاستجابة لدى الشعوب المسلمة – لـ «دون م. ماكري» ص 264.

(5) المصدر السابق. – استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح – لـ «بشير عبد المسيح» – ص 120.

(6) المصدر السابق. – الوصول إلى الذين لم يتم الوصول إليهم – لـ «مجموعة العمل الاستراتيجية» ص900.

(7) المصدر السابق. – تطوير وسائل جـديـدة لتساعد في تنصـير المسلمـين – لـ «دونالدر. ريكاردر» – ص 643.

(8) المصدر السابق. – تقرير المؤتمر – لـ «أرثر. ف. كلاسر» – ص 44،45.

(9) المصدر السابق. – حان الوقت المناسب لمنطلقات جديـدة – لـ «دون ماكـري» – ص 14، 15.

(10) المصدر السابق.. حان الوقت المناسب لمنطلقات جديـدة – لـ «دون ماكـري» – ص 10، 11.

(11) المصدر السابق. الحاجة إلى مركز للقيادة في أمريكا الشمالية – لـ «رالف دي ونتر» – ص 762، 763.

(12) المصدر السابق. – استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح – لـ «بشير عبد المسيح» – ص 117.

(13) المصدر السابق. – كنائس ملائمة للمتنصرين الجدد في المجتمـع الإسـلامي – لـ «تشارلس كرافت» – ص 169.

(14) المصدر السابق. – استمالة المسلـم عن طـريق تجسيـد شمـائل المسيـح. – لـ

«بشير عبد المسيح» - ص 120.

(15) المصدر السابق. - استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح - لـ «بشير عبد المسيح» - ص 120.

(16) المصدر السابق. - تطوير وسائل جديدة لتساعد في تنصير المسلمين - لـ «دونالدر. ريكاردر» - ص 646، 647.

(17) المصدر السابق. - استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح - لـ «بشير عبد المسيح» - ص 120.

(18) المصدر السابق. - إسلام العامة (أو الإسلام الشعبي) - لـ «بل مسك» - ص 323، 324.

(19) المصدر السابق. - المسلم المتنصر وثقافته - لـ «هارفي. م. كون» - ص 143، 144.

(20) المصدر السابق. - المسلم المتنصر وثقافته - لـ «هارفي. م. كون» - والعبارة لـ «دون كورين» - ص 144.

(21) المصدر السابق: استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح - لـ «بشير عبد المسيح» - ص 119.

(22) المصدر السابق: تطبيق «مقياس إينكل» في عملية تنصير المسلمين - لـ «ديفيد.أ. فريزر» - ص 247.

(23) القبلة الإسلامية - المسجد الحرام - بمكة المكرمة.

(24) الإشارة إلى تحول الأعياد والمناسبات الوثنية، في الحضارة الإغريقية الرومانية، بعد دخولها في النصرانية، إلى أعياد ومناسبات نصرانية.. فلقد قبلت، ونهضت بوظائف نصرانية، برغم أنها قد تحددت وثنيا.

(25) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي - تطوير وسائل جديدة لتساعد في تنصير المسلمين - لـ «دونالدر. ريكاردر» - ص 645-648.

(26) المصدر السابق: تطوير وسائل جديدة لتساعد في تنصير المسلمين - لـ «دونالدر. ريكاردر» - ص 648-649.

(27) المصدر السابق: استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح - لـ «بشير عبد المسيح» - ص 122.

(28) في مناقشة هذا البحث قال بعض المشاركين: «إذا كانت طريقة القس إبراهيم مؤثرة إلى مثل هذه الدرجة، فاين هؤلاء الذين استطاع أن يحولهم عن دينهم؟. كما أكد

تعقيب آخر «أن الكاتب - (بشير عبدالمسيح) - قد ادعى أن القس إبراهيم قد عمد مئات المسلمين. وإني أعلم، في الحقيقة، أن العدد لم يتجاوز خمسة وعشرين شخصا» وأثيرت بعض التساؤلات حول دقة وصف طريقة هذا الرجل» انظر: المصـــدر السابق، ص 128،127. - ومع ذلك، فنحن نورد النص لأنه وإن لم يعبر عن تجربة حدثت على هذا النحو، فهو يعبر عن المخطط، كما يحلم به واضعوه!..

(29) الإشارات توحي بأن هذا البلد هو مصر!.

(30) إن الحديث عن اجتماع آلاف في مكان مفتح النوافذ، يتم فيه التنصير، ومن خلال مكبرات الصوت - في بلد إسلامي، يقطع بأن المبالغات قد بلغت بالكاتب - الذي يتحدث عن «مشاهدته» لهذه التجربة - حد غيبوبة المتعاطي للمخدرات؟!.. - لكننا- كما سبقت إشارتنا - نورد النص لتعبيره عن أحلام قساوسة التنصير؟!.. وإذا كانوا يفترون على الله.. أفلا يفترون على الناس؟!..

(31) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي. - استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح - لـ «بشير عبد المسيح» - ص 122-125،.

(32) المصدر السابق: تقرير المؤتمر - لـ «آرثر. ف. كلاسر» - ص 54.

(33) المصدر السابق. - «كنائس ملائمة للمتنصرين الجدد في المجتمع الإســلامي» لـ «تشارلس كرافت» - ص 164،162. - ونحن نلفت النظر إلى أن هؤلاء القساوسة يفضحون - في صراحة وعفوية! - دعوى صدق الإنجيل كوحي.. فلو كان وحيا نزل على المسيح، فكيف تكون فيه «أجزاء موجهة إلى الجماهير الرومانية - الإغريقية».. على حين أن المسيح توفاه الله قبل توجيه الإنجيل إلى هذه الجماهير الرومانية - الإغريقية..؟!.. إن مكرهم في «الأساليب» قد أدى إلى فضح «الأصول»؟!..

(34) المصدر السابق: الحاجة إلى مركز للقيادة في أمريكا الشمالية - لـ «رالف دي ونتر» - ص 757.

(35) المصدر السابق: مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في إيران - لـ «ديفيد كاشن» - ص 439.

(36) المصدر السابق: تحليل المقاومة والاستجابة لدى الشعوب المسلمة - لـ «دون م. ماكري» - ص 271-272.

(37) المصدر السابق: مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية في تركيا - لـ «محمد إسكندر» - ص 413.

(38) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني. ص 197. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة.

طبعة القاهرة سنة 1968م.

(39) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي - الظرفية والتحول والتأصيل - لـ «شارلي. ر. تيبر» - ص 212.

(40) المصدر السابق: مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية في تركيا - لـ «محمد إسكندر» - ص 414، 415.

(41) المصدر السابق: نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين - لـ «جورج بيترز» - ص 597-598.

(42) الحجر: 9.

(43) الشورى: 13.

(44) الأنعام: 164.

الفصل الخامس

تنصير المسلمين
بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية ؟!

لقد وطدنا العزم على العمل بالاعتماد المتبادل مع كل النصارى والكنائس الموجودة في العالم الإسلامي ! ..

إن النصارى البروتستانت ، في الشرق الأوسط وافريقيا وآسيا ، منهمكون بصورة عميقة ومؤثرة في عملية تنصير المسلمين ! ..

ويجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها ، وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين تسعى الى تنصيرهم . وعلى المواطنين النصارى في البلدان الإسلامية وارساليات التنصير الأجنبية العمل معا ، بروح تامة ، من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك لتنصير المسلمين ! ..)

من أبحاث مؤتمر كولورادو

لتنصير المسلمين

لقد ظهرت النصرانية في الشرق، وكان واقعا يومئذ تحت نير الإمبراطورية الرومانية الوثنية.. فظلت النصرانية ديانة مضطهدة، يفر بها أهلها إلى الصحارى والمغارات وقمم الجبال.. وقصص أهل الكهف.. والرهبانية المصرية – القبطية –.. وعصر الشهداء.. نماذج شاهدة على حال النصرانية الشرقية تحت الاضطهاد الروماني الوثني الشهير..

وحتى عندما تدينت الدولة الرومانية بالنصرانية – في عهد قسطنطين الكبير (274–337م) – فإن الاضطهاد لم يزايل النصرانية الشرقية.. فبعد أن كان اضطهادها باسم الوثنية الرومانية، أصبح اضطهادها – على وجه الإجمال – باسم المذهب الملكاني للدولة الرومانية؟!..

ولقد ظل هذا الاضطهاد للنصرانية الشرقية قائما، حتى ظهر الإسلام، فكانت الفتوحات الإسلامية – التي انتزعت «الدولة» – أي «السلطة» و «السلطان» – في بلاد الشرق من الرومان – هي التي أمنت النصرانية الشرقية، وأعطت أهلها حرية التدين بها؟!..

ولقد جاء حين من الدهر على نصارى الشرق، في ظل الدولة الإسلامية، وهم الأغلبية في تعداد السكان. فهم لم يعتنقوا الإسلام إلا بالتدريج، وعلى امتداد عدة قرون.. ومع ذلك، فلقد ظلت النصرانية – لأنها تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله.. جاعلة من خلاص الروح رسالتها العظمى، ومن مملكة السماء المهمة الوحيدة لكنيستها – ظلت «ديانة» لا «دولة».. فالدولة في البدء كانت رومانية، ثم أصبحت إسلامية.. كما ظلت – هذه النصرانية – «ديانة» لا «حضارة».. لأن الحضارة هي العمران، بما فيه من ظواهر اقتصادية وسياسية وقانونية.. وبدون «الدولة» لا تكون «الحضارة».. وفنون النصرانية –القبطية مثلا– في مصر شاهدة على ذلك.. فيها فن «ديني» لا أثر فيه

ـ «حضارة» نصرانية؟!..

إذاً، ففي تاريخ النصرانية الشرقية : كانت «الدولة» رومانية.. ثم أصبحت إسلامية.. وكذلك «الحضارة»، كانت رومانية.. ثم أصبحت إسلامية..

وعلى امتداد تاريخ الصراع بين الغرب والإسلام، لاستعادة الهيمنة الغربية على الشرق، كان الخصم الذي يحاول الغرب كسر شوكته، لأنه المعبر عن الهوية الحضارية المتميزة والمميزة للشرق، هو الإسلام.. فالهوية الإسلامية كانت، منذ الفتوحات التي أقامت «الدولة» الإسلامية، هي المجسدة لهوية «الحضارة» الشرقية. وهي عدو الغرب في هذا الصراع التاريخي الطويل!..

ومع أن الغرب - حتى بعد تنصره - قد ظل ينظر إلى النصرانية الشرقية باستعلاء، بل وباحتقار؟! - فلقد رآها هرطقة لا تستحق حتى وصف النصرانية- إلا أنه ظل طوال قرون ذلك الصراع مع الإسلام وحضارته وعالمه يبحث عن ثغرات الاختراق لجدار المقاومة الإسلامية..

وكثيرا ما راودته أحلام اختراق عالم الإسلام من ثغرة الأقليات النصرانية الشرقية.. وغالبا ما تبددت هذه الأحلام!..

وإذا كنا نشهد، في تاريخنا المعاصر، نجاحا ملحوظا للاختراق الغربي عن طريق الأقلية الصهيونية.. فإن بروتوكولات قساوسة التنصير في مؤتمر «كولورادو»، قد جعلت في مخططها مكانا متميزا لاختراق الإسلام، وتنصير المسلمين، بالاعتماد المتبادل مع الكنائس الوطنية والمحلية القائمة في عالم الإسلام.. وهي، بذلك، تضعها وتضع هذه الكنائس المحلية والوطنية أمام امتحان جديد وأكيد.. نرجو ألا يكون نجاحنا فيه - مسلمين ونصارى شرقيين - عسيرا على أي منا.. إن شاء الله؟!..

* * *

وإذا كانت النصرانية الشرقية لم تكن، في يوم من الأيام، هي المعبرة عن هوية الشرق وذاتيته المميزة له في صراعه الحضاري والتاريخي مع الغرب – كحضارة واستعمار –.... فإنها قد ظلت – على وجه الإجمال – لبنة في بنائه الحضاري والوطني، وجزءا من قوى مقاومته للغزو الأجنبي، وبابا مغلقا أمام محاولات الاختراق الغربي لعالم الإسلام..

وإذا كان تاريخنا الحديث – وبالأحرى التاريخ الحديث لصراعنا مع الغرب! – قد فتح في حصوننا ثغرات للنصرانية الغربية – الكاثوليكية [1] إبان الوفاق الفرنسي مع محمد علي باشا الكبير (1184-1265هـ 1770- 1848م) – والإنجيلية البروتستانتية [2] في ظل الاستعمار الانجليزي لمصر –.. فإن مؤتمر «كولورادو» ينبهنا إلى أن هذا الاختراق من النصرانية الغربية، وإن كان قد بدا في مرحلته الأولى، أنه على حساب النصرانية الشرقية، يأخذ من كنائسها بعض أبنائها لهذه المذاهب والكنائس الغربية، إلا أن مقاصده وغاياته قد كانت، منذ البداية، هي تنصير المسلمين. وما سرقته من أبناء الكنائس المحلية إلا لضرورة تحقيق موطيء القدم حتى يمارس مهامه الوحيدة وهي تنصير المسلمين!!.. وبما أن هذه المرحلة قد انتهت، بتحقيق أهدافها، فإن المؤتمر قد خطط لاختراق الإسلام وأمته من خلال هذه الثغرات التي فتحها.. بل وتطلع إلى ما هو أكثر وأوسع منها.. تطلع إلى التنصير بالاعتماد المتبادل مع الكنائس الشرقية الأصيلة – مثل الكنيسة الأرثوذكسية القبطية – التي رآها «عظاما ناشفة مبعثرة»، فقرر إحياءها، لاختراق الإسلام وتنصير المسلمين بالاعتماد المتبادل معها.. بل وتحدث عن مظاهر هذا «الإحياء»، واستبشر به خيرا؟!..

فنحن، إذاً، أمام مخطط جديد.. يريد أن يستجمع إمكانات النصرانية الشرقية إلى إمكانات النصرانية الغربية ويقف أصحابه على أبواب ثغرة من ثغور حصوننا الوطنية والحضارية.. الأمر الذي يدعونا إلى الدرس للمخطط.. والتدبر في أمر تحصين الثغور ؟!؟..

* * *

* إن تقرير مؤتمر «كولورادو»، يتحدث عن حضور ممثلين من «قادة الكنائس الوطنية في الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا» لمداولات المؤتمر «واشتراكهم في كل حلقة دراسية وفي كل نقاش، وجلسة تخطيط».. ولم يكن حضورهم حضور «المستمع».. أو حتى «المشارك» فحسب بل «والخبير» الذي يتعلم منه الغربيون المخطط الجديد لتنصير المسلمين؟!.. لأنهم قائمون، بالفعل، بالعمل في هذا الميدان؟!.. يقول التقرير :

«إن معرفة كنائس أمريكا الشمالية بالعالم الإسلامي والشعوب الإسلامية محدودة جدا، وتعتبر مشاركة إرسالياتها في العالم الإسلامي مشاركة هامشية على أحسن الفروض.. والأكثر من هذا أن هذه الإرساليات تغلب عليها منهجية تتطلب مراجعة نقدية.

إن الحاجة تدعو إلى منطلقات جديدة في برامج التدريب على التنصير التي تتم في أمريكا الشمالية، وإلى أساليب جديدة للتفاعل بين المنصرين الغربيين وبين إخوانهم وأخواتهم النصارى في العالم الإسلامي. وفي الحقيقة كان هذا هو بالضبط سبب دعوة العديد من المتنصرين الذين تحولوا عن الإسلام، وقادة الكنائس الوطنية من الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا للاشتراك في كل حلقة نقاش وجلسة تخطيط، ولقد تم حث الأمريكيين الشماليين لأن يكونوا على استعداد جيد للإصغاء، وعليهم ألا يبادروا بإعداد خطط خاصة بهم.

إن هؤلاء الرجال والنساء البروتستانت من نصارى الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا، هم أنفسهم منهمكون بصورة عميقة ومؤثرة في عملية تنصير المسلمين، ولهذا فقد بذل كل جهد ممكن للإصغاء إلى وجهات نظرهم، التي تختلف عن وجهات نظرنا، وقد كلفوا بواجبات محددة من قبل المشاركين الغربيين، الذين قالوا لهم : «ساعدونا لنتعلم كيف نعمل معا، وتحلوْا بالصبر تجاه بطيئي التعلم منا!..» (3).

لقد كان حضور قادة الكنائس الشرقية، في هذا المؤتمر، حضور الخبراء الذين يصبون خبراتهم في صياغة هذا المخطط الجديد لتنصير الأمة التي يعيشون بين أبنائها؟!.. بل إن تقرير المؤتمر يتحدث عن دورهم المرموق في الدعوة إلى تجاوز الأساليب التقليدية للتنصير، والتغيير لهذه الأساليب «.. فلقد ركز هؤلاء المستشارون

والمنصرون، من أبناء العالم الثالث، بصورة مستمرة على الحاجة إلى هذا التغيير. وأكد لنا هذا أهمية التعاون بيننا، وكشف عن حماقة الأمريكيين الشماليين الذين يعتقدون أنهم يستطيعون بمفردهم القيام بهذا العمل، كما أكد الاحتمالات المثيرة لتصورات جديدة للتنصير بين المسلمين تنبع من الابتكار المدروس لأنماط من الاعتماد المتبادل بين نصارى الشرق والغرب، والتي يمكن أن تؤدي إلى نتائج مهمة بعيدة المدى.. اعتمادا على عطاء العاملين الشرقيين [4]»؟!..

لقد أثمر هذا اللقاء رفع شعار «الاعتماد المتبادل الواعي بين الكنائس النصرانية الوطنية والمنصرين الغربيين»!..

وتحدث تقرير المؤتمر، كذلك، عن هذا الموضوع، فقال :

«إنه يمكن تحقيق التنصير الفعال بين المسلمين من خلال الاحترام المتواضع للثقافات الإسلامية، وعن طريق السعي لإتقان المداخل والمفاتيح، واعتماد أسلوب اللقاء والاتصال والاعتماد المتبادل الواعي بين الكنائس النصرانية الوطنية والمنصرين الغربيين، ويجب دعم هذا الأسلوب بالاعتماد المتبادل بين الأطراف التي ينطوي تحتها هؤلاء جميعا.

لقد ولت الأيام التي كان فيها المنصرون الغربيون يعتبرون أن جهودهم الشخصية كافية للقيام بالعمل. لقد وطدنا العزم في «كلن إير»[5] - كما لم نفعل من قبل - على أن نستفيد فائدة قصوى من الفرص التي يوفرها لنا الرب، وأن ننمي شعورا بالمحبة المسؤولة تجاه أفراد أسرة الإيمان كافة، وخاصة تجاه كل النصارى والكنائس الموجودة في العالم الإسلامي [6]...»!

وعن الدور البارز، والمنتظر، للكنائس المحلية، في مخطط تنصير المسلمين تحدث «تصدير» أبحاث المؤتمر، فقال وهو يتحدث عن « الأعمال التي يجب على الكنيسة القيام بها» لتنفيذ هذا المخطط :

«يجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها، وتقتحم بعزم جديد

ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين تسعى إلى تنصيرهم. ويجب على المواطنين النصارى في البلدان الإسلامية وإرساليات التنصير الأجنبية العمل معا بروح تامة من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك [7]..»

كما تحدث «تقرير المؤتمر» عن هذه الكنائس المحلية باعتبارها «القوة الأساسية» المطلوب تحريكها، فقال : « إدراكا منا بأن القوة الأساسية التي لم يتم تحريكها حتى الآن في عملية تنصير المسلمين هي المجتمعات والجاليات النصرانية المنتشرة في أرجاء العالم الإسلامي، علينا أن نسعى إلى تركيز اهتمامنا على جميع الكنائس المحلية القائمة من أجل تدريب وتهيئة القساوسة والأتباع من أجل إدراك جديد للإسلام، ونحاول معا أن نطور ونشذب طرقا تنصيرية جديدة أكثر ملاءمةً لتقديم الكتاب المقدس إلى المسلمين، كما سنعطي اهتماما خاصا إلى استخدام الموضوعات القرآنية ذات الصلة بالموضوع في المراحل الأولى لعملية التنصير[8]..».

* ولم يغفل المؤتمر عمايمكن أن يكون من تناقضات بين إرساليات التنصير الغربية وبين الكنائس المحلية في البلاد الإسلامية... فتحدث عنها، معالجا لها، لتجتمع الصفوف والجهود لتنصير المسلمين.. فتحدثت بعض الأبحاث عن «التنافس النصراني» بين كنائس الغرب وكنائس الشرق، فقالت :

«لقد تعلمنا كيف أن الجهود التي تنبع من الخارج، وتفشل في الحصول على مشاركة فعالة من الكنائس - [المحلية] - قد تكون ضارة، لا يتوفر القصد الحسن فيها.

ومع ذلك، فنحن نقر أن الكنائس المحلية، في بعض الحالات، خاملة، لا تنمو، وغير قادرة، أو مهيأة للنظر أبعد من احتياجاتها المحلية. إن الكنائس القديمة تكون أحيانا أسيرة لرغبتها في البقاء والاستمرار فحسب، وتنظر الكنائس القديمة إلى الكنائس التنصيرية، في أغلب الأحيان، على أنها وكالات للمصالح الغربية، تنجح في تنصير عدد قليل جدا من المسلمين، لكنها تسرق أعضاء من الكنائس القديمة، والمراقب

المتفحص لا يفوته أي شيء من هذا التنافس النصراني»[9] :

ثم حاولت هذه التقارير طمأنة الكنائس الشرقية القديمة إلى أن مرحلة «سرقة أعضائها» قد انقضت، فلقد كان ذلك يوم كانت الكنائس الغربية تسعى لامتلاك موطيء قدم في أرض الإسلام.. أما اليوم، وبعد أن أصبحت لها «فروع تتبع كنائسها «الأم» فلقد غدت المهمة الأولى هي المهمة الأصلية والوحيدة، أي تنصير المسلمين.. وهي مهمة مشتركة مطلوب إنجازها بالاعتماد المتبادل بين الفريقين!.. لقد تحدثوا عن هاتين المرحلتين في تاريخ علاقة كنائس الغرب بالكنائس الشرقية القديمة، فقالوا :

«لقد بدأت الجمعيات، الواحدة تلو الأخرى، في إرسال «إرساليات مساعدة» إلى هذه الأقليات النصرانية، سواء الأرمن في تركيا أو الأقباط في مصر أو النسطوريون في بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس، وكان الهدف الأخير لهذه الإرساليات هو تنصير المسلمين. أما الهدف الآني فقد كان بعث المجتمعات النصرانية القديمة.

ومنذ تلك الفترة حدثت صحوة ضخمة في آسيا الصغرى وبلاد فارس في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن التاسع عشر، وقد تحقق الهدف الآني، وتركت حركات البعث تأثيرا لايزال موجودا حتى يومنا هذا»[10].

ونحن نعتقد أن لهذا النص أهمية تستحق التأمل.. فهو يشير إلى دور الكنائس الغربية الوافدة فيما يسميه «بعث المجتمعات النصرانية القديمة» في بلاد الإسلام.. وهذا «البعث».. في المفهوم الغربي هو «التحديث» على النمط الغربي.. والذين يقابلون وضع الكنائس الشرقية القديمة قبل هذا الاحتكاك، وهذا «البعث» بوضعها الراهن.. ويرصدون موجات الإعجاب لدى المثقفين من أبنائها «بتحرر» الكنائس الغربية، والذي اتخذ أحيانا شكل الانتقال إلى هذه الكنائس الغربية، وأحيانا أخرى شكل دفع الكنائس القديمة إلى ألوان من «التحرر» تقليدا لهذه الكنائس الغربية.. الذين يرصدون هذه الظاهرة يدركون مدى نمو ظاهرة «تغرب» الكنائس الشرقية القديمة.. ومدى تبنيها لقدر من مفاهيم وأساليب الكنائس الوافدة.. ثم مدى نمو علاقات التعاون

بينها.. وهي أمور تسعى الكنائس الغربية الآن لاستثمارها في الاعتماد المتبادل لتنصير المسلمين!

إن الكنائس الشرقية القديمة - وإن لم تمثل يوما هوية الشرق في مواجهته الحضارية مع الغرب - لم تكن احتياطيا للغرب في مواجهته مع الشرق.. أما اليوم، وبعد «التحديث الغربي» الذي طال مفاهيمها وأساليبها ومثلها.. وبعد الإعجاب الذي أصاب أبناءها بالنموذج الحضاري الغربي.. وبعد تعلق جمهرة من مثقفي النصارى الشرقيين بالعلمانية الغربية، إما خوفا من التمييز الطائفي إن حكمت الشريعة الإسلامية، أو كراهة للإسلام!.. فإن الباب قد انفتح لتكون الكنائس الشرقية - فضلا عن الفروع المحلية للكنائس الغربية - احتياطيا، تحاول الكنائس الغربية وإرساليات التنصير الاعتماد عليه في هذه الحرب التنصيرية التي أعلنتها ضد الإسلام وحضارته وأمته وعالمه!..

تلك حقيقة لابد من أن توضع على رأس جدول أعمال في حوار للحكماء من مختلف الفرقاء؟!..

ويزيد من أهمية هذه الحقيقة - التي يلمسها صاحب النظرة المقابلة والمتابعة لخط بيان «التغرب.. والتحديث - على النمط الغربي» الذي أصاب الكنائس الشرقية القديمة.. والتي يعترف بها الكثيرون من أبنائها -.. يزيد من أهميتها أن بروتوكولات قساوسة التنصير ضربت عليها الأمثال في فرح وحبور!..

فلقد تحدثوا عن «انبعاث وإحياء» الكنيسة الأرثوذكسية القبطية، و«الروح» الذي نفخ في «عظامها الناشفة المبعثرة» - وذلك في سياق إنجاز «الهدف الآني»، الذي يمهد «للهدف الأخير»، وهو تنصير المسلمين.. فقالوا :

«إن المسألة التي لم يتم فيها الوصول إلى قرار، هي كيفية الوصول إلى المسلمين في البلدان التي توجد فيها كنائس قديمة (معظم بلدان الشرق الأوسط، إضافة إلى مصر وإثيوبيا)، وهل يتم ذلك عن طريق هذه الكنائس؟ أم هل إنه يجب القيام بمبادرة جديدة للوصول إلى هؤلاء

المسلمين؟..

ويشير التاريخ إلى أن إرساليتين أمريكيتين تنصيريتين إلى الشرق الأوسط أنفقتا معظم الوقت في محاولة تجديد حياة الكنائس الشرقية التاريخية، ولذلك لم تتمكنا من القيام إلا بجهود محدودة لتنصير المسلمين.. ومن المؤكد أن الرب لا يقصد تخطي العظام الناشفة التي تنتمي إليه، ومن يدري ماذا يعني هذا إذا ما نفخ الروح القدس حياة جديدة في العظام المبعثرة في الشرق الأوسط، وأعاد بصورة أصيلة انبعاث الكنائس، إنه بلا ريب قادر على ذلك، ولكنه قد يحتاج إلى تعاوننا في هذه المسائل..»؟!

ثم تردف البروتوكولات – بعد الحديث عن مرحلة «تغريب» الكنائس الشرقية – والتي تسميه «انبعاثا» ونفخا للروح في «العظام الناشفة المبعثرة في الشرق الأوسط»!.. والذي استغرق من إرساليات الكنائس الغربية «معظم الوقت» في المرحلة الأولى من الاحتكاك بينهما.. تردف فتتحدث عن ثمرات هذا « الانبعاث – التغريبي».. فتقول :

«ويظهر أن الرب يقوم ببعث الحياة في أجزاء من الكنائس القبطية في مصر[11]»!

وفي مكان آخر من أبحاث مؤتمر «كولورادو» حديث أكثر تحديدا عن «تجديد وتأسيس الأنماط الاجتماعية» في الكنيسة الأرثوذكسية القبطية، والتي نقلت رهبانيتها من عالم «الروح» – الذي وقفت عنده تاريخيا – إلى عالم «الرهبانية الغربية»، الذي يضاهي مؤسسات الإنتاج الرأسمالية؟!..

«إن حركة الانبعاث في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر أدت إلى تجديد وتأسيس الأنماط الاجتماعية.

وأذكر أحد هذه الأنماط الاجتماعية في الصحراء، خارج القاهرة، حيث يعيش الناس في مجتمع للعبادة، ويقومون بأداء عملهم اليومي في العاصمة، لكنهم يشدون أزر بعضهم بعضا في حياة مشتركة يرحبون من خلالها بالضيوف والمتنصرين [12]..»؟!

فأديرة الصحراء، غدت مؤسسات إنتاجية متكاملة، ومرتبطة بحياة العاصمة، وفيها–

إلى جانب العبادة – كل الشؤون الحيوية، بما فيها استقبال «الأجانب»، والنهوض بمهام « التنصير»للمسلمين؟!..

* ولقد أفاضت بروتوكولات قساوسة التنصير هذه في الحديث عن الهدف من إحياء الكنائس الغربية لهذه الكنائس الشرقية القديمة.. إنه الاعتماد عليها في عملية تنصير المسلمين، لما لها – بحكم وطنيتها.. ومحليتها.. ولغتها.. وعلاقاتها – من إمكانات لا تتوافر للمنصرين الأجانب في إنجاز هذا الهدف..

«يجب تحريك الأقلية النصرانية ودفعها، بالروح القدس ومن خلال الكلمة المقدسة، حتى تتخلى عن أساليبها التقليدية..»؟!

«ويجب أن يتم كسب المسلمين عن طريق منصرين مقبولين من داخل مجتمعهم[13]...»؟!

«.. ويُفضل النصارى العرب» في عملية التنصير [14]؟!

«وإن تنصير أهل البلاد سوف يتم بصورة أساسية من خلال النصارى المنتمين إلى الكنيسة المحلية، ويتم بعد ذلك تكوين جالية محلية نصرانية قوية [15]..»؟!

* * *

* وإذا كانت الكنائس الغربية – بقيادة الأمريكان – قد نجحت – في العقود الأخيرة – وكثمرة من ثمرات «تغريب» الكنائس الشرقية القديمة – الذي أسمته «انبعاثا وإحياء» – في إلحاق هذه الكنائس «بمجلس الكنائس العالمي WORLD COUNCIL OF CHURCHES [16]– ذي التمويل والتوجيه الأمريكي – برغم معارضة التيار الوطني داخل هذه الكنائس الشرقية القديمة [17]... فإن بروتوكولات قساوسة التنصير، في مؤتمر «كولورادو» تفضح نفاق هذه المنظمة المسكونية وخداعها للمسلمين بما تقيم من مؤتمرات للحوار بين النصارى والمسلمين.

ففي مؤتمرات الحوار هذه يصدر مجلس الكنائس العالمي البيانات التي تشدِّد على «حرية الإقناع والاقتناع» والتي تعارض «تحويل» – وليس «تحول» – الناس إلى معتقدات جديدة.. فلما دار الحوار في مؤتمر «كولورادو» حول هذه المضامين لهذه البيانات.. واستنكر

المتحاورون هذه المواقف التي تعوق «تحويلهم» المسلمين عن دينهم إلى النصرانية.. واستنكروا، كذلك، اشتراط «الحرية» في «الإقناع والاقتناع».. طمأنهم ذوو الصلات الوثيقة بمجلس الكنائس العالمي إلى أن هذه المواقف وتلك البيانات لا تلزم المجلس.. بل قالوا إن المجلس لا يرى الحوار بديلا عن تحويل غير النصارى إلى النصرانية.. بل ربما كان الحوار مرحلة من مراحل التنصير، وإن هذه البيانات الجديدة لا تعني تخلي المجلس عن مواقفه المناصرة «للجهود القسرية والواعية والمتعمدة والتكتيكية لجذب الناس من مجتمع ديني ما إلى آخر»؟!.. فهذه المواقف، هي الأخرى، صدرت بها بيانات من مؤتمرات لنفس مجلس الكنائس العالمي؟؟!..

ففي واحد من أبحاث مؤتمر «كولورادو» قال صاحبه :

«لقد انبثقت عدة نقاط «اتفاق» عن لقاءات الحوار بين مجلس الكنائس وبين المسلمين تثير قلق المنصرين. فمثلا : اتخذت مؤتمرات مجلس الكنائس العالمي مواقف قوية ضد تحويل الناس إلى معتقدات جديدة، وفي بيان «شامبيس» لعام 1976م شدُّوا على حرية «الإقناع والاقتناع».

ولكن، يبدو مناقضا للبيانات التي اتخذت في مؤتمر «كولومبو» و «ليكون» وأماكن أخرى، حيث ساووا بين الإدخال في دين جديد والجهود القسرية والواعية والمتعمدة والتكتيكية لجذب الناس من مجتمع ديني ما إلى آخر» (18).

وجدير بالانتباه، أن هذا النص لا يفضح، فقط، مجلس الكنائس العالمي.. وإنما هو يفضح، أكثر وأكثر، بروتوكولات قساوسة «كولورادو»، الذين يزعجهم النص على «حرية الإقناع والاقتناع» في التدين بالدين؟!..

إنهم لا يخجلون عندما يتحدثون عن «القسر» في التحويل عن الدين الإسلامي، الذي رفع، من قبل أربعة عشر قرنا مبدأ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ...﴾ (19).. والذي اعتبر «فتنة» الإنسان عن دينه أشد من قتل هذا الإنسان؟!

(...وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ...)[20]!..

ثم يتساءل صاحب هذا البحث عن مهمة هذا الحوار - الذي ينظمه مجلس الكنائس العالمي - وهل هو بديل عن التنصير؟... أم هل إنه مرحلة في عملية التنصير؟! :

«هل يمكن أن يكون الحوار بديلا عن الإعلان والدعوة المباشرة الصريحة؟ أو أن فائدته مقصورة على فترة «ماقبل التنصير»، أي أنه أداة لتحريك الناس ليكونوا أقرب إلى النقطة التي تكون فيها النصرانية هي الخيار الحقيقي [21]؟..».

وفي الحوار الذي دار حول هذا البحث - الذي تحدث عنوانه عن «الصلة الوثيقة» للحوار بالتنصير؟!.. كشف «أحد أعضاء مجلس الكنائس العالمي» - في «إصرار» - عن «أن المجلس ليس لديه نية في وضع الحوار بديلا للإرسالية التنصيرية، وأن استخدامه للحوار يجب ألا يفسر على أنه دفاع عن أي شكل من أشكال الحلول الوسطية [22]»؟!

وقطع وأكد معقب آخر : « أن أعضاء مجلس الكنائس العالمي غير ملتزمين بالتقيد بهذه البيانات - (التي تتحدث عن «حرية الإقناع والاقتناع») - وأن الاشتراك في الحوار لا يعني على الإطلاق وَقْفَ المرامي التنصيرية [23]..»!

فلما جاء دور رد كاتب البحث - (الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير) أكد صدق أقوال المعقبين، وتحدث عن الدور التمهيدي لهذا «الحوار» في عملية « التنصير»، فقال :

«إني أعتقد وجود قيمة حقيقية في الحوار، سواء على المستوى الرسمي أو غير الرسمي، فعلى المستوى الرسمي يمكن القيام بالكثير لتصفية المياه العكرة التي أثارتها قرون من الامبريالية الدينية والسياسية على كلا الجانبين، وأعني بذلك: الجهاد، والحملات الصليبية والاستعمار والصهيونية.. إلخ.. وعلى المستوى غير الرسمي، فإن للحوار وظيفة طبيعية يمكن أن تفتح أبوابا للصداقات، وتخلق تفهما متبادلا بغرض المشاركة في حقيقة الحياة كما يراها النصراني.

وفيما لا يستطيع شخص نصراني، مخاطبا شخصا آخر في جو الحوار، أن يقول : «اندم، وآمن بالكتاب المقدس»، فإنه يستطيع أن يقول : « قد ندمتُ وآمنتُ، وهذا ما حدث لي [24]...»!

فـ «الحوار» - الذي ينظمه مجلس الكنائس العالمي - هو مرحلة من مراحل «التنصير».. ينقي الجو، ويصفي المياه العكرة، ويقود غير النصراني إلى «المشاركة في حقيقة الحياة، كما يراها النصراني» - وليس كما يراها غير النصراني؟!..

* بل لقد فضحت هذه البروتوكولات - التي لم ينشر منها سوى الملخص، الذي خلا من الأمور ذات الحساسية -!.. فضحت المنظمة الإقليمية للكنائس الشرقية - «مجلس كنائس الشرق الأوسط» [25] - عندما كشفت عن علاقاته بمشاريع التنصير التي تقودها الكنائس والإرساليات الغربية.. وكيف أن المطلوب هو أن يكون هذا المجلس إطارا للتنسيق بين إرساليات التنصير الأمريكية العاملة في الشرق الأوسط؟!.. إي والله! تحدثوا عن هذا الدور لمجلس كنائس الشرق الأوسط - وذكروا، أيضا، عنوانه البريدي في بيروت؟؟! - فقالوا :

لقد «لاحظت هيئة النصارى الوطنية التنصيرية أن العلاقات - (بين الإرساليات غير الغربية الارساليات الأمريكية) - يمكن أن تتحسن إذا أمكن زيادة الدعم المالي بدون الإعلان الكبير عنه.. ودعمت وكالة برنامج المشيخية المتحدة هذه الملاحظة.

وحث مجلس الكنائس المتحدة الإرساليات العالمية على أن تنسق جميع إرساليات أمريكا الشمالية العاملة في الشرق الأوسط خدماتها من خلال مجلس كنائس الشرق الأوسط (عنوانه ص.ب 3576 بيروت) وشدد على هذا الاقتراح «مجلس الكنيسة المنهجية المتحدة للإرساليات العالمية [26].»؟! الذي يدعم مجلس كنائس الشرق الأوسط ماليا[27]؟!..

وهكذا وضحت معالم هذا السبيل من سبل اختراق الغرب، بالنصرانية، للإسلام وأمته وحضارته وعالمه...

فالموجة الأولى من إرساليات التنصير الغربية - والتي «سرقت» عددا من أبناء الكنائس الشرقية القديمة - لم تأت «لسرقة هؤلاء النصارى الشرقيين».. فلقد جاءت، منذ البداية-

وفي ركاب الغزو الاستعماري - لتنصير المسلمين.. وهي قد «سرقت هؤلاء النصارى من كنائسهم لتقيم بهم موطيء قدم لها في أرض الإسلام.. ولقد انتهت هذه المرحلة، وأنجزت تلك المهمة.. والجهود الآن، كل الجهود، هي لتنصير المسلمين!..

وهذه التأثيرات الكنسية الغربية التي أشاعتها الكنائس الغربية في حياة الكنائس الشرقية القديمة، هي «التحديث النصراني الغربي» لهذه الكنائس.. والهدف منه إشراك هذه الكنائس الشرقية القديمة مع الكنائس الغربية وإرساليات التنصير التابعة لها في تنصير المسلمين.. بل والاعتماد على إمكاناتها؛ الوطنية.. واللغوية.. والثقافية.. في عملية التنصير، سدا لنقص وجبرا لعجز تعاني منه الكنائس الغربية عندما تعمل خارج محيطها الوطني واللغوي والثقافي..

فالهدف الأول والأكبر والوحيد هو اتخاذ الكنائس الشرقية - الموروث منها والوافد - سبلا لاختراق الإسلام وتنصير المسلمين!..

وأمام هذا المخطط المعلن.. في مؤتمر شاركت فيه قيادات الكنائس الشرقية - منذ خمسة عشر عاما - ووضعت توصياته ومخططاته في التنفيذ - دون أن نسمع كلمة واحدة عن هذا المخطط من كنيسة من هذه الكنائس «الوطنية»؟!.. ألا يحق لنا - كحد أدنى - أن نضع العديد من علامات الاستفهام؟؟!.. وأن نطلب الإجابة - «بالفعل» قبل «القول»- على هذه العلامات للاستفهام؟!..

الهوامش

(1) كان وجودها بمصر هامشيا، يغلب عليه الطابع الأجنبي. ولقد عرف مصطلحها طريقه للعربية بعد الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م. وفي عهد «المعلم غالي» (1775-1822م) تميز شأنها، وطنيا، بمصر. قابِلْ كلا من : د. أحمد حسين الصاوي (فجر الصحافة في مصر) ص 261. طبعة القاهرة سنة 1975م، وأديب نجيب سلامة (تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر) ص 26 ومابعدها. طبعة القاهرة سنة 1982م.

(2) في 13 من إبريل سنة 1860م تم تكوين أول مجمع للكنيسة المشيخية بمصر. وكان أعضاء الكنيسة سبعة، جميعهم من غير المصريين!.. انظر (تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر) ص 55.

(3) التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي - تقرير المؤتمر - لـ «آرثر. ف. كلاسر» - ص 53.

(4) المصدر السابق : تقرير المؤتمر - لـ «آرثر.ف. كلاسر» - ص54، 55.

(5) مقر عقد المؤتمر.

(6) المصدر السابق : تقرير المؤتمر - لـ «آرثر. ف. كلاسر» - ص 57،56.

(7) المصدر السابق : تصدير - لـ «و. ستانلي مونيهام» - ص 4، 5.

(8) المصدر السابق : تقرير المؤتمر - لـ «آرثر. ف. كلاسر» - ص 68،67.

(9) المصدر السابق : الدعوة إلى التجديد الروحي - لـ «ج. أيدون أور» - ص 624،623.

(10) المصدر السابق.

(11) المصدر السابق : نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين - لـ «جورج بيترز» - ص 585،584.

(12) المصدر السابق : مستويات وأشكال ومواقع البرامج التدريبية - لـ «فيفيان سيتسي» - ص 668.

(13) المصدر السابق : الدعوة إلى التجديد الروحي - لـ «ج. أيدون أور» - ص 630، 627.

(14) المصدر السابق : مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية في شمال إفريقيا - لـ «كريكوري، م، لفنكستون» - ص 383.

(15) المصدر السابق : دور الكنائس المحلية في خطة الرب لخلاص المسلمين - لـ «فرانك س خير الله» - ص 845.

(16) تأسس في أمستردام، بهولندا، سنة 1948م.

(17) انظر ثلاث دراسات، صادرة عن بيت التكريس بحلوان - القاهرة - ما بين أغسطس سنة 1962 ويناير سنة 1963م بعناوين : (مجلس الكنائس العالمي : من واقع قراراته) و (مجلس الكنائس العالمي : من واقع مواقفه) و (مجلس الكنائس العالمي : من واقع تاريخه).

(18) التنصير - خطة «لغزو العالم الإسلامي» - الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير - لـ «دانيل أربروستر» - ص 770.

(19) البقرة : 256.

(20) البقرة : 191.

(21) التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي - الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير - لـ «دانيل أربروستر» - ص 775 : 776.

(22) المصدر السابق - ص 779.

(23) المصدر السابق : ص 783.

(24) المصدر السابق : ص 781، 782.

(25) تأسس سنة 1927م. وشاركت فيه الكنيسة الإنجيلية المصرية كمراقب، برغم أن اجتماع تأسيسه كان في مصر - بحلوان -، ثم انضمت إليه رسميا وبشكل كامل سنة 1955م. انظر (تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر) ص 289.

(26) التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي - روابط أمريكا الشمالية مع إرساليات العالم الثالث التنصيرية العاملة في المسلمين - لـ «ولدرون سكوت» - ص 799، 800.

(27) انظر : في الاعتراف بالدعم المالي من «مجلس الكنيسة المتحدة للخدمات العالمية» لمجلس كنائس الشرق الأوسط : المصدر السابق - روابط أمريكا الشمالية مع إرساليات العالم الثالث التنصيرية العاملة بين المسلمين - لـ «والدرون سكوت» - ص 799.

الفصل السادس

تنصير المسلمين

بواسطة العمالة المدنية الأجنبية؟!

(إنه على الرغم من وجود منصرين بروتستانت، من أمريكا الشمالية، في الخارج أكثر من أي وقت مضى، فإن عدد الأمريكيين الفنيين الذين يعيشون فيما وراء البحار يفوق عدد المنصرين بأكثر من 100 الى 1.

وان الأفراد الذين يملكون الخبرة الفنية يمكنهم أيضا أن يعملوا من أجل المسيح، وهذا أمر مهم، وبخاصة في البلاد التي تمنع حكوماتها التنصير العلني ؟!.. انهم يستطيعون، ويجب أن يتمموا عمل المنصرين، وذلك بالعمل معا جنبا الى جنب لتنصير العالم الإسلامي ؟!..)

من أبحاث مؤتمر كولورادو
لتنصير المسلمين

كأنما المخطط التنصيري، الذي وضعته النصرانية الغربية، بقيادة الكنيسة المشيخية الأمريكية – في مؤتمر «كولورادو» – سلسلة من الختل والخداع، متصلة الحلقات!:

* حلقة الالتفاف حول الإسلام.. والهروب من مواجهته.. لاختراقه وهدمه من الداخل!..

* وحلقة الهرب من مواجهة الهوية الإسلامية للثقافة الإسلامية.. واختراقها، تحت مظلتها، لفك ارتباطها بأنماطها وأشكالها وقوالبها.. وصولا إلى تدميرها والخلاص منها!..

* وحلقة الالتفاف حول الحصون الوطنية واللغوية والحضارية لعالم الإسلام.. واختراقه عن طريق الكنائس المحلية – قديمة كانت أو وافدة – لنفي الإسلام وتنصير المسلمين!..

* وها نحن أمام فصل آخر من فصول كتاب الختل والخداع، الذي تجسد في بروتوكولات قساوسة التنصير، يحكي مخطط الالتفاف حول العقبات التي تضعها بعض الدول الإسلامية أمام التنصير الرسمي – كرد فعل منها على ارتباطاته التاريخية بالاستعمار الغربي.. ورفض منها لأساليبه في الختل والخداع التي لا علاقة لها بالدعوة إلى الدين!

وفي هذا الفصل من فصول الأساليب التنصيرية مخطط لسد الفجوة بين إمكانات إرساليات التنصير الرسمية – مع هول ضخامة إمكاناتها؟! – وبين الحلم المجنون للمنصرين في طي صفحة الإسلام من الوجود وتنصير كل المسلمين!.. الالتفاف حول ذلك كله **باستخدام العمالة المدنية الأجنبية العاملة في البلاد الإسلامية أدوات للتنصير، بتدريبها وتوجيهها على التنصير، والتنسيق بينها وبين إرسالياته، استغلالا لإمكاناتها التي لا تتوافر للمنصرين الرسميين في أحيان كثيرة، وهربا من العقبات التي قد توجد أمام التنصير المكشوف؟!.. وتحقيقا لمقاصد: مضاعفة طاقات إرساليات التنصير، دون أن تتحمل أعباء جديدة في البشر أو في النفقات؟!..**

إنه – كما قلنا – فصل آخر من فصول كتاب الختل والخداع لقساوسة التنصير!..

وحتى نتصور – دون حاجة إلى لغة الأرقام – حجم العمالة المدنية الأجنبية في عالم الإسلام، والتي خطط المنصرون لتحويلها إلى جيش من المنصرين المدنيين – وأطلقوا

عليهم «أصحاب الخيام» ؟! – يكفي أن نعلم أن منطقة الخليج العربي والتي تضم ثلثي ثروة العالم من النفط.. هذه المنطقة تصل نسبة العمالة الأجنبية فيها إلى ما يزيد على ثلثي تعداد البشر القاطنين فيها ؟!..

وأن نعلم ما تفرضه أوضاع التبعية – تبعية العالم الإسلامي للغرب – في الميادين التقنية، والعسكرية، والاقتصادية.. والتبعية في ميادين الترف والاستهلاك.. إلخ.. ما تفرضه هذه التبعية من عمالة مدنية أجنبية في كل ميادين الحياة بكل دول عالم الإسلام..

يكفي أن نعلم ذلك، حتى نتيقن من هول الحقيقة... التي عبرت عنها كلمات قساوسة التنصير عندما قالوا عن مشروعهم هذا، لتجنيد العمالة المدنية الأجنبية في التنصير.. إنه **«مشروع في حجم مجمل الحركة التنصيرية اليوم، وربما يكون أكبر بكثير**[1]»؟؟!..

* * *

يبدأ هذا المخطط اللا أخلاقي.. والذي يكلف العامل والموظف الأجنبي بمهام سرية لم ينص عليها اتفاق تعاقده مع البلد الذي يعمل فيه.. حتى ليصل به إلى وضع «الجاسوس»؟!..

يبدأ هذا المخطط كي يلتف المنصرون وإرسالياتهم حول بعض العقبات التي جاءت ووجدت أمام التنصير الرسمي، كردود أفعال لتجاوزاتهم أو للتاريخ الاستعماري لحركة التنصير.. وهم يعترفون – على سبيل المثال – بالنسبة إلى منطقة الخليج العربي، أن ممارساتهم في المدارس والمستشفيات وبرامج الرعاية قد خلقت ردود فعل متحفظة أو معادية، عند حكام الخليج، ضد إرساليات التنصير.. **«فهناك بعض حكام الخليج، خاصة في الكويت وأبو ظبي والبحرين وعمان، يحملون شعورا شخصيا تجاه الجاليات النصرانية، ويعود هذا إلى أن مساهمات المنصرين الأولى، عن طريق المدارس والمستشفيات وبرامج الرعاية. لم تنس**؟![2] ...». ويعترفون بأن المشكلات السياسية بين الغرب وبلد مثل ليبيا، قد أدت إلى أنه **« لا يوجد منصرون يعملون في القطر (ما عدا المجموعات المغتربة) والرجال الأربعة الوحيدون الذين انخرطوا في التنصير العلني تم اعتقالهم ووضعهم في السجن لمدة ثمانية أشهر**[3] » ؟!

والتقافا حول هذه «العقبات» أمام التنصير الرسمي والعلني.. جاء هذا المخطط، الذي يحول العمالة المدنية الأجنبية، في البلاد الإسلامية، إلى «جواسيس دينيين»، يضاعفون – وربما أكثر – جهود التنصير، دون أعباء مالية أو بشرية جديدة على إرساليات التنصير !..

ذلك « أن الأفراد الذين يملكون الخبرة الفنية يمكنهم أيضا أن يعملوا من أجل المسيح، وهذا أمر مهم وبخاصة في البلاد التي تمنع حكوماتها التنصير العلني. أما المنصرون فيحققون فوائد أكثر في المناطق التي يسمح فيها بالتنصير [4]..!».

ولا يحسبن إنسان أن قيام هؤلاء العاملين المدنيين بالتنصير، هو مجرد غيرة وحماسة للدين الذي يتدينون به.. فتلك أمور مشروعة بالنسبة إلى كل متدين بأي دين !!.. إن ما نحن بصدده هو مخطط وضعته إرساليات التنصير، تقوم بموجبه بعمليات «التدريب» و «التوجيه» لهذه العمالة المدنية، كما تفعل مع المنصرين الرسميين ؟!.. كما تقوم بالتنسيق بين جهودهم التنصيرية وبين جهود إرساليات التنصير ؟!.. وهي تصنع ذلك كله سرا، خارقة الأعراف، ومخالفة عقود العمل والتوظيف التي يعمل بموجبها هؤلاء العاملون المدنيون !!

إنهم يدربون هؤلاء العاملين المدنيين على التنصير. وكأنهم «جيش تنصيري» لفتح «الأرض المغلقة» أمام المنصرين الرسميين.. بل إن هذه هي كلماتهم هم، عندما يتحدثون عن «تدريب» (أصحاب الخيام) !

« لا توجد أرض مغلقة أمام الكتاب المقدس، فأينما وجد أتباع المسيح وجد الكتاب المقدس معهم، وعلينا تدريب الأتباع، سواء أكانوا منصرين أم موظفين تنفيذيين في حقول النفط أو في المشاريع الإنشائية، وإذا فكرنا فقط في إرساليات التنصير فإننا سنكون قد دربنا أقلية فقط من الأتباع، يجب أن نهيىء في مناطق الأزمات «مدنيين» يواصلون عملنا قبل أن نطرد منها كمنصرين » ؟!

فهم هنا – وفي هذا البحث المتخصص عن «التدريب» على التنصير – يدعون إلى تدريب العمالة المدنية على التنصير، حتى في البلاد التي فيها منصرون رسميون، تحسبا

للأزمات بين هذه البلاد وبين إرساليات التنصير، فإذا ما حدثت الأزمة، وطرد المنصرون الرسميون «واصل عملهم» العاملون المدنيون ؟!..

وفي الحديث عن التخطيط لمستويات التدريب ما يفصح عن عموم التدريب لكل مستويات وفئات العاملين المدنيين !..

«فالمستويات المختلفة للناس الذين يراد تدريبهم هي:

1- المنصرون المحترفون.

2- وأشباه المتعلمين والأميين من العمال، مثل كثير من الموجودين اليوم في مناطق النفط.

3- ورجال الأعمال والطبقات المتخصصة.

4- والذين يعانون ؟!..».

وهذا التدريب على التنصير للعمالة المدنية.. يتم في «مراكز التدريب على التنصير» في مواطن.. هذه العمالة المدنية، قبل ذهابها إلى مجالات عملها في البلاد الإسلامية، سواء أكان ذلك في البلاد الغربية، أم في البلاد الآسيوية التي تأتي منها عمالة كثيفة إلى البلاد النفطية ؟!..

وبنص عباراتهم، التي لا تدع مجالا للبس أو تأويل !

فإنه «يجب أن تقوم مراكز التدريب الأساسية بالمبادرة بالاتصال بمجموعات من المعلمين والأطباء والممرضات والفنيين والبنائين.. إلخ.. والذين سيواصلون تدفقهم على المناطق النفطية الغنية في الشرق الأوسط، ويمكن الاستفادة من الموظفين المحليين والمكتبات وجميع الفرص المتاحة للتوغل العلمي في أوساط المسلمين، وفي مجال توظيف وتدريس الآخرين في الدورات الموسعة ستكون هناك حاجة إلى النصارى الذين سبق لهم العمل في وظائف مدنية في العالم الإسلامي ».

أي أن من هؤلاء المنصرين المدنيين من سيستعان بهم بالتدريب للعمالة المدنية على التنصير في «الدورات الموسعة» استفادة بخبراتهم في هذا الميدان !..

وصاحبة هذا البحث - وهي متخصصة بالتدريب على التنصير - تتحدث عن خبرات تطبيقية لها في ميدان تدريب العمالة المدنية النصرانية الآسيوية، قبل ذهابهم

للعمل في بلاد النفط.. فتقول: «لايمكن الاكتفاء، فقط، بعقد دورات توجيهية ميدانية للمنصرين، بل يمكن عقد هذه الدورات للعمال الذاهبين إلى منطقة الشرق الأوسط، من الباكستانيين والهنود والفلبينيين والكوريين.. إلخ.

لقد عقد معهد اللاهوت في كراتشي في الباكستان، دورته الأولى في فبراير من هذا العام – (1978م) – للباكستانيين الذاهبين إلى منطقة الخليج – ويقوم معهد تدريب المنصرين الهندي في «ناسك» بالهند، بتدريب الهنود على العمل التنصيري في الخارج. وقد اشتركت في تموز – (يوليو) – في برنامج لمدة ثلاثة أشهر في مدينة «ناسك» اشتمل على بعض الدراسات الإسلامية ودورات في تنصير المسلمين..

إن تطوير القابلية يستدعي تدريب المنصر «المدني» إضافة إلى المنصر المحترف[5]..» ؟!..

أرأينا – في ضوء هذه الاعترافات – كيف نجلس جميعا – بسبب حجم العمالة الأجنبية – على «بركان تنصيري» يهدد بالتدمير أعظم نعمة أنعم علينا بها الله، سبحانه وتعالى «نعمة الإسلام» ؟!..

وإذا لم نفق أمام هول هذا الخطر.. فماذا ننتظر كي نفيق ؟؟!..

* * *

ولا يقف هذا المخطط، فقط عند «تدريب» العمالة المدنية الأجنبية على تنصير المسلمين في البلاد التي يعملون بها.. بل إنه يتحدث عن «دعم» هذه العمالة المدنية من قبل إرساليات التنصير.. وأيضا عن «التنسيق» بين جهودها التنصيرية وبين جهود الإرساليات.. فنحن أمام «جيش متطوع» للتنصير، ولسنا أمام «منصرين هواة» ؟!..

والحديث عن هذه الحقيقة، نطالعه في أحد أبحاث مؤتمر «كولورادو» الذي يقول:

«لقد قدم «مايكل كريفيش» في كتابه (دع طموحاتك الصغيرة) تلخيصا جيدا لتلك النتائج المغمورة للموظفين المدنيين من غير المنصرين، الذين يسعون إلى استخدام أعمالهم كوسيلة للتغلغل في سبيل تنصير القطر كله.. والعقبة الأكبر بالنسبة إلى هؤلاء الموظفين

المدنيين هي خوفهم الشديد من أن الدعوة المكشوفة تعرض وظائفهم أو شركاتهم للخطر ». ثم يطالب الكاتب بدعم هؤلاء العاملين المدنيين «من الخارج - (كما هو الحال مع المنصرين الرسميين) - ليتمكنوا من تخصيص ساعات عملهم وتقليصها وهكذا يستطيعون توفير وقت كاف لاستخدامه في إقامة الصداقات وكسب الأتباع والمتابعة[6].. »!

فالدعم والتنسيق - بعد التدريب - هما سبيل هذه العمالة المدنية «للتغلغل في سبيل تنصير القطر كله » !.. كما يقول صاحب التقرير ؟!..

وبهذا المخطط - الذي رصدنا بعض ما أعلنه قساوسة التنصير من قسماته - ويعلم الله هول الذي حجبوا ؟! - قالوا إنهم يزيدون طاقات الحركة التنصيرية إلى ما هو أكبر بكثير من ضعفها !..

ولنقرأ سطورا من بروتوكولاتهم تعلن عن فرحتهم بالآمال التي سيحققها لهم هؤلاء «المنصرون.. المدنيون »:

«إن إحدى هذه الفرص التي أتاحها الرب اليوم في الدول الإسلامية هي وجود النصارى العاملين المغتربين. وهي فرصة لم يتم استغلالها في عملية التنصير..

هناك اهتمام بالعمل الشخصي للتنصير في الدول الإسلامية، والذي يغطي القائم به نفقاته. يقول «ويلدرون أسكوت»، الأمين العام للرابطة التنصيرية العالمية، متحدثا عن خدمة (أصحاب الخيام): « أشعر في نفسي بأن هذه ربما تكون الحركة الخلاقة العظيمة التالية التي سوف يوجدها روح الرب في جهود العمل التنصيري.. إننا نتحدث عن مشروع هو على الأقل في حجم مجمل الحركة التنصيرية اليوم، وربما يكون أكبر بكثير!.»

وأحد أسباب مثل هذا القول هو الحقيقة بأنه على الرغم من وجود منصرين بروتستانت من أمريكا الشمالية في الخارج أكثر من أي وقت مضى، فإن عدد الأمريكيين الآخرين الذين يعيشون فيما وراء البحار يفوق هذا العدد بأكثر من 100 إلى 1 (مصادر وزارة الخارجية

الأمريكية).

«وهذا لا يقلل بأي حال من الأحوال من أهمية المنصرين المدعومين من قبل الكنيسة النظامية، والموجودين في البلاد الإسلامية، فإن هناك حاجة إلى مزيد من هؤلاء المنصرين في المناطق التي يسمح لهم بدخولها. ولكن أصحاب الخيام يستطيعون، ويجب أن يتمموا عمل المنصرين، وذلك بالعمل معهم جنبا إلى جنب لتنصير العالم الإسلامي[7]»!

فالمطلوب – وفق هذا المخطط – هو إضافة نسبة مئة إلى كل واحد من المنصرين الرسميين الأمريكان.. ليعملوا «جنبا إلى جنب لتنصير العالم الإسلامي » تحقيقا «للحركة الخلاقة العظيمة»، التي هي «الثورة التنصيرية» التالية – كما يقول الأمين العام للرابطة التنصيرية العالمية !..

* * *

وإذا كانت هذه هي طموحات المستقبل.. فلا يحسبن أحد أن الأمر – أمر هذا المخطط– لم يتعد حدود «التخطيط».. ففي بروتوكولات قساوسة التنصير هذه العديد من الأمثلة التي ضربوها على نجاح تطبيقات التنصير عن طريق العمالة المدنية، وعلى الثمرات التي جنوها من هذا «التطبيق» الذي يخططون لتطويره وتعميمه، تحقيقا للحلم المجنون في اقتلاع الإسلام وتنصير كل المسلمين..

* فعن تطبيق هذا المخطط في أفغانستان يقولون:

«كانت أفغانستان مغلقة في وجه المنصرين القادمين من الخارج، ولمواجهة هذا الواقع فإن الطريق الوحيد الذي استطاع النصارى الدخول منه لأول مرة عام 1948م وبناء الكنيسة، كان عن طريق أفراد معتمدين على إمكاناتهم الذاتية. وبعد أن عمل أصحاب الخيام هؤلاء عدة سنوات، مدرسين وفنيين ودبلوماسيين ومستشارين للأمم المتحدة، أتيحت الفرصة لدخول منصرين أطباء وممرضات وممرضين وغيرهم من ذوي المهن التي كانت تحتاج إليها البلاد [8]...» ؟!

* وعن تطبيق هذا المخطط في باكستان يقولون:

«عندما سمح لأصحاب الخيام هؤلاء بدخول باكستان، كان يشار إليهم على أنهم أطباء وممرضون وعمال نصارى، وليس على أنهم منصرون. وحيث إن معظم المسؤولين في الدول الإسلامية لا يعرفون الفرق بين النصراني والمنصر، فإن هؤلاء الذين يحملون المؤهلات لمناصب في هذه البلاد تم الترحيب بهم [9].. » ؟!

أرأيتم كيف يتحدثون عن حقيقة انتفاء الفرق في عمالتهم الأجنبية، بين «النصراني» وبين «المنصر» ؟!.. ويتحدثون عن جهل «معظم المسؤولين في الدول الإسلامية» بهذه الحقيقة - الأمر الذي أدى إلى «الترحيب» بهؤلاء «المنصرين - المدنيين» ؟!..

* وعن تطبيق هذا المخطط في إندونيسيا وفي نيجيريا كتبوا يقولون:

«إن هنالك حاجة إلى ربط هؤلاء النصارى الجادين، من (أصحاب الخيام) بهيئات العمل التنصيري المنظم.. وإذا أريد لعمل أصحاب الخيام أن يكون فعال النتائج دائما فإنه يجب أن يكون هنالك تعاون وثيق بين وكالات التنصير، التي تعمل في ثقافات مختلفة، وبين الكنائس الوطنية.

هناك أمثلة رائعة على مثل هذا التعاون، وهي موجودة بين المدرسين العاملين في المدارس الحكومية بإندونيسيا تحت توصية رابطة التنصير لما وراء البحار.

وفي نيجيريا تحت توجيه إرسالية السودان الداخلية [10] ..» ؟!

لقد تعاون «ثالوث» إرساليات التنصير.. مع العمالة المدنية.. مع الكنائس المحلية على تنصير المسلمين !..

* وعن شمال إفريقيا، قالوا، عندما طبقوا فيه هذا المخطط:

«في المناطق الإسلامية التي يسمح فيها للمنصرين المتفرغين بالعمل فإن المنصرين الذين يعتمدون على أنفسهم من غير حاجة إلى دعم خارجي يمكن أن «يتعاونوا معهم». وعندما طرد منصر وزوجته من شمال إفريقيا استطاعا العودة مرة أخرى على أنهما طبيبان ومنصران من أصحاب الخيام، وهكذا جسدا الطريقة التي يلتقي فيها هذان النمطان

من الخدمة.

فصاحب الخيمة كثيرا ما يستطيع أن يعاشر طبقة من مجتمع لا تستطيع أن تصل إليه الإرساليات [11]»؟!

إن العمل المدني يحميه من القيود التي قد تفرض على المنصر.. ويتيح له إمكانات اجتماعية لا تتاح للمنصر.. ويسهل له العودة حتى لو طرد كمنصر رسمي ؟!..

* وعن إحدى دول الخليج العربي.. وهي دولة نفطية.. يقولون إنها «مغلقة» في وجه التنصيرالرسمي.. قالوا عن نجاحات العمالة المدنية في التنصير فيها:

«لقد عمل مهندس نصراني في جامعة إسلامية بالخارج في دولة مغلقة في وجه التنصير، وإلى جانب أدائه واجبه بصورة ممتازة، قام بتوجيه بعض طلابه إلى المسيح، وعلمهم العقيدة، وعقد لهم لقاءات للصلاة، وجلسات لدراسة الكتاب المقدس في بيته. ولعب مع عائلته دورا نشطا في الكنيسة المحلية للأجانب. كما أنه أعطى أيضا نصف راتبه لدعم التنصير، ودعم المشروعات النصرانية حول العالم!.

وقام مهندس نفط آخر في دولة إسلامية «مغلقة»، بإعطاء نسخ من العهد الجديد باللغة العربية لكل الرجال الذين يعملون معه، وكان لهذا الرجل أهمية اقتصادية بالنسبة إلى هذه الدولة، ولذلك لم يطرد.

إننا بحاجة إلى أن نقر ونقدر عمل هؤلاء الناس، ونجند آخرين لمساعدتهم، ونجهزهم بما يحتاجون إليه، ونصلي لهم، ونشجعهم على تقديم التقارير [12]..» ؟!

* وعن المملكة العربية السعودية – وهي مغلقة أمام التنصير الرسمي – تحدثت البروتوكولات، فقالت:

«يعيش النصارى اليوم ويعملون في كل أقطار العالم الإسلامي على أنهم نصارى.. وظهرت كنائس مهاجرة أكثر وأكثر في هذه المناطق. وبما أن الإسلام، واستنادا إلى القرآن، يتيح «لأهل الكتاب» حرية العبادة، فإن هذه الكنائس عادة تقوم بمعرفة وموافقة السلطات الإسلامية المحلية.

وعلى سبيل المثال: حضر 380 من المغتربين صلاة عيد الميلاد في الرياض بالمملكة العربية السعودية، وكذلك يوجد أكثر من 20 ألف كوري في نفس الدولة، وهم أيضا أنشؤوا لهم كنيسة.. »[13].

* أما مجمل منطقة الخليج العربي.. والتي تبلغ العمالة الأجنبية فيها نسبة تزيد على ثلثي السكان.. فإن قساوسة التنصير يتحدثون، بفرح، عن فتوحاتهم فيها.. فيقولون:

« كتب قس محلي في منطقة الخليج العربي يقول: «إن العالم العربي المسلم لم يكن مفتوحا لأهل الكتاب في أي وقت مضى كما هو عليه الآن، إن مئات الألوف من النصارى هم محل الترحيب كضيوف عاملين في كل ركن فيه.. »[14].

وها نحن قد رأينا صنيع هؤلاء «العاملين - الضيوف » الذين « رحبنا » بهم في كل ركن من « العالم العربي المسلم » ؟!

وحتى يضمن هذا المخطط تكريس «كل» العمالة المدنية - وليس «بعضها» - في العمل التنصيري، فلقد حبذوا إقامة « وكالات توظيف » لتباشر تنظيم التشغيل في العالم الإسلامي، حتى تباشر ربط هذه العمالة بالعمل التنصيري !.. فتحدث أحد تقارير المؤتمر عن « أن «رجلا » تقاعد عن العمل كمهندس في منطقة الشرق **الأوسط، وتفرغ لتأسيس وكالة لإيجاد وظائف، مقرها في الولايات المتحدة، تقوم بتعيين النصارى في مواقع استراتيجية في الشرق الأوسط. هناك حاجة إلى تأسيس علاقة عمل جديدة يمكنها استخدام نفوذ وقوة كل الأتباع بغض النظر عن مهنهم..»**[15]

فمن المواقع الاستراتيجية في بلادنا.. بل ومن كل المهن يخترقون بالتنصير، حصون الإسلام.. وليس فقط بجيوش إرساليات التنصير التي يبلغ عددها في أمريكا الشمالية وحدها « **90 منظمة تنصيرية تعمل في البلدان الإسلامية...»** [16].

* * *

بل إن قساوسة التنصير لم يكتفوا في مخططات تنصير المسلمين بجيوش إرساليات التنصير «والعمالة المدنية الأجنبية المبثوثة «في كل ركن » من عالم الإسلام، والتي يزيد تعدادها، في بعض بلادنا، على ثلثي السكان.. فذهبوا - وياللعجب - يجندون « الطلاب

النصارى » ، ويطلبون منهم الالتحاق بجامعاتنا، ليكونوا، هم أيضا، كتيبة من كتائب هذا الاختراق.. وفي أحد أبحاث مؤتمر « كولورادو » حديث عن تنظيم هذه الثغرة من ثغرات الاختراق، يقول:

«.. ويبحث الآن « بروس نيكولاس »، الذي يعمل مع اللجنة اللاهوتية للرابطة التنصيرية العالمية، عن طلاب نصارى ناجحين يستطيعون أن يسجلوا في مختلف الجامعات الإسلامية، ويرتبطون بأبحاث هناك، وبجانب عملهم الأكاديمي يمكن أن يقوموا بالشهادة للمسيح -(التنصير) في المعاهد التي يدرسون فيها.

وبما أن المسلمين يرسلون العديد من طلابهم للغرب، فإنهم سيكونون سعداء باستقبال شبان نصارى في مراكزهم التعليمية..» ؟!(17).

لكن الذي لم يقله صاحب هذا البحث: أن الطلاب المسلمين، عندما يذهبون إلى الغرب، ويدعو بعضهم إلى الإسلام، لا يصنع ذلك غيلة وخداعا تحت عناوين ومهن أخرى... كما هو حال هذا المخطط اللاأخلاقي، الذي يدس «السم» في «الدسم»، ويتوسل بكل السبل اللاأخلاقية، مع الزعم بأن مقاصده هي التدين بدين ؟!..

إنها ليست مجرد «غارة» على العالم الإسلامي، كما كان حال التنصير على عهد «زويمر»..

وإنما هي «حرب إبادة» للإسلام وأمته وحضارته، تلك التي رسمها قساوسة التنصير في بروتوكولات مؤتمر «كولورادو» !..

الهوامش

(1) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم في دولة إسلامية - لـ «ج. كريستي ويلسون» - ص 733.

(2) المصدر السابق: مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في الشرق الأوسط - لـ «نورمان هورنر» - ص 401.

(3) المصدر السابق: مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية في شمال إفريقيا - لـ «كريكوري، م، لفنكستون» - ص 373.

(4) المصدر السابق: الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين - لـ «روبرت سي بتكبت، ورفينول لـ ماكاكبا» - ص 829.

(5) المصدر السابق: مستويات وأشكال ومواقع البرامج التدريبية - لـ «فيفيان سيتسي» - ص 661، 662، 665، 666، 670، 660.

(6) المصدر السابق: مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية في شمال إفريقيا - لـ «كريكوري، م، لفنكستون» - ص 381 - 382.

(7) المصدر السابق: مهام تنصيرية - يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم في دولة إسلامية - لـ «ج. كريستي ويلسون» - ص 732، 733.

(8) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم في دولة إسلامية - لـ « ج. كريستي ويلسون» - ص 736.

(9) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم في دولة إسلامية - لـ « ج. كريستي ويلسون» - ص 737.

(10) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم في دولة إسلامية - لـ «ج. كريستي ويلسون» - ص 741.

(11) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم في دولة إسلامية - لـ « ج. كريستي ويلسون» - ص 739، 741.

(12) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم في دولة إسلامية - لـ « ج. كريستي ويلسون» - ص 738.

(13) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام)

إلى جانب عملهم في دولة إسلامية - لـ « ج. كريستي ويسلون» - ص 739.

(14) المصدر السابق: تحليل المقاومة والاستجابة لدى الشعوب المسلمة - لـ «دون م. ماكرى» - ص 269.

(16) المصدر السابق: مستويات وأشكال ومواقع البرامج التدريبية - لـ «ڤيفان سيتسي» - ص 676، 677.

(17) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم في دولة إسلامية - لـ «ج. كريستي ويلسون» - ص 742.

(18) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم في دولة إسلامية - لـ « ج. كريستي ويلسون» - ص 738.

الفصل السابع

استغلال كوارثنا المادية

لنكفر بالإسلام؟!

(لكي يكون هناك تحول إلى النصرانية، فلابد من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس، أفرادا وجماعات، خارج حالة التوازن التي اعتادوها؟!..

وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية، كالتفرقة العنصرية، أو الوضع الاجتماعي المتدني!..

وفي غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة، فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية؟!..

إن تقديم العون لذوي الحاجة قد أصبح أمرا مهما في عملية التنصير؟!.. وإن إحدى معجزات عصرنا، أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التي كانت تناهض العمل التنصيري فأصبحت أكثر تقبلا للنصارى؟!..)

من أبحاث مؤتمر كولورادو
لتنصير المسلمين

عندما ظهر الإسلام، وفي مواجهة دعوته إلى الحق، كانت هناك جبهة «للشرك» وأخرى «للكفر» وثالثة «للنفاق»..

وإذا شئنا توصيفا لهذه الجبهة – النصرانية الغربية – التي عقدت في «كولورادو» هذا المؤتمر، واجتمعت على هذه البروتوكولات التي تخطط لاقتلاع الإسلام، وطي صفحته من الوجود، بتنصير كل المسلمين.. فإننا نستطيع أن نقول إن قساوسة التنصير هؤلاء قد اجتمعت لهم وفيهم صفات «المشركين» و«الكافرين» و«المنافقين» جميعا؟!..

أما أنهم «مشركون» و«كافرون»، فلأنهم يريدون هدم الإسلام، وهو الدين الوحيد الذي تتجسد في عقيدته اليوم الصورة الحقيقية والنقية لتوحيد الله، سبحانه وتعالى، في الألوهية والربوبية والتدبير.. وهم في هذا «الشرك» و«الكفر» – إشراكهم المسيح في الألوهية مع الله، وعبادته معه.. وكفرهم بالتوحيد الإسلامي – يسيرون على درب أسلافهم الذين جمعوا هاتين الخسيستين، والذين قال فيهم القرآن الكريم : (لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ* لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ* مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ* قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ*) (1)).

فهم– بنص القرآن – «مشركون»، لأنهم عبدوا المسيح من دون الله.. و«كافرون» لأنهم جحدوا دين التوحيد..

أما أن قساوسة التنصير هؤلاء قد جمعوا إلى «الشرك» و«الكفر» صفات «المنافقين».. فإن بروتوكولاتهم هي التي تشهد على ذلك.. لا مجرد شهادة شاهد من أهلها.. وإنما شهادة أجمع عليها واجتمع أهل هذه البروتوكولات!..

إن القرآن الكريم – في سورة «المنافقون» يحكي كيف أن من صفات هؤلاء المنافقين، في مواجهتهم للإسلام وحربهم لأهله أنهم قد لجؤوا إلى سلاح «الاقتصاد» و«الغذاء»،

فدعوا إلى استغلال فقر فقراء المسلمين لإجبارهم على ترك الإسلام، مقابل الحصول على ما يدفع عنهم غائلة الفقر والمسغبة.. لقد استخدموا أسلحة الكوارث الاقتصادية والمجاعات والحاجات المادية لصرف المحتاجين عن التدين بالإسلام!

تحدث القرآن عن هذه «الصفة» من صفات «المنافقين».. وهذا «الفعل... والموقف» من أفعالهم ومواقفهم مع الإسلام والمسلمين، فقال : (هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ...) وإذا كان الله سبحانه وتعالى، يختم هذه الآية فيعلمنا ما لا يريد أن يتعلمه ولا أن يفقهه المنافقون: (...وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ*)(2).. فإنه، أيضا في سياق الحديث عن هؤلاء المنافقين – يعلمنا من هم؟ وما موقعهم وموقفهم من دين الحق وأهله، فيقول لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولأمته عن هؤلاء المنافقين : (...هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ*)(3).

وأنا أشهد الله، أن هؤلاء المنافقين المعاصرين، من قساوسة التنصير، هم أوغل في النفاق، وأشد في العداء للإسلام والمسلمين من أسلافهم، منافقي صدر الإسلام، الذين مردوا على النفاق؟!.. فالأولون أرادوا استغلال «الكوارث المادية» لصرف فقراء المسلمين عن الإسلام.. أما هؤلاء المعاصرون فإنهم يصنعون هذه «الكوارث المادية»، ثم يستغلونها لصرف ضحاياها من المسلمين عن دين الإسلام؟!..وإلا فمن الذي يستطيع أن ينكر مسؤولية حضارة هؤلاء القساوسة عن البؤس الذي تعاني منه قارات الجنوب – وفيها عالم الإسلام –.. مسؤوليتها تاريخيا بالنهب الاقتصادي، والسيطرة السياسية، وحراسة التخلف في بلادنا.. ومسؤوليتها المعاصرة، بصناعة أو حراسة نظم الحكم «المحلية» التي تكرس «التبعية» للغرب.. فتبقى أرضنا البكر بورا؟!.. وموادنا الخام نهبا مباحا بأبخس الأثمان.. وسلاحنا منزوعا.. والعلم النافع عنا بعيدا؟!.. فيتحكم فينا البؤس الاقتصادي، وتأخذ بخناقنا «الكوارث المادية» – التي صنعوها.. وحرسوها – ثم جاؤوا يستغلونها في صرفنا عن التدين بالإسلام؟!..

لقد فاق هؤلاء المنافقون المعاصرون نفاق أسلافهم القدماء!..

بل إننا، ونحن نتأمل هذاالموقف الذي اتخذه قساوسة التنصير هؤلاء، من الكوارث المادية التي يعاني منها العالم الإسلامي، نجد أنفسنا أمام سنة من سنن الله في «الاجتماع الديني » تؤكد أنهم إنما يسيرون على درب أسلافهم الكفار!.. فهم عندما يكتبون في بروتوكولاتهم أن البلاد الإسلامية التي أصابت قدرا من الغنى والرخاء، قد جعلها هذا الغنى عصية على التفريط في إسلامها، بل وقادها هذا الغنى «**إلى شعور بالتعالي على التنصير**»!.. ويرون في ذلك مشكلة من مشكلات «الواقع الاقتصادي والسياسي الراهن» بعد الثراء «الذي حققته الدول المنتجة للنفط».. بل ويرون في هذا الغنى، الذي خلق شعورا بالتعالي على التنصير «اختراقا» إسلاميا لآليات التنصير(4)؟!..

إنهم حين يكتبون ذلك معبرين عن القلق والحزن اللذين أصاباهم للغنى الذي جعل فريقا من المسلمين «يتعالى على التنصير» – في ذات الوقت الذي يكتبون فيه أن السبيل لتحويل المسلمين عن دينهم هو سبيل الكوارث المادية، التي تجعلهم أسرى للقمة العيش يستبدلون الإسلام بها؟!.. فتجهر بروتوكولاتهم بمثل هذه الكلمات :

«.. ولكي يكون هناك تحول فلابد من وجود أزمات معينة ومشاكل وعوامل إعداد وتهيئة تدفع الناس، أفرادا وجماعات، خارج حالة التوازن التي اعتادوها. وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية، مثل التفرقة العنصرية والحساسية بسبب تسامح المجتمع تجاه النفاق، أو الوضع الاجتماعي المتدني. وفي غياب هذه الأوضاع المهيئة فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية (5)..»؟!..

إننا ندعو إلى قراءة العبارة الأخيرة، وتأملها، والتفكر فيها مرات.. ومرات!.. «**في غياب هذه الأوضاع – (الكوارث) – المهيئة، فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية** »؟؟ !!.. أي دين هذا الذي لا يتحول الناس إليه إلا إذا كانوا ضحايا الفقر والجوع والمرض والكوارث والحروب والتفرقة العنصرية والنفاق؟!.. وأي رجال دين هؤلاء الذين يصنعون بالمسلمين هذه الكوارث ليحولوهم عن الإسلام إلى هذه النصرانية؟!..

إن الذين يسوؤهم غنى المسلمين ورخاؤهم لأنهما يصرفانهم عن الارتداد عن الإسلام إلى النصرانية.. ويفرحون للكوارث المادية التي تصيب المسلمين، لأنها هي السبيل

«للتحولات الكبيرة إلى النصرانية» هم «الخلف» لأولئك «السلف» الذين حدثنا عنهم القرآن الكريم فقال : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(6).

وصدق الله العظيم.. إنها سنة من سنن الله في الاجتماع الديني.. فالذين يسوؤهم الغنى والرخاء - لأنه يثبت الإيمان - وتفرحهم الكوارث والمآسي - لأنها تزلزل الإيمان - هم القوم الكافرون!.. وكيف يجوز لعاقل أن يتحول - مهما كانت الظروف - إلى صفوف الكافرين؟!.. وخاصة مع تدبر ختام الآية الكريمة : ﴿... وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.. نعم!.. ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾؟!..

* * *

وإذا نحن شئنا مزيدا من الشواهد والشهادات، من هذه البروتوكولات التي اجتمع عليها - في مؤتمر «كولورادو» - قساوسة التنصير.. فإن لدينا الكثير..

بل لقد اتخذ واحد من أبحاث هذا المؤتمر عنوانا لو اكتفينا به لكفى!.. عنوان : «الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين»؟؟!!.

وفي هذا البحث فرحة بما يعانيه المسلمون في هذا العصر من احتياجات - مادية ومعنوية -.. وبضغط هذه الاحتياجات على الحكومات الإسلامية إلى الحد الذي جعلتها تفتح بلادها لإرساليات التنصير ثمنا لتلبية هذه الاحتياجات؟!.. نعم!.. هذا ما يقوله كاتب هذا البحث - بل كُتّابه - عندما يصرحون :

«إن المسلمين في العالم اليوم يواجهون احتياجات ماسة وضرورية في عدة مجالات، منها المياه العذبة، والغذاء الصحي، ومكافحة الأمراض، الطفيليات، ويحتاجون كذلك إلى جوانب روحية أساسية.

إن من إحدى معجزات عصرنا أن كثيرا من الحكومات والشعوب الإسلامية تدرك معظم الاحتياجات، وترغب في العمل على درئها، وهذا الوضع ينطبق بصورة واضحة على الباكستان والهند وبنغلاديش وإندونيسيا، ودول أخرى فيها تجمعات إسلامية كبيرة. ونتيجة لذلك،

تبدل موقف هذه الدول التي كانت تناهض العمل التنصيري، وأصبحت أكثر تقبلا للنصارى (7)..»؟! لقد ألفنا وتعارفنا على شروط ومواصفات «المعجزات» التي تقيم الأدلة على صدق الديانات، فتؤدي إلى انتشارها بين الناس.. لكن الجديد - المبكي والمضحك في ذات الوقت - هو اعتبار قساوسة التنصير أن مآسي المسلمين واحتياجاتهم القاهرة، هي «المعجزة العصرية» التي فتحت أبواب العالم الإسلامي لإرساليات التنصير، وجعلت ضحايا هذه الكوارث، من المسلمين، «أكثر تقبلا للنصارى»؟!.. فأي «دين» هذاالذي تكون «معجزة» تقبله هي البؤس الذي يرغم البؤساء على التحولات الاعتقادية هربا من المرض والجوع؟!.. إن المعجزات الدينية الحقة هي «مفاتيح - صدق» للأفئدة والعقول والقلوب.. أما هذا الذي يتحدث عنه قساوسة التنصير فإنه من «مفاتيح البطونوالشهوات»؟!..

ولقد ذهبت هذه البروتوكولات لتضرب الأمثال على أن نجاحات التنصير في البلاد الإسلامية إنما جاءت ثمرة لاستغلال هذه المعاناة المادية التي تعيشها كثير من هذه البلاد..

* ففي إندونيسيا «توضح الدراسة التي قام بها «إيفري ويليس» - عن إندونيسيا- أهمية فهم عوامل الخلفية الاجتماعية الثقافية لتفسير أسباب تحول كثير من مسلمي هذا البلد إلى النصرانية بين سنة 1965 و سنة 1971م.. إن تحول مجموعات كبيرة إلى النصرانية تم تحت تأثير ظروف تحولات اجتماعية وثقافية رئيسة، حيث كان المتحولون في أكثر الأحوال من تلك الطبقات التي شعرت بأنها محرومة بشكل كبير. والاستراتيجيات الفعالة التي تسعى لإحداث قرارات مهمة يلزمها البحث عن تلك الأجزاء من المجتمعات الإسلامية التي يكون مستوى السخط فيها قد بلغ ذروته (8)...»!

* وفي البنجاب - بشبه القارة الهندية - «يذكر كل من «فريدريك ستوك» و«ماركريت ستوك» - في كتابهما عن تحركات الناس في البنجاب أن 90٪ من النصارى في باكستان اليوم ينحدرون من طائفة المنبوذين (9) »؟!

فهل نلوم - أمام هذه الحقائق - قساوسة التنصير، الذين يحققون النجاحات عن

طريق البؤس الذي فرضته وتفرضه حضارتهم على شعوب الإسلام؟!.. أم نلوم الذين يتربعون منا على كنوز العالم الإسلامي وثرواته، لتركهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، في هذا البؤس الذي يجعلها ضحية لاغتيال التنصير والمنصرين؟!.. أم نلعن الفريقين، باعتبارهما وجهين لعملة واحدة، أتاحت وتتيح هذا الامتحان الصعب لأمة الإسلام؟!..

إن هذه البروتوكولات التي عقدها قساوسة التنصير مليئة بالنصوص التي تفضح هذه السبل اللاأخلاقية في تحويل المسلمين عن الإسلام إلى النصرانية..

* ففي بلاد «المورو» - بالفليبين - تدور الحرب بين النصرانية والإسلام - منذ الاستعمار الإسباني.. فالأمريكي.. وحتى الآن - على امتداد أكثر من أربعة قرون - لانتزاع «الأرض» حتى يقذف الفقر بالمسلمين إلى كنائس المنصرين (10)؟!

* وفي إفريقيا.. يتحدثون فيقولون : «لقد أوقفنا انتشار الإسلام في جنوب ووسط إفريقيا، وما نحتاج إليه الآن هو العمل الجاد لإيجاد منافذ إلى داخل الإسلام..»!

ثم يحددون أن هذه المنافذ لاختراق الإسلام هي البؤس الذي يعيشه المسلمون الأفارقة، ذلك «أن العون لذوي الحاجة من الذين نسعى لتنصيرهم أصبح أمرا مهما في عملية التنصير (11) »؟!..

وإذا كانت مخططات التنصير لاختراق الإسلام قد اتفقت على ضرورة الهرب من مواجهة الإسلام الحقيقي - فقالوا إنهم لا قبل لهم ولا لنصرانيتهم به -.. واعترفوا بأن التقوى الإسلامية إنما تجبر المنصرين على احتقار تقواهم عند المقارنة معها.. حتى لقد استدعوا صورة تقوى بولس الرسول عندما أرادوا شبيها للتقوى التي يثمرها التدين بالإسلام(12).. فإن حديثهم عن «الاحتياجات الروحية» للمسلمين، والتي تمثل مع «الاحتياجات المادية» ثغرات للاختراق، لا يعني توهمهم لفقر إسلامي في تلبية الاحتياجات الروحية لمعتنقيه.. وإنما الذي يعنونه «بالاحتياجات الروحية» ما أفاضوا فيه من الحديث عن «العين الشريرة» وشعوذات الاعتقادات التي تجعل بعض العوام أسرى لعوالم الجن والعفاريت والشياطين - وهو ما سبق حديثنا عنه - وأيضا تلك «المشاكل الاجتماعية» التي تخلق توترا نفسيا وقلقا معنويا.. فلقد رأوا في ثغرات هذا القلق الاجتماعي أبوابا للتنصير أوسع من أبواب الجدل

في المشاكل اللاهوتية.. فقالوا :

«نحن نركز على مجالات المشاكل اللاهوتية للثالوث المقدس وأبوة الرب للمسيح، ونهمل ما قد يكون بالنسبة إلى الكثيرين أبوابا أوسع للانفتاح، مثل مشاعر المرارة تجاه الوالدين، والشعور بالذنب بسبب الأعمال اللاأخلاقية، وخيبة الأمل والقلق بسبب العمل، والشعور بالوحدة(13).. » إلى آخر هذه المشكلات التي تثمر التوترات النفسية والمعنوية!..

وفي البحث الذي جعل من «الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين»؟!... حديث عن أن هذا النهج الذي جعل البؤس الاجتماعي مصيدة لاصطياد الضحايا وتحويلهم عن الإسلام إلى النصرانية، وقد أثار خلافا في صفوف حركة التنصير، بين الذين يركزون على «النشاط التنصيري» ويعزفون عن «استغلال الفرص التي تتيحها لهم احتياجات المسلمين المحسوسة».. وبين الذين يركزون على «الناحية الاجتماعية» و«يستخدمون أية وسيلة مادية أو صحية أو تعليمية «لخلق» نصارى من المسلمين الذين يواجهون ظروفا تعسة صعبة»!

ويخلص البحث إلى التحذير من أضرار هذا الاختلاف (14).. كما خلصت أبحاث أخرى إلى تعليق التحولات إلى النصرانية على الكوارث المادية والاجتماعية.. فقالت : إنه «في غياب مثل هذه الأوضاع – التي تفقد الناس التوازن – لن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية..»!..

بل إن القوم قد أسفروا عن حقيقتهم عندما سطروا في هذه البروتوكولات تلك العبارات التي تقول : «إنه بينما يوافق المنصرون على أن التحول لدين آخر لا يجب ولا يمكن أن يتم بالقوة، فإنهم مازالوا يشعرون أيضا بأننا ينبغي أن «نجبرهم على الدخول»(15)؟؟!!..

فهل هناك سفور للفجور أبشع من هذا السفور؟!..

إن قرآننا الكريم يعلمنا أن عبادة الله الواحد الأحد إنما هي بعض من شكرنا له على أن أطعمنا من جوع وأمننا من خوف: (لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ* إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ* فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ* ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ*)(16) .

وفقهاء الإسلام يعلموننا أن صلاة الجائع والخائف لا تصح.. لأن انعدام الأمن المادي والمعنوي، مانع من بلوغ المصلي مقام «إقامة» الصلاة؟!..

وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي (450 - 505 هـ 1058-1111م) يجعل صلاح الدين ونظامه مشروطا بصلاح الدنيا ومؤسسا على انتظامها.. فيقول: «إن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا.. فنظام الدين، بالمعرفة والعبادة، لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن، وبقاء الحياة، وسلامة قدر الحاجات، من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن.. ولعمري! من أصبح آمنا في سربه، معافًى في بدنه، وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها.. فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة، وطلب قوته من وجوه الغلبة، متى يتفرغ للعلم والعمل، وهما وسيلتان إلى سعادة الآخرة؟! فإذاً، بان أن نظام الدنيا، أعني مقادير الحاجة، شرط لنظام الدين (17) »؟!..

والشريعة الإسلامية، كما طبقتها الدولة الإسلامية، لم تحقق «نظام الدنيا» لينتظم به «الدين» للمسلمين وحدهم، دون غيرهم من أهل الشرائع الدينية الأخرى.. بل لقد فرضت في أموال الأغنياء ما يكفي حاجات الفقراء.. وكفل بيت مال المسلمين - في الدولة الإسلامية - لأهل الكتاب ما تنتظم به «دنياهم»، حتى يتسنى «لدينهم» الانتظام.. فكان إقرار الإسلام بحرية الاعتقاد الديني، وبأنه لا إكراه في الدين، متجاوزا الموقف «النظري» إلى حيث أتاح وضمن المقدمات والأسس المعيشية والمادية والأمنية التي تجعل من حرية الاعتقاد ومن انتظام إقامة العقائد نظاما مقررا ومحكما وملموسا..

تلك كانت «معجزة الإسلام» في التأسيس لحرية الاعتقاد الديني، فأين منها «معجزة النصرانية الحديثة والمعاصرة» التي رأت في بؤس العالم الإسلامي وفي فقر المسلمين وكوارثهم الباب الذي فتحه يسوع للنصارى وللنصرانية في عالم الإسلام والمسلمين؟!..

إن المثل الشعبي يقول: «كل «فولة» ولها «كيال» - يناسبها - فهل لهذه الأنواع من «الضحايا» كانت حصيلة التنصير وحصاد المنصرين من النوع الذي قالوا هم عنه: «إنهم إما مراهقون، أو شباب غير متزوجين، وفي بعض المناطق تكون غالبيتهم من الفتيات أو النساء المسنات (18)....».. وفي كل الأحوال فإنهم من الذين قالوا عنهم: إنهم «لا يعرفون إلا القليل عن الإسلام الأصيل (19) »؟!.. أو أن غالبيتهم - 63٪ - كما قالوا - هم ممن

كانوا مسلمين بالاسم فقط» (20)؟!

فعلى قدر «لاأخلاقية الوسائل».. و «عكارة مياه الصيد» تكون «قيمة الحصاد» و«الحاصدين»؟!..

الهوامش

(1) المائدة : 72 – 76.

(2) المنافقون : 7.

(3) المنافقون : 4.

(4) التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي : الظرفية والتحول والتأصيل – لـ «شارلي. ر. تيبر» – ص 213.

(5) المصدر السابق : تطبيق «مقياس إينكل» في عملية تنصير المسلمين – لـ «ديفيد. أ. فريزر» – ص 242.

(6) آل عمران : 120.

(7) المصدر السابق : الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين – لـ «روبرت سي بتكبت، ورفينول ل. ماكاكبا – ص 826، 827.

(8) المصدر السابق : تطبيق «مقياس إينكل» في عملية تنصير المسلمين – لـ «ديفيد. أ. فريزر» – ص 242، 245.

(9) المصدر السابق : مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في شبه القارة الهندية – لـ «ريتشارد بيلي» – ص 469.

(10) المصدر السابق : مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في جنوب شرق آسيا – لـ «فرانك ل. كولي، بيتر ج. كونك، ألكس ج. سميث، ورن مايرز» – ص 486،487.

(11) المصدر السابق : مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في وسط وجنوب إفريقيا – لـ «جيرالد. أو. سوانك» – ص 364.

(12) المصدر السابق : صراع القوى في عملية تنصير المؤمنين – لـ «أرثر. ف. كلاسر» – ص 193.

(13) المصدر السابق : المسلم المتنصر وثقافته – لـ «هارفي م. كون» – ص 147.

(14) المصدر السابق : الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين – مقدمة المحرر – لـ «دون. م ماكري» – ص 826.

(15) المصدر السابق : الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير – لـ «دانيل آر بروستر» – ص 770.

(16) قريش : 1 – 4.

(17) الغزالي (الاقتصاد في الاعتقاد) ص 135. طبعة القاهرة - مكتبة صبيح - ضمن مجموعة - بدون تاريخ.

(18) التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي. - مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية في شمال إفريقيا - لـ «كريكوري، م، لفنكستون» - ص 378.

(19) المصدر السابق : تطبيق «مقياس إينكل» في عملية تنصير المسلمين - لـ «ديفيد. أ. فريزر» - ص 252.

(20) المصدر السابق : المسلم المتنصر وثقافته - لـ «هارفي م. كون» - ص 144، 145.

الفصل الثامن

التنصير
من خلال «المرأة» و«الأسرة»!

(ابدلا من البحث عن صراع مباشر بين الكتاب المقدس والقرآن .. دعونا نعلم المرأة المسلمة كيف تعيش في سلام من ضغوط السّحر ؟! ..

ونقدم المسيح بديلا نصرانيا للتأثير الشيطاني الذي يهاجم النساء وخاصة في المجتمعات الإسلامية ؟! ..

ان النساء هن المفتاح لزرع الكتاب المقدس في المجتمعات الإسلامية!

أما تخطيط الأسرة - تحديد النسل - وهو عامل رئيس ومؤثر وله أهمية كبيرة - فمن الأفضل عدم تناوله خلال المراحل المبكرة من العمل مع المسلمين ؟! ..)

من أبحاث مؤتمر كولورادو
لتنصير المسلمين

عندما بدأت الموجة الحديثة للتنصير، وجاءت إرسالياته، في ركاب الغزوة الاستعمارية لغربية، وخاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، كان المنصرون - لذين ربطوا نصرانيتهم بثقافتهم الغربية، يشعرون بزهو تفوق حضارتهم وثقافتهم لغربية على حضارة الإسلام وثقافته.. وساعد على تضخم هذا الشعور لديهم أن أمراض حضارتهم وعيوب ثقافتهم لم يكونا قد ظهرا على النحو الذي نراه الآن.. كما أن المقابلة كانت بين «القوة» و «الازدهار» الغربيين وبين «الضعف» و «التخلف الحضاري الموروث» للمسلمين، وهما اللذان حملهما المنصرون على «الإسلام»، كمدخل أساسي للتنصير!..

وانطلاقا من هذا الموقف الحضاري الغربي كانت مقابلات المنصرين - وهذا هو العجيب - بين حضارتهم الغربية وبين واقعنا المسلم - والذي ساووا بينه وبين الإسلام - وليس بين حقيقة نصرانيتهم وبين حقيقة الإسلام!..

وفي هذا الإطار الخاطيء كان ترويج المنصرين، في بلادنا، لنموذج المرأة الغربية - وهو نموذج علماني، لا ديني - وكانت بدايات غزوهم للمجتمعات الإسلامية عن طريق مدارس تعليم الفتيات.. لقد خططوا لتكون «المرأة» هي أولى ثغرات الاختراق لعالم الإسلام (1) ؟!

واليوم .. وبعد أن أجبر الفساد والانحلال والتفسخ - الذي فتك ويفتك بالمجتمعات الغربية - قساوسة التنصير على الاعتراف بالأمراض الاجتماعية والأخلاقية التي توطنت في نموذج المرأة والأسرة بالمجتمعات الغربية.. فإن الغريب والعجيب أن هذا الاعتراف لم يقدهم إلى التراجع عن محاولات الاختراق للمجتمعات الإسلامية من باب «المرأة» و«الأسرة»!.. وبدلا من هذا التراجع، الذي كان منتظرا من الذين يعقلون، ذهبوا للالتفاف حول حقيقة تفوق النظرة الإسلامية للمرأة - وثمراتها الاجتماعية والخلقية - على النظرة الغربية - وثمراتها المدمرة - ذهبوا للالتفاف حول هذه الحقيقة.. وكما هي العادة، راحوا يبحثون في تصورات العامة والدهماء والجهلاء عن «عوالم الجن والعفاريت» و«العيون الشريرة» - أي عن «المياه العكرة» حتى يصطادوا منها النساء المسلمات الأسيرات لهذه الأمراض - بعد أن حسبوا هذه التصورات على الإسلام، فألصقوها به، وأسموها «إسلام العامة» و«الإسلام الأرواحي».. جاعلين من هذه التصورات المريضة - وهي نتوءات حرسها وكرسها الاستعمار الغربي - «ثقافات فرعية» و «تحتية»، ركزوا اختراقهم عليها

وفيها، هروبا من مواجهة الإسلام وثقافته الإسلامية!..

لقد اعترفوا بأن مجتمعاتهم النصرانية - أو ذات التراث النصراني - قد أفلست في الأسرة والقيم والأخلاق.. ولم تعد صورتها هي تلك التي كانوا يقدمونها، في زهو، يوم بدأت موجة التنصير الحديث، وقالوا:

«لقد اعتبر كثير من الإنجيليين أن تفوق النصرانية أمر يمكن ملاحظته بوضوح، وخاصة في عالم الأخلاق والقيم (2)، وقابل هؤلاء استغلال المرأة المسلمة من خلال الوضع المتفوق للمرأة في المجتمع النصراني، ونتيجة لذلك شمل جزء كبير من العمل التنصيري إنشاء المدارس وتعليم الرجال والنساء وفق النموذج الغربي.

أما في الوقت الحاضر، وفيما لايزال معظم الناس في جميع أنحاء العالم يقرون التفوق التقني للحضارة الغربية، فإن هذا التفوق على المستوى الأخلاقي مشكوك فيه، ومحل تساؤل.

واليوم، وعلى ضوء الواقع الحالي في تفكك الأسرة في مجتمعنا الغربي، وارتفاع معدل الجرائم، وحالات الطلاق، والزيادة المستمرة في الانحرافات الجنسية، لم يتبق لنا إلا القليل الذي نفخر به، وعلينا أن نعيد تقويم موقعنا من المجتمع المسلم، وعلاقة الكتاب المقدس بالمرأة المسلمة والأسرة (3)..! » .

والغريب.. أنه بعد هذا الاعتراف بالانحدار والانهيار في «مجتمعهم الغربي»، وبضرورة «إعادة تقويم موقعهم» - في هذه القضية - قضية المرأة والأسرة - «من المجتمع المسلم».. رأيناهم في هذه البرتوكولات سادرين في المخطط القديم: اختراق الإسلام وعالمه من باب المرأة والأسرة.. بدلا من رفع البلوى الأخلاقية التي دمرت المرأة والأسرة في «مجتمعاتهم الغربية» ؟!.. الأمر الذي يؤكد لاأخلاقية التنصير.. بل وأكاد أقول لادينيته أيضا ؟!..

لقد مضوا يتحدثون عن أن «نساءنا المسلمات» هن «مفتاح» التنصير؟!.. وضربوا المثل بفريق من المنصرات «ابتعد عن الأسلوب التقليدي العقيم، وطبق بالتدريج نظرية غير متوقعة تقوم على أساس أن «النساء هن المفتاح» ونتج عن هذا زرع الكتاب المقدس، بعمق وبصورة واسعة، في مجتمع قروي في الباكستان لم يسبق تنصيره(4)..»!

وصاغوا مقترحات خمسة، تمثل خطة للتسلل داخل الأسرة المسلمة، عبر «الاحترام» لعاداتها وتقاليدها وأعرافها.. وهي:

1- أن نحترم أسلوب الحشمة، والفصل بين الجنسين بين الطبقات في البلاد التي يسود فيها ذلك.

2- إضافة إلى الشعائر العبادية المشتركة للجنسين، فإن نشاطات النساء في بيوتهن مهمة، كي تشعر النساء بالراحة إذا ما شاركن وعبرن عن أنفسهن بحرية.

3- أن نعترف بسلطة الرجال الذين هم رؤساء الأسر، ونحترم ذلك، ونحاول أن نبلغ أسرا كاملة في وقت واحد.

4- أن نحاول أن نبحث عن النساء المعروفات بتدينهن أو زعيمات في مجتمعاتهن، وأن نعمل من خلالهن.

5- يجب أن نقدم قوة روح المسيح بديلا نصرانيا لتأثير الشيطان في حياة النساء المسلمات (5)..»

وفي هذا المخطط المتكامل لغزو المرأة المسلمة والأسرة المسلمة، لم ترد أية إشارة لمواجهة الإسلام بالنصرانية.. وإنما الذي ورد هو وجوب تقديم النصرانية لا بديلا يواجه الإسلام، وإنما بديلا يخلص النساء «الممسوسات بالجن والشياطين» من هذا «المس» وتلك الشعوذات!.. تلك هي النصرانية الغربية.. نصرانية الحضارة العقلانية التي أماتت إلهها في واقع العمران الحضاري، وعلقت آمالها في تنصير المسلمين على الشياطين والعفاريت ؟!..

ولذلك فلقد تعلقت آمالهم في التنصير على النساء «اللاتي يلجأن إلى الصالحين والأرواح والشعوذة والسحر» (6)، وكان نصيب الإسلام الحقيقي من خطط مواجهاتهم، إما التجاهل والالتفاف حوله، وبعيدا عنه.. وإما الافتراء عليه، ورميه بما ليس منه أو فيه؟!.. فهم، حينا، يدعون إلى الالتفاف حول الإسلام.. والبعد عن مواجهته.. وتنظيم حلقات دراسية للنساء حول سبل خلاص أرواحهن وأجسادهن من الشياطين! فيقولون:

«فعلى سبيل المثال، دعونا نتخيل ردود فعل الفتيات والنساء

المسلمات على حلقة دراسية بالمراسلة عنوانها: «حقوق المرأة: ماذا يقول الكتاب المقدس»؟.. أو: كيف تعيشين في سلام من ضغوط السحر»؟.. أو حلقة أخرى بعنوان: « كيف تجدين حلولا لمشاكل أسرتك» ؟.. فهذه الحلقات الدراسية تهتم بالمشاكل المؤلمة التي يعاني منها الناس. فهل من الممكن الاعتقاد بأننا نعقِّد أمورنا أكثر مما يلزم في البحث عن صراع مباشر بين الكتاب المقدس والقرآن (7) ؟!..»

هكذا أعلنوا الهرب من مواجهة القرآن.. وعلقوا حبال آمال التنصير على إغراء النساء «المجنونات» من مس الجن والسحرة والشياطين.. ومع ذلك يسمون هذا تحويلا دينيا، ينهض به رجال دين ؟!..

أما الافتراء على الإسلام، فهو – في هذه البروتوكولات، نموذج لخليط من «الجهل.. والتجاهل » و«الغفلة.. والتغفيل!».. وعلى سبيل المثال:

* فهم يقابلون بين الإسلام الذي «لا يتحدث الله فيه إلى النساء»؟!.. وبين النصرانية «حيث نرى الرب جالسا فوق حائط يخبر امرأة سامرية يحتقرها المجتمع بأنه يرغب في أن يمنحها حياة أبدية (8) » ؟!

ولم يسألوا أنفسهم عن «الوثنية» التي تجسدها صورة هذا «الرب» الجالس على الحائط!.. وهل هذا هو لون «التوحيد» الذي ينسبون نصرانيتهم إليه ؟!..

ولم يخجلوا من الكذب والافتراء على الإسلام، الذي قالوا عنه: إن الله، فيه، لايتحدث إلى النساء.. متجاهلين حديث القرآن عن أن الله قد أوحى إلى مريم وبشرها: (وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ* يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ*)(9) (إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ*)(10) (فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا* وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا* فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا*)(11).

لقد كلمها وحيا.. وهذا هو اللائق بالتوحيد. فهل يفخرون على هذا التكريم، بالوحي

لمريم، مع التنزيه للألوهية الواحدة... بصورة «الرب الجالس فوق حائط يخبر امرأة سامرية» ؟!.. أم أن قلة الحياء مع الله قد بلغت بالقوم الحد الذي يستدعي الحديث النبوي المأثور: « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » (12) ؟!..

وكذلك خاطب الله، في القرآن، نساء النبي، صلى الله عليه وسلم، ورضي عنهن.. فقال: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً* وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً* يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً* وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحاً نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً* يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً* وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً* وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيرا*) (13)..

كما خاطب، مع زوجات النبي، وبناته، كل نساء المؤمنين.. فقال: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً*)(14).

وأنه، سبحانه وتعالى، قد سمع قول المرأة التي تجادل النبي حول زوجها.. وأنزل في شكواها وحياً إلهياً: (قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ* ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ*)(15)...

تجاهل قساوسة التنصير خطاب الله، في القرآن، للنساء - الذي لو ذهبنا لإحصاء آياته لخرجنا عن المقام -.. ولم يروا لتكريم المرأة غير الصورة الوثنية التي زعموها «لرب جالس فوق الحائط يخبرامرأة سامرية» ؟!.. ألا ساء ما يفترون!..

ومع اعترافهم بأن «القرآن يعتبر الرجال والنساء متساوين في القيمة الروحية، كما هو

واضح في خلقهم من نفس واحدة: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً...)(16).. وأن الأتقياء من الرجال والنساء موعودون بالجنة: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ*) (17)...».

فلقد ذهبوا يدسون على القرآن في قوامة الرجال على النساء: (ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ...)(18) .. متجاهلين أن القوامة مسؤولية – لأنها القيام الدائم على شؤون الأسرة – وليست استبدادا يحرم المرأة من الرعاية – وهي قوامة – في البيت والأسرة.. فهي – القوامة – توجب على المرأة شيئا وعلى الرجل أشياء – كما يقول الإمام محمد عبده (19) –.. ثم إنها واردة كدرجة في سلم القيادة، بالأمور التي تؤهل الطبيعة الرجل لها.. في مقابل الرعاية التي للمرأة في الأمور التي تؤهلها الطبيعة لها، وذلك لتكون مساواتهما هي مساواة الشقين المتكاملين، لا مساواة الندين المتماثلين المتنافرين: (... وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ*) (20)..

كما ذهبوا يغمزون في ميراث المرأة «نصف ما يرثه أخوها».. مع أن ذلك ليس في كل الحالات التي فيها ذكور وإناث في الميراث.. فكثيرا ما ترث المرأة أكثر من الرجل – فابنة المتوفى ترث أكثر من أبيه ؟! –.. وللميراث فلسفة تحددها عوامل: درجة القربى، وأعباء الإنفاق، وليس الذكورة والأنوثة (21) ؟!..

ولم يكلفوا أنفسهم حديثا عن صورة المرأة في النصرانية ولاهوتها.. وهي صورة «الإثم» الذي يسكنه «الشيطان» و«الوسواس» الذي أخرج آدم من الجنة، مرتكبة بذلك «الخطيئة» التي حملتها البشرية جمعاء فناءت بحملها الثقيل ؟!.. بل لقد ذهب بهم الافتراء على مكانة المرأة في الإسلام إلى أن قالوا: إنه **«بينما يعتبر حب الزوج لزوجته إلهاء عن عبادة الله، فإن حبه لأمه ينبغي أن يظل رمزا للعرفان مدى الحياة** (22) »!

ونحن نسألهم: أليست الأم امرأة من النساء ؟!.. ولماذا تجاهلتم صورة الزوجة التي بلغ بها القرآن مكانة السكن والسكينة للزوج.. وهل يكون ذلك بغير الحب ؟! (وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ـ

أَن خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*)(23)..

إن الإسلام ليجعل من المعاشرة الزوجية والاتصال الجنسي الحلال عملا صالحا ينال الإنسان عنه ثواب الله، فيقول الرسول، صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه أبو ذر الغفاري، رضي الله عنه: « إن النبي ذكر أشياء يُؤجر فيها الرجل، حتى ذكر غشيان أهله. فقالوا:

– يا رسول الله، أيُؤْجَر في شهوته يصيبها ؟!

– قال: أرأيت لو كان آثما، أليس يكون عليه الوزر ؟!

– فقالوا: نعم.

– قال: فكذلك يُؤْجَر » (24).

بل إن حنان الرجل على المرأة، ومداعبته لزوجه، عندما تتخذ صورة اللقمة يضعها في فمها، لهو، في الإسلام، عمل صالح يكتب الله له به الحسنات.. وكما يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «المؤمن يُؤْجَر في كل شيء حتى اللقمة يرفعها إلى فِي امرأته» (25)، فأين من الإسلام ذلك الافتراء الذي افتراه قساوسة التنصير ؟!..

* * *

وإذا كانوا قد خططوا لتكون المرأة المسلمة ثغرة من ثغرات اختراق الإسلام وعالمه وأمته.. فلقد كشفت بروتوكولاتهم عن وقوفهم خلف مخططات تحديد نسل المسلمين. فتنصير المرأة و«تخطيط الأسرة» مداخل لتحقيق مقاصد هذه البروتوكولات.. وفي التدرج والمرحلية على هذاالدرب يقولون:

«إن تخطيط الأسرة عامل رئيس ومؤثر وله أهمية كبيرة، ومع ذلك لم تتناوله هذه الدراسة - (دراسة الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين).

إنه من الأفضل عدم تناول التخطيط الأسري خلال المراحل المبكرة من العمل مع المسلمين، حيث يمكن أن يكون الناس أكثر استجابة لتخطيط الأسرة إذا تحسنت أحوالهم الصحية، وتأكد لهم بقاء وصحة الأطفال. ونستطيع أن نعالج مسألة تخطيط الأسرة بكل كفاية وفق هذا الأسلوب، ونخفض معدل المواليد عموما بالتعليم والرخاء، إننا نأمل أن

يتحقق ذلك في كل برامج تطوير المجتمع» (26) ؟!

وهنا لابد من أن نسأل: أليس هذا هو المخطط الذي تدعو إليه وتروج له وتنفذه في عالم الإسلام كل المؤسسات الغربية، سياسية وأجتماعية واقتصادية وإعلامية ؟.. وكذلك كل المؤسسات «الدولية» الخاضعة لهيمنة الغرب ؟!.. وألا يكشف ذلك عن تكامل المخطط الغربي في هذه الحرب المعلنة على الإسلام وأمته وحضارته وعالمه على مختلف الجبهات من العلمانيين إلى قساوسة التنصير ؟!.. ثم.. لو كان هؤلاء القساوسة يبغون خلاص النفوس والأرواح - بالنصرانية - كما يزعمون ويعلنون.. فلم يريدون تحديد عدد النسل في بلاد الإسلام ؟!.. ولم لا يرحبون بزيادة الأرواح والنفوس التي سيمنحونها الخلاص ؟!.. أم أن الأمر لا علاقة له بأي دين ولا بأي تدين.. وإنما هي الحرب التي يشنها الغرب على الإسلام والمسلمين، وذلك حتى لا تتحدى «الحضارة المؤمنة» حضارتهم العلمانية التي تأخذ المادية واللاأدرية منها بالخناق؟!..إنه استغلال الدين وتسخيره، حتى ممن يلبسون مسوح هذا الدين!..

الهوامش

(1) أسست إرسالية التنصير الإنجيلية، بمصر، أول مدرسة للبنات - بحارة السقايين - في القاهرة - في يونيو سنة 1860 م، انظر: (تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر) ص 170.

(2) مع أن هذا «التفوق» الذي يتحدثون عنه، ويشيرون إليه، كان «تفوق» الحضارة الغربية العلمانية اللادينية.. ولم يكن «تفوق النصرانية»!..

(3) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي - المداخل النصرانية للمرأة المسلمة وأسرتها - لـ «فاليري هوفمان» - ص 867.

(4) المصدر السابق: تقرير المؤتمر - لـ «أرثر. ف. كلاسر » - ص 54.

(5) المصدر السابق: المداخل النصرانية للمرأة المسلمة - لـ «فاليري هوفمان» - ص 880.

(6) المصدر السابق: المداخل النصرانية للمرأة المسلمة - لـ «فاليري هوفمان» - ص 876.

(7) المصدر السابق: تطوير وسائل جديدة لتساعد في تنصير المسلمين - لـ «دونالدر. ريكاردر» - ص 644.

(8) المصدر السابق: المداخل النصرانية للمرأة المسلمة - لـ «فاليري هوفمان» - ص 876.

(9) آل عمران: 42، 43.

(10) آل عمران: 45.

(11) مريم: 24، 26.

(12) رواه البخاري وأبو داود وابن ماجة ومالك في الموطأ والإمام أحمد.

(13) الأحزاب: 28 - 34.

(14) الأحزاب: 59.

(15) المجادلة: 1، 2.

(16) النساء: 1.

(17) التوبة: 72.

(18) النساء: 34.

(19) انظر: كتابنا (الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده) طبعة القاهرة سنة 1405 هـ 1985م.

(20) البقرة: 228.

(21) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي - المداخل النصرانية للمرأة المسلمة - لـ «فاليري هوفمان» - ص 867.

(22) المصدر السابق: المداخل النصرانية للمرأة المسلمة - لـ «فاليري هوفمان» - ص 873.

(23) الروم: 21.

(24) رواه الإمام أحمد.

(25) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والإمام أحمد.

(26) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي.- الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين - لـ «روبرت س بتكبت، ورفينول ل. ماكاكبا» - ص 839.

الفصل التاسع

اختراق الشرق الإسلامي من الغرب النصراني

ايتزايد باطراد عدد المسلمين الذين يسافرون الى الغرب. ولأنهم يفتقرون الى الدعم التقليدي الذي توفره المجتمعات الإسلامية، ويعيشون نمطا من الحياة مختلفا - في ظل الثقافة العلمانية المادية - فإن عقيدة الغالبية العظمى منهم تتعرض للتأثر!..

وإذا كانت تربة المسلمين في بلادهم هي، بالنسبة الى التنصير، أرضا صلبة .. ووعرة!.. أفليس بالإمكان إيجاد مزارع خصبة بين المسلمين المشتتين خارج بلادهم، حيث يتم الزرع والسقي والتهيئة لعمل فعال عندما يعاد زرعهم ثانية في تربة أوطانهم كمنصرين ؟!)

من أبحاث مؤتمر كولورادو

لتنصير المسلمين

واستمرارا في «سياسة» و «تكتيك» الهروب من المواجهة الحقيقية مع حقيقة الإسلام وثقافته.. والالتفاف بحثا عن الثغرات الخلفية والجانبية للاختراق، فالهدم والتدمير .. استمرارا لهذه «السياسة» ولهذا «التكتيك»، وأمام اعتراف قساوسة التنصير - التي تواترت بها مطبوعات إرسالياتهم - بأن عالم الإسلام يكاد أن يكون مغلقا أمام نصرانيتهم.. دعوا إلى التركيز - كجزء من مخطط الالتفاف للاختراق - على المسلمين المغتربين في البلاد الغربية، ليجعلوا منهم «مزارع» يزرعون فيها وينمون بذور النصرانية تمهيدا إلى إعادة غرسها في عالم الإسلام !!.. وتحدثوا في ذلك عن افتقار هؤلاء المغتربين إلى الدعم الفكري والثقافي من بلادهم الإسلامية، في جوٍّ علماني مناهض للحياة والمثل والقيم الإسلامية، الأمر الذي يسهل على المنصرين زرع نصرانيتهم في ضحايا تفتقر إلى المقاومة ؟! ..

هكذا تكشف بروتوكولات مؤتمر «كولورادو» عن قسمة أخرى من قسمات الاختراق النصراني لعالم الإسلام ! .. إن الخطاب الرئيس للمؤتمر، والذي يوجز الخطوط العريضة للمشكلات والحلول، يعترف بأن مطبوعات إرساليات التنصير مليئة بالعبارات المعبرة عن عجز هذه الإرساليات عن مواجهة الإسلام على أرضه وفي ربوع عالمه وتحت ظلال ثقافته.. ومن هنا كان اقتراح رئيس المؤتمر لهذه «المزارع» التنصيرية في ظل ثقافة الغرب العلمانية المنحلة، استنباتا للنصرانية في هذا الجوِّ الملائم للتنصير !! ..

ويا عجبا من «دين» وأهل «دين» يرون في اللادينية والانحلال الجوَّ الملائم والجو المواتي لهذا «الدين» ؟! ..

يقول الخطاب الرئيس للمؤتمر، راسما هذه القسمة من قسمات المخطط التنصيري :

«إن مطبوعات الإرساليات التنصيرية، التي تعمل في صفوف المسلمين، مليئة بإشارات وعبارات مثل : «عدم الاستجابة» أو «منطقة صعبة» أو «نمو بطيء» أو «أرض وعرة» ..

والسؤال الذي أريد طرحه هو : هل نستطيع أن نؤمن بإمكانية اختراق البلدان الإسلامية، والتي ستكون خارج نطاق مجمل تجاربنا

المشتركة؟ .. فإذا كانت تربة المسلمين صلبة ووعرة، أفليس بالإمكان إيجاد مزارع خصبة بين المسلمين المشتتين خارج بلادهم، حيث يتم الزرع والسقي والتهيئة لعمل فعال يقوم به الرب عندما يعيد زرعهم في تربة أوطانهم ؟ .. »

ثم يمضي رئيس المؤتمر، في الخطاب الرئيس، بعد تحديد «المشكلة»، والإشارة إلى «الحل»، يمضي فيعرض الإمكانات المساعدة على التنفيذ والتطبيق، فيقول :

«إنه يتزايد باطراد عدد المسلمين الذين يسافرون إلى الغرب .. ولأنهم يفتقرون إلى الدعم التقليدي الذي توفره المجتمعات الإسلامية[1]، فإنهم يشعرون بالتمزق، ويكونون غير واثقين بأنفسهم، ويعيشون نمطا من الحياة يختلف عن ذلك الذي يجب عليهم اتباعه .

ولقد كتب «ماكس كيرشو» في بحثه الذي قدمه إلى هذا المؤتمر يقول: «يبدو أن عقيدة الغالبية العظمى من المسلمين في الغرب، سواء أكانوا مهاجرين أم طلابا أم زوارا، تتعرض للتأثير» . ويؤلِّف هذا تهديدا خطيرا للتماسك الإسلامي .

وقد أشار أحد الكتاب المسلمين إلى أن انتشار النزعة العصرية لم «يزرع الارتباك فقط، ولكنه أضعف من قبضة الإسلام وتأثيره [2] ..» !

في هذا الجوِّ اللاديني، رأوا البيئة المناسبة لزرع واستنبات النصرانية في صفوف المسلمين المغتربين، الذين يفتقرون إلى «الدعم التقليدي الذي توفره المجتمعات الإسلامية» لمواطنيها في بلادها ! .. وذلك تمهيدا لإعادة زرع هؤلاء المتنصرين – بعد «السقي والتهيئة» – في «تربة أوطانهم» الإسلامية ! ..

وانطلاقا من هذا المخطط، الذي أجمع عليه قساوسة التنصير، ناشدوا كل هيئات التنصير في جميع أنحاء العالم للاتحاد في جهودها لاصطياد «الضحايا» من المسلمين المغتربين .. ولم يستثنوا من هذا المخطط بلدا فيه من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، سواء أكان المسلمون فيه أغلبية أم أقلية .. وتحت عنوان : (مناشدة) نقرأ في هذه البروتوكولات عن مغتربي المسلمين من روسيا والصين :

«يا هيئات التنصير في الغرب اتحدى !

اتحدي لتنسيق وتنفيذ اتصال مستمر وشامل للوصول إلى :

أ- المغتربين المسلمين القادمين من روسيا والصين إلى الولايات المتحدة وأوروبا والشرق الأوسط (على الرغم من أن احتمال رجوع هؤلاء المغتربين إلى «وطنهم» في آسيا الوسطى يبدو ضئيلا، إلا أنهم قد يساعدون على ترجمة الإنجيل، وفي مجالات أخرى) .

ب- المسلمين في آسيا الشيوعية عن طريق الرحلات العلمية والأعمال السياسية[3] » !!

فحتى المغتربون الذين لن يعودوا فيزرعوا في «أوطانهم الإسلامية» يمكن أن يخدموا التنصير في الترجمة . والأعمال الأخرى المماثلة ..

وحتى الذين لا نية لهم في الاغتراب، تناشد البروتوكولات إرساليات التنصير جذبهم إلى الجوِّ الغربي المواتي لتنصيرهم، بـ «الرحلات العلمية والأعمال السياحية» التي تنظمها، من وراء ستار، إرساليات التنصير !! ..

ولقد خص هذا المخطط - لاصطياد المغتربين المسلمين - طلابنا الذين يدرسون في المجتمعات الغربية بمزيد من الاهتمام ..

فهناك تركيز تنصيري على الطلاب .. وكما يقولون : « ففي الحرم الجامعي يجب أن تبدأ «ثورة الإرساليات التنصيرية الخاصة بالمسلمين [4]»!! ..

وفي بحث آخر - من أبحاث هذا المؤتمر - وبعد الحديث عن عدم ملاءمة حياة المجتمعات الغربية للالتزام الإسلامي - عرض الكاتب لتأثير ذلك على الطلاب بوجه خاص.. فقال :

«يبدو أن أغلبية المسلمين في الغرب، مهاجرين كانوا أم طلابا أم زوارا، قد ابتعدوا عن عقيدتهم، إن نمط الحياة هنا لا يساعد على الالتزام بالصوم والمحافظة على الصلوات اليومية وصلاة الجمعة .. إلخ .. فلا توجد ميزة لأن تكون مسلما في الغرب . ؟! .

إن الثقافة والعلمانية المادية المحيطة، والتي يهتم بتأثيرها بعض

النصاري، قادرة على أن تبهر سائر المسلمين فيما عدا الملتزمين منهم. وفي هذا الصدد يلاحظ دائما أن القول الشائع لدى المسلمين العرب هو: «عندما تكون في روما افعل كما يفعل أهل روما» .

وبوجه عام، فإن الذين يتعاملون مع الطلاب الأجانب يتفقون على أن طلاب الشرق الأوسط أكثر الطلاب استعدادا للتكيف، ويبدو أنهم قادرون على أن يتأمركوا في أثناء وجودهم في أمريكا (ثم يعودوا إلى سيرتهم الأولى عند رجوعهم إلى بلادهم)، وعليه فإنه ليس غريبا أن نرى نسبة عالية من المسلمين لا يمارسون بنشاط شعائر عقيدتهم في أثناء وجودهم في الغرب . ومع ذلك فإن عدد الذين يتحولون عن الإسلام لا يعدو أن يكون رمزيا فقط [5] » !!

أما سر تركيز هذا المخطط على «الطلاب» – إلى الحد الذي رفعوا له شعارا : «في الحرم الجامعي يجب أن تبدأ ثورة الإرساليات التنصيرية الخاصة بالمسلمين» !! .. سر تركيزه على «الطلاب» أكثر من «المهاجرين» ومن «الزوار» إلى بلاد الغرب .. فلأن !

أولا : هؤلاء الطلاب يجلسون مجلس الدرس والتلمذة .. فهم معرضون – علاوة على تأثير الجوّ النصراني والمادي العام – لتأثير فكري منظم .. ومن خلاله يتسرب التنصير، بأسلوب ناعم وغير مباشر ! ..

وثانيا : لأنهم لم يرتبطوا – بالزواج والإنجاب – بروابط اجتماعية شديدة الخصوصية تشدهم إلى العلاقات الإسلامية، وتصعب عليهم الاقتلاع الذي يمثله ويحدثه التنصير! ..

وثالثا : أن إقامتهم في الغرب ليست عابرة، كما هو حال «الزوار» .. وإنما لديهم سنوات تتراكم فيها تأثيرات التغريب والتنصير ..

ورابعا : أن إقامتهم ليست دائمة في الغرب، كما هو حال «المهاجرين» .. ومن ثم فلديهم صلاحية إعادة الغرس في مجتمعاتهم الإسلامية، بعد زرع النصرانية فيهم وسقيها وتهيئتهم لدور المنصرين !

وخامسا : – وأخيرا – فلأنهم، كطلاب، هم في مرحلة «التلقي» و «التأثر» .. وهم ذاهبون إلى الغرب لطلب «العلم» و «الفكر» .. وليس لكسب العيش، كما هو حال «المهاجرين» .. ولا للنزهة والمتعة، كما هو حال «الزوار» ..

لذلك كان تركيز مخطط الاصطياد للمغتربين، واستنبات النصرانية فيهم، ثم إعادة زرعهم في المجتمعات الإسلامية .. كان تركيز هذا المخطط على «الطلاب» أكثر من الفئات الأخرى للمغتربين ! ..

* * *

ومن الحقيقة التي ختم بها «ماكس كيرشو» العبارة السابقة التي اقتبسناها من بحثه، حقيقة :

«إنه، ومع ذلك، فإن عدد الذين يتحولون عن الإسلام لا يعدو أن يكون رمزيا فقط» !!

من هذه الحقيقة التي عبرت عنها هذه العبارة – والتي أعادت، حتى للتنصير في صفوف المغتربين المسلمين – إشارات وعبارات : «عدم الاستجابة» و «منطقة صعبة» و«أرض وعرة» و «نمو بطيء» .. حتى لكأن العقبة أمام التنصير للمسلمين هو «الإسلام» و«المسلم»، مهما كان المكان وكان الجو !! .. أمام هذه الحقيقة، المخيبة لآمال قساوسة التنصير، كان تساؤلهم :

«ما الذي تم عمله لتنصيرالمسلمين في الولايات المتحدة ؟ وغيرها من البلاد الغربية ؟!؟»

ولما أجاب «ماكس كيرشو» عن هذاالسؤال بقوله : **«حتى الآن لم يتم شيء كثير»** [6] ! .. لم تكن هذه الإجابة نهاية المطاف .. وإنما كانت مدخلا لتخطيط يريدون بتنفيذه تحقيق «الشيء الكثير» ؟! ..

* فعن تنصير المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، يقول «تقرير المؤتمر»:

«وإدراكا للوجود المتزايد للمسلمين في أنحاء الولايات المتحدة وكندا نقترح أن يسعى المركز – (مركز زويمر – الذي يقود كل عمليات التنصير للمسلمين) – لإعداد دراسة عميقة حول توزعهم الجغرافي

والسكاني، والقيام بدراسة موسعة عن طريق المنصرين العاملين في صفوفهم، ويجب أن يتم هذا العمل بهدف التخطيط الاستراتيجي لتنصيرهم [7]..» !!

* وعن تنصير المسلمين في فرنسا .. يبدؤون الحديث بالتساؤل :

«ماذا يتم عمله للوصول إلى المسلمين في فرنسا.. ؟ » ثم يجيبون :

«ينتمي معظم المهاجرين – (المسلمين) – إلى طبقة الفلاحين، وقد وجد من الصعب الوصول إليهم. بل والأكثر صعوبة هو دمجهم في الكنائس الأوروبية.

وينشط عدد من أفراد «إرسالية شمال إفريقيا» في الوقت الحاضر في فرنسا، إضافة إلى منصرين من «محافل الإخوة» و «اتحاد الكتاب المقدس التنصيري».. و«الإرسالية شمال إفريقيا» مركز دولي في «مونبيليه»، حيث أحرزوا بعض النجاح في الوصول إلى الطلاب الإيرانيين وتنصيرهم.. » !!

.. وهنا نلاحظ شكوى المنصرين من عدم استجابة الفلاحين وأبنائهم للتنصير.. فالفلاح المسلم هو من أكثر الطبقات نجاة من تأثيرات التغريب. التي تمهد الأرض أمام التنصير !!..

* وعن تنصير المسلمين المغتربين في ألمانيا قالوا :

«لقد اشترك عدد من الألمان النصاري والمنصرين مع «إرسالية الاتحاد التنصيرية» و «إرسالية عملية التعبئة التنصيرية» في محاولة تنصير المسلمين الأتراك، حيث حققوا بعض النجاح، وفي الوقت الحاضر يوجد في ألمانيا أتراك نصارى أكثر مما هو موجود في تركيا..» !!..

* أما عن التنصير بين المغتربين المسلمين في انجلترا، فلقد قالوا :

«إن العمل النصراني في وسط المسلمين تقوم به الكنيسة الرسمية والمحلية ومجموعات الكنائس الحرة والإرساليات المستقل، مثل «إرسالية

عملية التعبئة»، حيث تحقق بعض النجاح. ولكن الكنيسة في انجلترا تشق طريقها بصعوبة وجهد حتى يبدو أنها تفقد المواقع، وغير قادرة على التغلب على مصاعب التحدي الناتج من التدفق الإسلامي، وقد بيعت بعض الكنائس وتم تحويلها إلى مساجد» [8] !!

وإذا كانت حقائق هذا «الحصاد» للتنصير بين المسلمين في الغرب، هي على هذا المستوى المتواضع.. برغم الجوِّ المناوىء للإسلام.. والإمكانات الهائلة المبذولة لتنصير المسلمين المغتربين.. وهي تبدو أشد تواضعا إذا ما قوبلت بانتصارات الإسلام وانتشاره بين المواطنين الغربيين أنفسهم.. إلا أن هذه الحقائق يجب ألا تدع «الغفلة» – بل ولا حتى «الطمأنينة» – تسود بين المسلمين إزاء مخططات التنصير لأبنائنا المغتربين.. فتواضع حصاد التنصير هو الذي دفع قساوسته لهذا التخطيط، الذي يريدون بتنفيذه تغيير هذا الواقع.. لا بتنصير أبنائنا المغتربين فقط، وإنما باستخدامهم، بعد زرع النصرانية فيهم، أدوات لا ختراق عالم الإسلام !.

الهوامش

(1) تجدر الدراسة - المقارنة - لتجربة مصر، على عهد محمد علي باشا الكبير، في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، في رعاية بعثاتها العلمية في الخارج، وتهيئة نمط الحياة الإسلامي للطلاب : من العبادة والفقه في الدين إلى الطعام الحلال، إلى ضبط السلوك الإسلامي في الجوّ غير الإسلامي.. مع رقابة الدولة ومتابعة سلطاتها العليا لحياة هذه البعثات.. انظر، في ذلك، على سبيل المثال : عمر طوسون (البعثات العلمية في عهد محمد علي وعباس وسعيد) طبعة القاهرة سنة 1353هـ سنة 1934م.

(2) التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي. - الخطاب الرئيس - لـ « و. ستانلي مونيهام» - ص 26 - 28، 24.

(3) المصدر السابق : المقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في روسيا والصين - لـ «ج. روبرت أوفير برودك» - ص 510.

(4) المصدر السابق : الحاجة إلى مجلة جديدة خاصة بالإرساليات التنصيرية الموجهة نحو المسلمين - لـ «س. جورج فراي» - ص 814.

(5) المصدر السابق : مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في الغرب - لـ «د. ماكس كيرشو» - ص 338، 339.

(6) المصدر السابق : مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في الغرب - لـ « د. ماكس كيرشو» - ص 338، 339.

(7) المصدر السابق : تقرير المؤتمر - لـ « أرثر. ف. كلاسر» - ص 70، 71.

(8) المصدر السابق، مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في الغرب. لـ « ماكس كيرشو» - ص 329 - 332.

الفصل العاشر

أساليب التنفيذ ومؤسساته

للتنصير ثلاثة أساليب:

1- الأسلوب المباشر: عن طريق المنصرين والدراسات الإنجيلية.. وهذا الأسلوب لم يجتذب سوى عدد قليل جدا من المسلمين !..

2- والأسلوب الشامل: مثل المدارس والكليات والجامعات الأمريكية - في القاهرة، وبيروت، واستانبول - !!.. التي فتحت بابا عظيما للتنصير.. لكنه فقد تأثيره الإيجابي الذي خطط له مؤسسوه، لعيوب في الإدارة والتوجيه ؟!..

3- الأسلوب غير المباشر - أو أسلوب التسلل: بالكلمة المذاعة.. والصورة المرئية.. والصفحة المكتوبة.. والرسوم المتحركة.. الخ.. الخ.. وهذا هو العنصر الحاضر دائما!والقوة الصامتة، وغير المرئية، التي لا تدخل في أي جدال، ولا تقبل أي اعتذار.. وعلى الرغم من ذلك تنتقل من خلال العقل إلى القلب والضمير لتحدث معجزة التنصير؟!..)

من أبحاث مؤتمر كولورادو

لتنصير المسلمين

لقد اتفقت أبحاث ومناقشات قساوسة التنصير، في مؤتمر «كولورادو»، على الهدف:

* اقتلاع الإسلام من جذوره، وطي صفحته من الوجود، وتنصير كل المسلمين!..

واتفقوا على أن السبيل إلى تحقيق هذا الهدف، هو:

* الالتفاف حول الإسلام، والهرب من مواجهته، لاختراقه تحت مظلة: مصطلحاته. وثقافته.. والأنماط والأشكال المألوفة لأهله في الاجتماع الإسلامي!..

أما آليات التنفيذ لهذه الأهداف، فهي:

* «المؤسسات».. مؤسسات الاختراق للإسلام!.. سواء أكانت الكنائس المحلية والوطنية.. أو إرساليات التنصير القائمة.. أو المؤسسات الجديدة المقترحة.. والتي حددوا أهدافها عندما قالوا: **«إن ظاهرة الإسلام واسعة بالدرجة التي يستطيع المرء أن يتصور الحاجة إلى مئات المراكز.. المخصصة للتركيز على الإسلام.. ليس فقط لفهم أفضل للإسلام.. وإنما من أجل اختراق الإسلام [1]»!!..**

إن قساوسة التنصير، برغم طموحهم لتسخير العمالة المدنية مع الإرساليات.. والعلمانيين مع رجال الكنيسة.. وكنائس الشرق مع كنائس الغرب.. ودارسي الإسلام مع اللاهوتيين النصارى.. برغم طموحهم إلى تسخير كل شيء وكل أحد لاختراق الإسلام وتنصير كل المسلمين.. فإنهم قد أكدوا ضرورة إنجاز هذا المخطط، والوصول إلى هذه الأهداف عن طريق «المؤسسات»، القائم منها – وهو هائل – والذي اقترحوا إقامته – وهو كبير وكثير –!..

وإذا كانوا قد أسسوا مخططهم هذا وبروتوكولاتهم هذه على ضوء نقد الواقع التاريخي للتنصير، والذي أوصلهم إلى طريق شبه مسدود.. فإنهم قد جددوا في «الأساليب» التي اقترحوها على «مؤسسات» التنصير!..

* * *

لقد حددوا للتنصير ثلاثة أساليب:

أولها: «**الأسلوب المباشر**».. الذي يعتمد على الدعوة المباشرة إلى النصرانية – وهو أسلوب قديم –.. وقالوا إن حصاد هذا الأسلوب كان ضئيلا.. فهو لم «يجتذب سوى عدد قليل جدا من المسلمين فيما عدا بعض الذين جاؤوا بصورة سرية وظلوا مجهولين»!..

وثانيها: «**الأسلوب الشامل**».. وهو الذي ينشر الجو النصراني والأدبيات النصرانية ويجعل النصرانية مألوفة في الأوساط الإسلامية. ويجذب إليها الضحايا.. لا من خلال الدعوة المباشرة التي يقوم بها المنصرون المسافرون كما هو حال الأسلوب الأول – المباشر – وإنما من خلال المؤسسات التعليمية التي خطط المنصرون لإنشائها في بلاد الإسلام.. من المدارس.. إلى الكليات.. إلى الجامعات الأمريكية في القاهرة وبيروت واستانبول!!..

ولقد دعوا إلى تحسين أداء هذه المؤسسات حتى تنجز، على جبهة التنصير الأهداف التي أسست من أجلها.. وانتقدوا القصور الإداري الذي عاقها عن تحقيق كل الأهداف في هذا الميدان!..

وثالثها: «**الأسلوب غير المباشر، أو أسلوب التسلل**».. – وهو الأسلوب الجديد الذي اقترحوا التركيز عليه لتحقيق المخطط الجديد والطموح: اختراق الإسلام لهدمه، وتنصير كل المسلمين!.. ومن ثم دعوا كل المؤسسات القائمة على التنصير، مع المؤسسات الجديدة المقترحة إلى التركيز في الدعوة إلى التنصير على هذا الأسلوب.. «أسلوب التسلل».. الذي قالوا عنه: «**إنه هو القوة الصامتة، وغير المرئية، التي لا تدخل في أي جدال، ولا تقبل أي اعتذار، وعلى الرغم من ذلك تنتقل من خلال العقل إلى القلب والضمير لتحدث معجزة التنصير**»!

ذلك هو التخطيط الجديد – في بروتوكولات قساوسة التنصير – الذي حددته أبحاث مؤتمرهم، عندما قالت بالنص:

«إن طريقة الوصول إلى المسلمين وتنصيرهم، قد أصبحت موضع دراسة جادة.. وفيها اتجاهات ثلاثة:

1– الأسلوب المباشر: ولقد اتخذ العمل التنصيري في العقود الماضية شكل مجموعات صغيرة ودراسات إنجيلية موجهة في البيوت وأماكن العمل. كان ذلك هو المنهج الذي سار عليه الإخوة، والذي أدى

إلى نتائج باهرة في مصر قبل حرب عام 1956م. ولكن بناء السد العالي في أسوان أدى إلى إنهاء عملهم هناك[2]!

إن الأسلوب المباشر يروق لبعض الأفراد، ولا يفقد تأثيره وفعاليته أبدا، إلا أنه يتطلب قدرا كبيرا من الحصافة والحكمة الإلهية، وخاصة في عصرنا المتسم بالحساسية الشخصية والقومية والدينية..

واتخذ أسلوب التنصير المباشر شكل الدعوة العلنية متى كان ذلك ممكنا، في قاعة خاصة أو في كنائس. ولكن هذا الأسلوب اجتذب عددا قليلا جدا من المسلمين، فيما عدا بعض الذين جاؤوا بصورة سرية وظلوا مجهولين.

2- الأسلوب الشامل: ولم يخل الأسلوب الشامل من نتائج شاملة ومؤثرة، وإن كانت عامة.. إن مئات المدارس القروية، وعديدا من الكليات قد فتحت الأبواب إلى عالم جديد لآلاف الناس، ومكنتهم من قراءة الإنجيل والأدب النصراني. وهذه الكليات التي كانت ومازالت مراكز لتأثير عظيم في الشرق الأوسط والأدني هى «كلية روبرت في استانبول» و «الجامعة الأمريكية في بيروت» [3]، و «الجامعة الأمريكية في القاهرة» [4]. وإذا لم نتمكن من إحداث التأثير النصراني الإيجابي الذي خطط له مؤسسوها، فإن الخطأ يقع على عاتق الإدارة والموظفين، وليس بسبب عدم توفر الفرص أو الإمكانات أو الوسائل. كما أن إنشاء هذه المعاهد قد فتح بابا عظيما، ولكن عدم استمرارية تأثيرها يعود إلى المحتوى والتوجيه، وليس بالضرورة إلى المنهجية!..

3- الأسلوب غير المباشر أو أسلوب التسلل: والواقع أنه في كل العصور والبلاد كانت الصفحة المكتوبة في كل مكان هي المنصر الحاضر دائما!..

أضيف هنا تحذيرا، هو: أنه من الخطأ إعادة الحياة إلى الكتابات والمطبوعات القديمة لتوزيعها اليوم، إننا بحاجة إلى كتابات «جديدة»، لكل جيل، ومطبوعات «مختلفة» لكل بلد وشعب، ويجب أن يفيض هذا

الأدب بروح الحاضر إذا أردنا له أن يجد أذنا صاغية. إن أي جيل يتطلب أدبا جديدا.

هناك وسيلتان أخريان لأسلوب التسلل تهيأت لجيلنا الحاضر، وأثبتت العقود الأخيرة أنهما مؤثرتان جدا، هما: الإذاعة، ودورات المراسلة.. ولاشك في أن التليفزيون قد يحل محل الراديو في الأهمية، وهذا احتمال مستقبلي، ولكن العصر هو عصر الراديو..

وبعكس الإذاعة، التي تتطلب استماعا مركزا، فإن دورات المراسلة تتطلب القراءة، والتفكير، والاشتراك في الكتابة، كما أنها تشد العقل، ويشارك فيها الفرد على مستوى عميق، وليس فيها مجال للجدل والنقد..

إن هذا الأسلوب – (أسلوب التسلل) –، على كل حال، هو القوة الصامتة وغير المرئية التي لا تدخل في أي جدال ولا تقبل أي اعتذار، وعلى الرغم من ذلك تنتقل من خلال العقل إلى القلب والضمير لتحدث معجزة التنصير»[5]!

تلك هي كلماتهم عن أساليب التنصير.. وهي شهادة واعتراف يفضح مؤسسات التعليم التي أقاموها أوكارا للتنصير، فتعلم فيها أبناؤنا وتخرج فيها حكامنا – في القاهرة وبيروت واستانبول!! –.. وهذا هو تفكيرهم المعاصر والمستقبلي عن الكلمة العصرية المكتوبة – «الصفحة المكتوبة هي: المنصر الحاضر دائما»! –.. وعن الإذاعة – «فالعصر هو عصر الراديو»! –.. وعن دورات المراسلة، التي تُعْمِلُ ملكات وطاقات «القراءة.. والتفكير.. والكتابة.. وتشد العقل» إلى أدبيات التنصير!!..

ومطلوب من جميع هذه الآليات أن تتسلل بالمضامين النصرانية، المغلفة بالأشكال والأنماط الثقافية الإسلامية.. تتسلل إلى عقل المسلم ووجدانه، لتقتلعه من الإسلام، وتقتلع منه الإسلام!!..

أما الكلمة المكتوبة، والصفحة المطبوعة.. التي هي – كما قالوا –: «المنصر الحاضر دائما». فلا يحسبن أحد أنها، فقط، المواعظ الدينية وكتب اللاهوت.. فالقوم قد أعلنوا الهرب من المواجهة بين لاهوتهم وبين دين الإسلام.. ومن ثم فكلمتهم المطبوعة، ومنصرهم

الحاضر دائما، هي الكلمة الجبانة المتخفية في كل ما لا علاقة له مباشرة بالدين الصرف!!.. ويعباراتهم عن ثياب وأشكال وأنماط هذه «الكلمة»:

«فإننا نعتبر أن المطبوعات ووسائل الإعلام تشمل: الكراسات الدينية.. والصحف.. والرسوم الكرتونية المتحركة.. والكتيبات.. والكتب.. والمجلات.. ودورات المراسلة.. و النصوص الإذاعية.. والتسجيلات.. والمسرحيات.. ومواد القراءة والكتابة.. وترجمات الكتاب المقدس.. والصور.. والملصقات.. وأي مواد إيضاحية أخرى [6]»!!

تلك هي أبرز أنواع المطبوعات ووسائل الإعلام - «**المنصر الحاضر دائما**» -!!..

* * *

وعندما قرر قساوسة التنصير أن «العصر هو عصر الراديو».. فإنهم قد خططوا لتنهض الإذاعات التنصيرية بدور «المنصر الحاضر دائما»، والمتسلل تحت كل المظلات الخادعة إلى آذان وعقول وقلوب المسلمين.. لأن الإذاعة تخترق حدود البلاد المغلقة أمام المنصرين الرسميين!!..

وإذا كانت محطات الإذاعات التنصيرية ومحطات الإرسال التليفزيوني قد بلغت 2340 محطة؟!.. - وذلك غير الإرسال النصراني من إذاعات وتليفزيونات لا تديرها إرساليات التنصير.. وإنما تديرها دول نصرانية!! -.. فإنهم قد ذهبوا على درب «التسلل» وتحقيق الحد الأقصى من «الفعالية» إلى حيث اقترحوا مخططا، اتفقت عليه إذاعات التنصير، التي نسقت جهودها، وأقامت «**رابطة الشرق الأوسط للاتصالات**»!.. فكان من معالم هذا التخطيط:

1- استكتاب كتاب مسلمين - خبراء بالإسلام، وبعقلية وذوق المستمع المسلم - للنصوص الإذاعية.. على أن يحموا هؤلاء الكتاب من الافتضاح أمام جماهير المسلمين، بترجمة نصوصهم إلى لغات أخرى.. وبإذاعتها في مناطق غير المناطق التي يعيشون فيها؟!..

2- تكوين الأطُر المدربة على الكتابة للمستمع المسلم.

3- استخدام الموسيقا الشرقية في الإذاعات التنصيرية.. وكذلك الأغاني الشرقية -

مثل أغنيات فيروز، مثلا..! والاستعانة بأساليب الإنشاد الديني الإسلامي في إنشاد النصوص النصرانية!.. والشعر العربي، كمسلم للمزامير!.. والدراما.. وبرامج تعليم اللغة الانجليزية – بالتنسيق مع هيئة الإذاعة البريطانية..! وصولا إلى توزيع الإنجيل لتدريب دارسي اللغة الانجليزية على قراءته كنص انجليزي؟! – والبرامج السياحية.. والمصطلحات الإسلامية – مثل «عيسى» بدلا من «يسوع».. وتسمية الإنجيل: «الإنجيل الشريف» بدلا من «المقدس»!.. لقد اقترحوا هذه الاقتراحات – وغيرها مما ماثلها – كأغلفة تغلف فيها المضامين النصرانية، لتصل عبر الإذاعات إلى أسماع وعقول المسلمين.. وقالت بروتوكولاتهم عن هذا المخطط لإذاعات التنصير – التي اتخذ بعضها لنفسه مواقع في قلب عالم الإسلام أو على مقربة من قلبه – لبنان – في الجنوب الذي تحتله إسرائيل – وفي قبرص مثلا –.. قالت هذه البروتوكولات:

«يبدو أن الإذاعة اليوم هي إحدى الوسائل الرئيسة التي يمكن عن طريقها الوصول إلى المسلمين في بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا المغلقة.. فهي تخترق الحواجز الحدودية.. وتنفذ إلى مجتمعات المسلمين المغلقة.. نحن يتحتم علينا أن نستغل كل وسائل التقنية الحديثة التي وفرها الرب لنا بعنايته!..

وفي بيروت جرى اجتماع ؛ حيث تبادلت محطات الإذاعة الخطط والمفاهيم فيما بينها، وكوّنّا «رابطة الشرق الأوسط للاتصالات»، والتي كانت وسيلة لإنشاء «محطة الإرسال في قبرص».. وهذا أمر ما كان لنا أن نفعله بمفردنا!..

إن «رابطة العقيدة من أجل المسلمين» قد بدأت في تجميع نصوص إذاعية.. وإنني أرى أن النتيجة ستكون أكثر فعالية إذا وافق الإذاعيون المسلمون على المشاركة ببعض أفكارهم وكتاباتهم، والتي يمكن استعمالها في مناطق أخرى وبلغات مختلفة، وتحتاج إلى إطار مدرب لكتابة هذه النصوص للجماهير المسلمة(7)...

إن هناك عددا كبيرا من المتسائلين يفوق عدد من يجيبون عن تساؤلاتهم!. إن برامج إذاعة «إرسالية شمال إفريقيا» و «جمعية

التنصير المتحدة» (وإلى حد ما البث الإذاعي الذي يأتي من ليبيريا) قد استثارت مئات الأسئلة الحادة، فليس هناك عدد كاف من الأشخاص الذين يجيدون اللغة العربية حتى يتصلوا بهؤلاء المتسائلين ويقوموا بزيارتهم [8]»!!

فالبث الإذاعي، تعقبه زيارات لإقامة علاقات مع المتسائلين؟!..

أما «أغلفة» الأشكال والأنماط الإسلامية، التي يغلفون بها المضامين النصرانية، ثم يرسلونها في الإذاعات.. فإن صراحة - بل ووقاحة - القوم قد جعلتهم لا يخجلون - وهم رجال «دين» - من أن يسموها «طعما» يصطادون به المسلمين مـن الإسلام إلى النصرانية.. إي والله!.. فلقد قالوا عن هذا «الطعم»:

* «إن المستمعين الذين استهدفتهم إذاعتنا - (من قبرص) - كانوا شبابا تتراوح أعمارهم مابين 16 - 25 عاما، وأغلبهم طلاب متعلمون، وهم عموما يستمعون إلى الإذاعة في المساء عندما ينتهي يومهم الدراسي، ولهذا توجه برامجنا إليهم ما بين الساعة 8 - 9 مساء..».

* «كان هناك قليل من الموسيقا الشرقية النصرانية، وهذا مجال يوجد فيه نقص كبير وحاجة ماسة، وفي الموسيقا استخدمنا أساسا الموسيقا الشعبية العربية، أي أغاني فيروز والموسيقا لفنانين آخرين.

وفي هذه المرحلة - (أي المرحلة الأولى من البث الإذاعي) - لم تقدم أية رسالة نصرانية، ولكنها (برامج) فقط تكون بمثابة «طعم» لجعل المسلمين يستمرون في الاستماع إلى برامجنا.

وقد يسر الرب «منشدا» النصوص المقدسة، ذا صوت جميل، «ينشدها» كما يرتل المسلمون القرآن. إن قراءة الكتب المقدسة بهذه الطريقة غيرت الموقف تماما، فقد وردتنا مثل هذه الاستفسارات:

* أي جزء من القرآن يقرأ ذلك المرتل؟

وقد أرسلنا إليه الإنجيل، مع الإجابة بأن القراءة كانت من «الإنجيل الشريف» أو من «الزبور» أي المزامير.

إن ذلك المنشد لم يكن يستطيع ترتيل النصوص المقدسة فحسب، ولكنه كان يستطيع أن يعزف على آلة العود عزفا رائعا، كما أنه (وآخر مثله) يأخذان قصصا من الإنجيل، كقصة «الابن المسرف»، ويغنيان القصة بلحن شرقي جميل، كان ذلك رائعا جدا..

إن العرب يحبون الشعر، وكنا نحن نقرأ بعضا من عيون الشعر الرائعة - «نحن» تعني دائما: قارئا عربيا -. وبعد الشعر نقرأ لهم أجزاء من المزامير، وفي نهاية البرنامج نخبرهم أن أعظم شاعر في الدنيا هو النبي داود، ونسائلهم: عما إذا كانوا يريدون نسخة من أشعاره؟. ونرسل إلى كل من يطلبها نسخة من المزامير وإنجيلا..».

* «إن اللغة الانجليزية مهمة لكل عربي يرغب في متابعة تعليمه أو يود الهجرة..».

ولقد كتبنا إلى «هيئة الإذاعة البريطانية» - التي لديها سلسلة ممتازة من برامج تعليم اللغة الانجليزية للناطقين بالعربية - ولقد منحتنا السلسلة، وأذنت لنا بتقديمها عبر إذاعتنا، وقد أجرينا بالفعل تعديلات على السلسلة استخدمناها «كطعم».. وفي الختام كنا نتوجه بالسؤال: «عما إذا كان المستمع يرغب في نسخة مجانية من كتاب يحتوي على العربية والانجليزية جنبا إلى جنب؟ وعندئذ نرسل إليه نسخة من الإنجيل بالعربية والانجليزية..»؟!

* «وكنا محظوظين، إذ كان بيننا شيخ مسلم متنصر يعد لنا البرامج، وكان يلقي الموعظة كشيخ مسلم، وبنفس الأسلوب، ولكن المحتوى كان من الإنجيل، وكان برنامجه يقدم دائما يوم الجمعة». ؟!

* «وكنا نستخدم أساسا مصطلحات إسلامية، فمثلا استعملنا «عيسى» بدلا من «اليسوع» أو «المسيح» - وفي عدن أو الجزيرة العربية - حيث عملنا سابقا - كان العرب والصوماليون يسألون: من هو هذا الذي يدعى يسوع؟ وكنا نحاول حينئذ أن ننقلهم من «عيسى» الذي يعرفون إلى «يسوع» الذي يجهلون -».

* «وكانت البرامج الدرامية هي الأولى في قائمتنا. ولكن كان من الصعب الحصول على عدد كاف من الممثلين ليقوموا بأداء الأدوار في هذا المجال، فقد كان لدينا ممثلان عربيان يستطيعان تأدية أدوار الحوار الكوميدي «وكان ذلك من قبيل الطعم»، وقمنا ببعض التسجيلات الدرامية في مدرسة نصرانية، وخاصة في أيام العطلات»؟!..

* «وكانت برامج الرحلات وسيلة مهمة أخرى للوصول إلى آذان المستمعين العرب، وقد قدمنا سلسلة من برنامج «مرحبا بك في قبرص» – لقد سافرنا (أنا وزميلي العربي) إلى جزيرة قبرص وتجولنا فيها ومعنا أجهزة التسجيل التي تخبرنا عن الجزيرة، والتقطنا الأصوات، وكنا خلال ذلك نتحدث عن قصة الرسول بولس وبرنابا. وقدمنا سلسلة أخرى من برنامج «مرحبا بك في لبنان»، وأفضنا الحديث عن المناظر الخلابة والآثار التاريخية فيها، وكانت تلك أنواعا من البرامج التي قدمناها هادفين من ذلك إلى جعل المستمع يكتب إلينا حتى نرسل إليه نسخة من الإنجيل، ونعمل من أجل تسجيله في برنامجنا ودوراتنا بالمراسلة..» [9]؟!..

تلك ألوان من «الطعم» الذي تستخدمه الإذاعات التنصيرية، لتغلف به المضامين النصرانية، ولتجتذب به آذان المستمعين المسلمين!..

إنهم يخططون.. وينفذون.. في دقة وأناة.. بل إنهم لا يتعجلون الحصاد.. وإنما يتحدثون عن أهمية «التراكم» الذي يحدث تفاعلاته قبل أن يأتي موسم «الحصاد».. ذلك – كما يقولون –:

«إنه ما من أحد يمكن أن يأتي إلى المسيح ويتنصر نتيجة لربع أو نصف ساعة من المواعظ التي تحضه على اتخاذ القرار، إن التنصير هو نتيجة لتراكم العديد من التجارب في حياة المرء، يحركها الروح القدس، ولذلك لابد من أن تتم الخطوات الأساسية الثلاث قبل أن يتنصر المرء:

البذر..

والسقي..

والحصاد..

ويتعين علينا فهم هذه الفكرة، وأن تنطلق خططنا منها» [10]؟!

تلك إشارات لدور الاختراق التنصيري عن طريق الإذاعات!..

* * *

وعلى جبهة «الكلمة المقروءة»، وآلياتها نجد نفس التخطيط.. تغليف المضامين النصرانية في «طعم» وشكل عربي وإسلامي، لزرع النصرانية، خلسة، في قلب الإسلام!..

فإلى جانب المجلات التي اقترحوا إصدارها، والتي تركز على المنصرين، لإعدادهم وتأهيلهم وتنمية قدراتهم التنصيرية.. اقترحوا إصدار مجلات موجهة إلى المسلمين، لا تبدو عليها أمارات النصرانية، لا «في الشكل ولا في الأسلوب، ولكنها تدعو المسلمين إلى المسيح على أنه المهدي»؟!.. مجلات «تكون إسلامية في المضمون ونصرانية عن عمد»؟!.. كما دعوا إلى إصدار مجلة تختص بتنصير الطلاب المسلمين في الغرب؟!.. وإلى كتيبات تجمع «المصطلحات والأسماء والمفاهيم الدينية الإسلامية والنصرانية»، التي تمثل آليات «الطعم» والاختراق؟!..

وكما صنعوا في الإذاعات، فأسسوا «رابطة الشرق الأوسط للاتصالات» لتنسق التخطيط والتنفيذ بين الإذاعات.. كذلك دعوا إلى إنشاء «**دار لرصد وتنسيق المقالات والأخبار الجديدة، والتي سوف تتقاسمها عديد من المجلات الملائمة للمسلمين. أي دار واحدة للمناطق الجغرافية في العالم**»؟!.. ولقد ضربوا مثالا على أهمية هذه الدار - دار الرصد والتنسيق للمقالات والأخبار - بتجربة ظهرت في مصر في ذلك التاريخ؟؟!.. كما ضربوا مثالا على المجالات التنصيرية، ذات الشكل البعيد عن التنصير، بمجلة (المجلة) التي تصدرها «مؤسسة إعلام الشرق الأوسط»؟؟!..

أما نصوص البروتوكولات التي تتحدث عن هذا المخطط في ميدان «الكلمة المقروءة»، فإنها تقول:

«علق الدكتور «رالف ونتر» من «مركز الولايات المتحدة للإرسالية

العالمية» – (وهو أحد أصحاب الأبحاث المقدمة للمؤتمر) – مؤخرا: «تقف الكنيسة اليوم متأرجحة على حافة ما يمكن أن يكون أهم تقدم في تاريخها في موضوع الوصول إلى المسلمين الذين لم يتم الوصول إليهم».

وتعليقا على هذه الفقرة كتب القس «دكتور ريموند جويس» السكرتير التنفيذي «لزمالة العقيدة من أجل المسلمين» قائلا: «دعونا نحول هذا «التأرجح» إلى عمل منظم، تدعمه صلاة مركزة»!

وأحد الأساليب لإنجاز ذلك هو التأسيس الفوري لمجلة جديدة عن الإرساليات التنصيرية العاملة وسط المسلمين.. مجلة ملتزمة بالاعتقاد الذي يقول: إن المسلمين يجب أن يواجهوا بمطالب الإيمان النصراني التاريخي، وبدعوة إلى قبول المسيح ربا مقدسا ومخلصا..

«لقد تسلمت في 10 من مارس سنة 1978م خطابا مثيرا من «دكتور هارفي كونت» أستاذ الإرساليات التنصيرية في «معهد وست منستر اللاهوتي» في فلادلفيا، وفي إجابته عن سؤالي: فيما إذا كان يرى حاجة أولا لإصدار مجلة عن الإرساليات التنصيرية الخاصة بالمسلمين؟ كتب يقول: «وبعد أن فكرت مرة أخرى، فإنني رأيت أيضا أن الحاجة إلى مجلتين هو أيضا أمر ملح، هاتان المجلتان سوف تختلفان في التركيز:

* فالأولى تركز على المنصرين، وتحث على أنماط جديدة وفعالة لتنصير المسلمين.

* وتستهدف الثانية المسلمين أنفسهم، بحيث تكون الأساس الإعلامي لحركة «المسلمين من أجل يسوع». أي واحدة – (مجلة) – تعمل خارج الثقافة الإسلامية، والثانية تعمل داخلها.

وفي الحقيقة، كلما فكرت في الاحتمال الثاني تزداد حماستي.

* وماذا – بدلا من مجلة – عن دار لرصد وتنسيق المقالات والأخبار

الجديدة، والتي سوف تتقاسمها عديد من المجلات الملائمة للمسلمين؟ أي دار واحدة للمناطق الجغرافية العديدة في العالم؟.

* لقد سمعت هذا الأسبوع من «هوراس ولیامز» - الذي يعمل في «الحملة الصليبية لتنصير العالم» - أن شيئا من هذا النوع قد بدأ يظهر في مصر (برغم أنه من نوع أكثر شعبية).

لماذا لا تكون هناك مجلة للباكستان، ولأمريكا الشمالية، ولإفريقيا، ولجنوب الصحراء العربية، وللهند، ولإندونيسيا، وللفلبين؟.. إلخ.. لماذا لا نرى في جميع أنحاء العالم مجلات وجرائد تنشأ، لا يبدو عليها أنها نصرانية في الشكل أو الأسلوب، ولكنها تدعو المسلمين إلى المسيح على أنه المهدي؟.. مجلات موجهة نحو حركة «المسلمين من أجل يسوع»، أو «المسلمين المهتمين»، أو «مسلمي المهدي»، أي أولئك الذين هم من نسل إبراهيم، والذين يرون في يسوع «الابن الأعظم والأكبر لأسرتهم»؟!..

إن اللغة الانجليزية هي اللغة النصرانية الرئيسة على وجه الأرض اليوم.. وهذا يضع مسؤولية فريدة على الإنجيليين لتأسيس:

* مجلة متخصصة لتنصير مسلمي العالم..

* كما أن الوقت مناسب لمجلة جديدة من نوع ما للمسلمين، وخاصة للطلاب المسلمين في الغرب..

إن كل ما رأيته موجود حاليا - (من المجلات) - ملائم في الغالب للجمهور النصراني، ولا يتلاءم ثقافيا مع الإسلام.. والمطلوب مجلات تكون متكيفة مع الظروف المحلية، وتكون إسلامية في المضمون، ونصرانية عن عمد؟! [11]».

«ويجب أن نذكر مجلة (المجلة) التي تصدرها مؤسسة إعلام الشرق الأوسط، التي تصدر باللغة العربية، والتي تنتهج أسلوبا محافظا، وتجد رواجا شديدا في عدد من الأقطار العربية، وهي تتطلب دعما ماليا كبيرا، وتمثل نوعا من التقدم في هذا الوسط الإعلامي المهم.

*** كما أن الحاجة ملحة لكتيب يقارن بين المصطلحات والأسماء والمفاهيم الدينية الإسلامية والنصرانية»!**

«كما يجب القيام بمجهودات أكثر للنفاذ إلى الأسواق العلمانية.. كما فعلت مجلة «المجلة».. »[12]؟!

تلك هي ملامح آليات الاختراق التنصيري بالكلمة المقروءة، التي تتوسل إلى التسلل بطعم عربي إسلامي بعينها على اقتلاع الإسلام وتنصير المسلمين.. كما سطرتها بروتوكولات قساوسة التنصير؟!..

* * *

وكما رأينا، في صنيع الإذاعات التنصيرية، فإن قساوسة التنصير كانوا يقحمون الإنجيل على المستمعين إقحاما يستخدمون لتحقيقه الخبث والدهاء..

.. يعرضون على من يريد تعلم الإنجليزية «كتابا» فيه الإنجليزية والعربية.. فإن طلب أرسلوا له «الإنجيل»!.. ويعرضون على المعجبين بالشعر العربي «أشعار» «أول شاعر في الدنيا؟!».. فإن طلب أرسلوا إليه «المزامير» ومعها «الإنجيل»؟!...

... وإذا أذاعوا برنامجا «سياحيا»، فإن «الإنجيل» هو «المادة» التي يقحمونها في البرنامج «السياحي»؟!.وإذا جاءوا بـ «طعم»، في صورة «منشد» يرتل النصوص على الطريقة الإسلامية، كانت نصوص «الإنجيل» هي مادة «الإنشاد»؟!..

ذلك أن الإنجيل هو «الزرع» الذي يريدون إقحامه في الأرض الإسلامية بدلا من القرآن والإسلام الذي خططوا لاقتلاعه منها!..

ولذلك كان طبيعيا أن يهتم قساوسة التنصير في مخططهم هذا بترجمة الإنجيل إلى مختلف اللغات الإسلامية، علاوة على ما له فيها - وخاصة العربية - من ترجمات عديدة وقديمة..

ولنقرأ نص كلماتهم في هذا المقام:

*** «في إندونيسيا اليوم أكثر من 50 مشروعا لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين الرئيسة فيها؟!..»**

* «وفي جنوب الفليبين أكملت ترجمة العهد الجديد مؤخرا إلى اللغة السويانينية؟!..»

* «وفي بنغلاديش، حيث يتحدث 80 مليون نسمة اللغة البنغالية، هناك مشروعان لترجمة الإنجيل؟!..»

* «وفي الهند، حيث يؤلف المسلمون 10٪ من السكان، فإن مشروع الترجمة الرئيس للإنجيل هو إلى الأردية؟!..»

* «وفي الفترة ما بين عام 1967م وعام 1977م – أي في عشر سنوات – كانت هناك طبعات أولى في نحو 250 لغة من لغات العالم» ترجم إليها الإنجيل ترجمات جديدة؟!..

* وحتى بالنسبة إلى الأميين، الذين لا يقرؤون.. «ففي المناطق التي تكون فيها معرفة القراءة والكتابة محدودة، لقد أعدت ترجمات على «أشرطة كاسيت»، مصحوبة في بعض الأحيان بموسيقا محلية؟!..» (13).

هكذا أمطر المنصرون الأمة الإسلامية بترجمات الإنجيل إلى كل اللغات.. أما الطباعة الجيدة في الإخراج، والمتعددة في الأحجام، وكذلك الإسراف في التوزيع – بل وفي الإقحام – فحدث عنه بلا حرج ولا حدود؟!.

* * *

ولقد كان طبيعيا أمام هذا «الحلم – المجنون» في اقتلاع الإسلام من جذوره، وطي صفحته من الوجود، بتنصير كل المسلمين.. أن يخطط قساوسة التنصير لتكوين وتدريب «الكوادر» القادرة على إقامة المؤسسات التي تنهض بتحقيق هذا «الحلم – المجنون»!..

وعلاوة على جيوش المنصرين وإرساليات التنصير، التي أمطروا بها عالم الإسلام فيما سبق من عقود.. فلقد تحدثوا عن المشاريع المستقبلية – والتي بدأ تنفيذها فور انفضاض مؤتمر «كولورادو» – لتنمية وتكوين «كوادر» التنصير..

ففي «تقرير المؤتمر» يقولون: «من المؤكد أنه ستوجد حاجة في الأيام المقبلة إلى «كادر» متزايد من النصارى المهتمين كي يعملوا على إتمام تنصير العالم الإسلامي»(14)!

وفي بحث آخر - مخصص للحديث عن التدريب - حديث عن «مواصفات» هذا «الكادر» يقولون فيه:

«يجب تكوين مجموعات صغيرة من المتخصصين، من الرجال والنساء، من بقاع مختلفة، من الشرق والغرب، حيث يقومون. بدراسة عقيدتهم بعمق. إضافة إلى دراستهم الإسلام واللغة العربية. والذين لديهم خبرة في تنصير المسلمين. وموهبة لتعليم الآخرين كيفية مشاركة المسلمين في العقيدة النصرانية.

إن مثل هؤلاء الناس، يفضل أن يكونوا قد تخصصوا في الدراسات الإسلامية حتى مستوى الدكتوراه.

*** ويقوم بعضهم بإجراء بحوث عليا متقدمة في نفس المجال. بينما يقضي آخرون وقتا أطول في التدريس ويمكن تدريب هؤلاء المتخصصين باستعمال الجامعات العلمانية والنصرانية ومراكز البحوث الإسلامية والنصرانية، ومن خلال دراسات ميدانية»؟!**

فكل الإمكانات - الدينية والمدنية.. النصرانية والعلمانية - في الجامعات ومراكز البحوث - وفي التدريب الميداني - عليها أن تكون وتدرب أصحاب هذه المواصفات، وبالأعداد التي تزرع أرض الإسلام بهم - في «البقاع المختلفة.. من الشرق والغرب» -كما يقولون -!

كذلك تحدث نفس البحث عن «استراتيجية عالمية لبرامج تدريبية» تغطي المناطق المختلفة للعالم الإسلامي، ليقيموا فيها شبكة من المنصرين المدربين، تتمثل في:

*** «قاعدة واحدة على الأقل في كل منطقة رئيسة تابعة للعالم الإسلامي..**

*** ودورات موسعة في أجزاء مختلفة في كل منطقة رئيسة..**

*** وموظفي قاعدة: في الدرجة الأولى في منطقة رئيسة واحدة..**

*** وموظفين مساعدين: يتم تبادلهم، ويكونون متجولين بين القارات، ويتم تجديد خبراتهم في العالم الإسلامي»؟!..**

ولقد حدد هذا المخطط للتدريب إعداد:

* **ألف منصر مدرب تدريبا متخصصا للعمل في العالم الإسلامي..**

* **9.000 مدني يدربون تدريبا متخصصا للعمل في العالم الإسلامي..**

* **وتطوير برامج لتدريب كل النصارى في الأراضي الإسلامية** (15)؟؟!!!

فلم يقف الأمر عند حدود تدريب المنصرين – دينيين ومدنيين – من أبناء الغرب – العاملين في إرساليات التنصير والعاملين في الوظائف المدنية ببلاد الإسلام – وإنما خططوا لتطوير برامج لتدريب كل النصارى في الأراضي الإسلامية، للعمل معا – وبالاعتماد المتبادل – لتنصير كل المسلمين!..

* * *

وأمام ضخامة وانتشار هذا «الجيش» التنصيري، الذي تغطي إرسالياته ومجموعاته وجامعاته ومراكز أبحاثه وموارد تمويله العالم بأسره، مركزة على أمة الإسلام وعالمه، في أوطانها وفي مهاجرها، خطط «المؤتمرون – المتآمرون» في «كولورادو» لإنشاء قيادة لجيش التنصير هذا، أرادوها أن تكون – حسب تعبيرهم – «مركز الأعصاب» لكل العاملين على تنصير المسلمين.. وما إن انفض المؤتمر حتى أقاموا هذا المركز – في جنوب كاليفورنيا – **تعبيرا عن الدور القائد لأمريكا في هذه الحرب الدينية؟!..** مطلقين عليه اسم أشهر المنصرين وأخطرهم في العصر الحديث «صموئيل زويمر»؟! ولقد اختاروا واحدا من أكثر المنصرين المؤتمرين حماسا – «دون ماكري» – مديرا لهذا المركز – الذي أطلقوا عليه اسم: «معهد صموئيل زويمر»!..

وعن إنشاء هذا «المعهد – القائد»، ودوره في تنفيذ بروتوكولات قساوسة مؤتمر «كولورادو»، يقول الرجل الذي تولى إدارته – «دون ماكري» –:

«إنه في أعقاب المؤتمر، وبناء على التوصيات التي قدمتها قوى العمل، تم تكوين لجنة توجيهية في جنوب كاليفورنيا، أوكل إليها مهمة إنشاء مركز للأبحاث، يكون بمثابة «مركز الأعصاب»، وتكون مهمته إعداد الأبحاث وتدريب العاملين في صفوف المسلمين، وبصورة عامة:

تعزيز. قضية تنصير المسلمين. وقد انبثقت لجنة تنفيذية عن اللجنة التوجيهية، وكذلك مجلس إدارة للمركز - «معهد صموئيل زويمر» - وسوف يتولى هذا المعهد تنفيذ معظم الأفكار والمقترحات التي طرحت في المؤتمر..» (16)!

أما «تقرير المؤتمر»، فإنه فصل في مهام هذا «المركز العصبي» للتنصير - «معهد صموئيل زويمر» -.. فقال: إنه سترتبط به مراكز إقليمية يكوِّنها في سائر الأجزاء الرئيسة في العالم الإسلامي.. وإن الإدارة في كل مركز إقليمي ستكون لعالم منصر ذي خبرة واسعة، على أن يساعده باحثون خبراء، يمثلون مختلف التقاليد الكنسية، مع خبراء في علم الأجناس البشرية، والشؤون والدراسات الإسلامية..

كما سيقوم المعهد بتجنيد المستشارين الذين يزورون كنائس العالم ويجمعون المعلومات عن المسلمين!.. وسيكون له «إرشيف» يحوي مكتبة غنية بالمعلومات وسبل الاتصال!..

وسيصدر نشرة لإيصال المعلومات إلى مراكز التنصير في جميع أنحاء العالم الإسلامي!.. وسيشجع جميع المدارس والجامعات ومراكز البحث في أمريكا من أجل زيادة دراساتها التي تخدم مقاصد تنصير المسلمين..

بل وسيقيم «معهد صموئيل زويمر» هذا «اتحادا» عالميا لجميع المراكز والمعاهد، لتنسيق المعلومات التي لها علاقة بتنصير المسلمين!.. تلك بعض من مهام هذا الجهاز القائد للعمل التنصيري.. كما أفصح عنها «تقرير المؤتمر» الذي قال:

«إدراكا منا للحاجة إلى تطوير اتصال حيوي مستمر متبادل بين أولئك العاملين في مجال تنصير المسلمين، نقترح تكوين مركز رئيس للمواد والأبحاث في الولايات المتحدة. يتبعه بعد زمن - وكلما دعت الحاجة -:

* تكوين مراكز إقليمية في جميع الأجزاء الرئيسة في العالم الإسلامي.

* وأن يتم تنظيم وإدارة هذه المراكز من قبل عالم منصر ذي خبرة واسعة، يسانده في مهمته باحثون من مختلف التقاليد الكنسية، وممن لهم خبرة في علم الأجناس البشرية، والشؤون والدراسات الإسلامية.

* وأن يقوم هذا المركز، أيضا بتجنيد العديد من المستشارين الذين يمكنهم

زيارة الكنائس، وتقديم الخدمة إليها، وجمع كمية من المعلومات حول مواقع وطبيعة وحجم المجتمعات الإسلامية كافة ، إضافة إلى خواصها النفسية والسكانية.

* كما يجب أن يتضمن إرشيف المركز مكتبة غنية تحتوي على جميع أنواع المعلومات وسبل الاتصال.

* وإدراكا للحاجة إلى مجموعة من المعلومات عن الشعوب الإسلامية التي لم يتم الوصول إليها، نقترح أن يؤسس هذا المركز اتحادا يقوم بتنسيق المعلومات التي لها صلة بالموضوع. وعلى مدير المركز أن يرخص بإقامة ارتباط مع سائر مراكز الأبحاث الرئيسة في أرجاء العالم لتطوير علاقة عمل مع الإرساليات العاملة في صفوف المسلمين ولجمع المعلومات التي تخص موضوع التنصير من مؤسسات الأبحاث والمعاهد الثقافية التي تقوم حاليا بإعداد الأبحاث المتعلقة بالإرساليات.

* وإضافة إلى ذلك، يقوم هذا المركز بإصدار نشرة إخبارية شهرية لإيصال المعلومات إلى الكنائس والإرساليات العاملة في أرجاء العالم الإسلامي.

* ويشجع كل المدارس في أمريكا الشمالية، والتي تتخصص بالتدريب اللاهوتي والتنصيري، من أجل تعزيز وتقوية ما تقدمه في مجال الدراسات الإسلامية ولتهيئة المناهج والكتب المناسبة لدورات أساسية عن الإرساليات التنصيرية إلى المسلمين.

* وأن يشجع المركز تطوير نشاطات لإعداد أبحاث موسعة ضمن المواقع الاستراتيجية في العالم الإسلامي بهدف تطوير الطرق والموارد الملائمة، إضافة إلى كتب توجيهية للتدريس:

1- لغير المتعلمين: تمكن الشاعر والمغني أو المرتل من إيصال الكتاب المقدس للتعليم والقراءة!..

2- للنساء والأطفال: تدرس أدوارهم ومستوياتهم في المجتمعات الإسلامية، وتحترم تقاليدهم فيما يخص الحشمة، والفصل بين الجنسين حيثما وجد ذلك، وأن توفر نشاطات منزلية ذات أهداف بعيدة، وتقر بسلطة الرجال، بكونهم يترأسون بيوتهم، من خلال السعي لتنصير عوائل كاملة، وأن تقدم إليهن، بطريقة أكثر بهجة، البديل النصراني للتأثير الشيطاني الذي يهاجم النساء، وخاصة في المجتمعات الإسلامية» (17)؟؟! فهو ليس فقط «مركز الأعصاب» لجيش التنصير، وإنما هي شبكة من المراكز القائدة والمنظمة والمتابعة والمطورة لكل مخططات هذه الحرب الشرسة والخبيثة واللاأخلاقية التي أعلنها قساوسة التنصير على الإسلام والمسلمين!..

* * *

وإذا كان الحديث المفصل عن مؤسسات التنصير يحتاج إلى دراسة متخصصة، قد تصل صفحاتها إلى مجلد ضخم - وهو ما لا يدخل في مقاصد هذه الدراسة - فإننا نكتفي هنا بإشارات إلى بعض الأرقام، المستقاة - في أغلبها - عن **«النشرة الدولية للبحوث الإرسالية النصرانية عن التنصير وأنشطته في العالم»** لسنة 1991م.. ففي هذه الإشارات - وأرقامها - مؤشرات على حجم الأجهزة التنصيرية، التي يقودها «معهد زويمر»، كجيش جرار يشن حربا ضروسا ولا أخلاقية ضد الإسلام وأمته وعالمه..

* إن عدد مؤسسات التنصير وإرسالياته ووكالات الخدمات النصرانية يبلغ 120.880 مؤسسة.

* والمعاهد التي تؤهل المنصرين وتدربهم يبلغ عددها 99.200 معهد.

* والمنصرون المحترفون العاملون على رأس العمل التنصيري يبلغ تعدادهم 4.208.250 منصرا..

* وفي مؤسسات التنصير هذه 82.000.000 من أجهزة الكمبيوتر.

* وعدد المجلات التي تصدرها المؤسسات التنصيرية يبلغ 24.900 مجلة.

* وعدد الكتب التي أصدرتها هذه المؤسسات في عام واحد 88.610 كتب.

* ومحطات الإذاعة والتلفاز التي تبث التنصير يبلغ عددها 2.340 محطة..

* ونسخ الأناجيل التي وزعتها، مجانا، في عام واحد، هي 53.000.000 نسخة.

* والمدارس ورياض الأطفال التي تشرف عليها كنائس التنصير تبلغ في العدد 10.677 مدرسة..

* والطلاب الذين يدرسون في هذه المدارس الكنسية يبلغ عددهم 9.000.000 طالب.

* والمستشفيات التي تملكها هذه الكنائس يبلغ عددها 10.600 مستشفى.

* ودور إيواء العجزة والأرامل والأيتام التابعة لها هي 680 دارا..

* وعدد الصيدليات المملوكة لها هو 10.050 صيدلية..

* وميزانية خدمة المشاريع النصرانية تبلغ 163 مليارا من الدولارات..

* ودخل الكنائس العاملة في التنصير هو 9320 مليارا من الدولارات..

* ودخل الإرساليات الأجنبية هو 8900 مليار من الدولارات..

* ولقد بلغت التبرعات التي قدمت للكنيسة في سنة واحدة – هي سنة 1990م – 157 مليونا من الدولارات..

* ولقد خص إفريقيا وحدها من هذه المؤسسات التنصيرية:

14.000 منصر و 16.000 معهد للتنصير و 500 مدرسة لاهوتية و 600 مستشفى![18].. تلك إشارات لبعض الأرقام التي تجسد الحجم المهول لمؤسسات جيش التنصير، الذي يقوم بتنفيذ بروتوكولات قساوسة التنصير، تلك التي اتفقوا عليها في مؤتمر «كولورادو» في مايو سنة 1978م.. والتي عرضنا ملامحها البشعة في فصول هذا الكتاب!

الهوامش

(1) المصدر السابق: الحاجة إلى مركز للقيادة في أمريكا الشمالية - لـ «رالف دي ونتر» - ص 752.

(2) هذه حقائق مذهلة ومفاجئة للكثيرين - ولعلها تثير اهتمام باحث ليصل إلى أبعادها ودلالاتها؟!..

(3) افتتحت في 3 من ديسمبر سنة 1866م باسم «الكلية السورية الإنجيلية».

(4) تأسست بالقاهرة سنة 1920 م باسم «مدرسة لنكولن للدراسات الشرقية». انظر: (تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر) ص 196.

(5) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي - نظرة شاملة على إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين - لـ «جورج بيترز» - ص 594،588.

(6) المصدر السابق: الوضع الحالي للمطبوعات ووسائل الإعلام الأخرى الموجهة للمسلمين - لـ «ريموند جويس» - ص 519.

(7) المصدر السابق: الإرسال الإذاعي الحالي الموجه إلى المسلمين - لـ «فريد د. أكورود» - ص 563، 564، 570، 571.

(8) المصدر السابق: مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية في شمال إفريقيا - لـ «كريكوري، م، لفنسكنون» - ص 380.

(9) المصدر السابق: الإرسال الإذاعي الحالي الموجه إلى المسلمين - لـ «فريد د، أكورود» - ص 577 - 579.

(10) المصدر السابق: الإرسال الإذاعي الحالي الموجه إلى المسلمين - لـ «فريد د، أكورود» - ص 570.

(11) المصدر السابق: الحاجة إلى مجلة جديدة خاصة بالإرساليات التنصيرية الموجهة نحو المسلمين - لـ «س. جورج فراي» - ص 809، 811 - 817،813.

(12) المصدر السابق: الوضع الحالي للمطبوعات ووسائل الإعلام الأخرى الموجهة للمسلمين - لـ «ريموند جويس» - ص 535،534،526.

(13) المصدر السابق: الوضع الراهن لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين - لـ «وليام

د. رايبرن» – ص 550،544،543.

(14) المصدر السابق: تقرير المؤتمر – لـ «آرثر. ف. كلاسر» – ص 66.

(15) المصدر السابق: مستويات وأشكال ومواقع البرامج التدريبية – لـ «فيفيان سيتسي» – ص 664، 665، 673.

(16) المصدر السابق: حان الوقت لمنطلقات جديدة – لـ «دون ماكري» – ص 18 – وانظر كذلك «مقدمة» أبحاث المؤتمر ص 2.

(17) المصدر السابق: تقرير المؤتمر – لـ «آرثر. ف. كلاسر» – ص 68،66.

(18) انظر – علاوة على صفحات 790– 793، 796–799 من المصدر السابق – مجلة (اليمامة) – السعودية – ص 16،15 – العدد 1165 – في 20 من محرم سنة 1412 هـ 31 من يوليو سنة 1991 م – وصحيفة (الاتحاد) – أبو ظبي – مقال الأستاذ يوسف الخاطر، عن «الأبعاد الحقيقية للأدوار السرية لمجمع الكنائس العالمي» العدد 6276 – في 2 من جمادى الآخرة سنة 1412 هـ 8 من ديسمبر سنة 1991م – وهو ينقل الأرقام عن «النشرة الدولية للبحوث الإرسالية النصرانية عن التنصير وأنشطته في العالم لسنة 1991م» –. ومجلة (المسلمون) – السعودية – مقال الشيخ محمد الغزالي (الحق المر) في 12 من ربيع أول سنة 1412هـ 20 من سبتمبر سنة 1991م.

الفصل الحادي عشر

أما بعد؟!

(فليكن هذا الكتاب ورقة عمل لندوة فكرية، يشارك فيها نخبة من علماء الأمة.. تعد لمؤتمر إسلامي:

- يدرس الواقع على جبهة التنصير..
- ويحصن الذات الإسلامية ضد الاختراق..
- وينقل المواجهة إلى قلب أعداء الإسلام؟!..)

المؤلف

والآن..

وأما بعد أن وضح هذا المخطط التنصيري، الذي يقاتل أهله، على الجبهة الدينية، ضمن كتائب جيش الحضارة الغربية، التي وزعت الأدوار فيما بينها، وغطت ثغرات المواجهة مع الإسلام وأمته وعالمه...

فماذا نحن صانعون؟؟...

لقد رأينا، عبر فصول هذا الكتاب - ومن خلال نصوصهم وشهاداتهم، التي تعمدنا إيرادها، حتى وإن طالت.. حتى لا يظن ظان أننا نبالغ في القول، أو نتجاوز في الاستنتاج.. لقد رأينا الغرب - بكل دوائره الفكرية - يعلن أن العدو لحضارته، بعد انهيار الشيوعية - الخطر الأحمر - هو الإسلام - الخطر الأخضر - لأن الحضارة الإسلامية، المستعصية على العلمانية، هي التحدي الوحيد لهيمنة الحضارة الغربية على العالمين؟!..

ورأينا - على جبهة النصرانية الغربية - كيف أزعجت الصحوة الإسلامية هذه النصرانية، فهبت إلي مؤتمر «كولورادو» تخطط لتنصير كل المسلمين، قبل أن تسد النهضة الإسلامية أمام التنصير والاحتواء ثغرات الاختراق؟!

وكيف انتقدوا واقع التنصير وتاريخه، الذي أوصلهم إلى طريق مسدود.. فقرروا - في بروتوكولاتهم - مخططا جديدا.. لاختراق الإسلام من خلال مصطلحاته، التي أرادوا صب المضامين النصرانية في أوعيتها؟!.. واختراق الثقافة الإسلامية، لفك ارتباطها بالإسلام، وتنصير المسلمين تحت ظلال أشكالها وأنماطها؟!.. والاستعانة بالكنائس الوطنية والمحلية في ديار الإسلام، لتنصير المسلمين بالاعتماد المتبادل معها؟!.. واستخدام العمالة المدنية الأجنبية العاملة في البلاد

الإسلامية، في تنصير المسلمين، رفعا لطاقات إرساليات التنصير إلى ما هو أكبر من ضعف طاقاتها؟!.. واختراق عقائد المسلمين واختطافهم من دينهم بسبب الكوارث المادية التي هم صانعوها أو حارسوها، وفي كل الحالات مستغلوها لتنصير المسلمين؟!.. والتركيز – في التنصير – على المرأة، والأسرة، والطلاب، وزرع واستنبات النصرانية بين أبنائنا المغتربين، تمهيدا لإعادة غرسهم ثانية في بلاد الإسلام !! وأخيرا رأينا أساليب وآليات ومؤسسات جيش التنصير للمسلمين، القائم على تحقيق بروتوكولات اقتلاع الإسلام من جذوره وطي صفحته من الوجود؟!..

لقد رأينا، عبر فصول هذا الكتاب، معالم هذا المخطط، كما رسمه قساوسة التنصير، في مؤتمر «كولورادو» سنة 1978 م..

والآن...

فإننا أمام اختيار لواحد من مواقف ثلاثة:

الأول: موقف «التهوين» من هذا الخطر ... اعتمادا على الحقيقة الثابتة والخالدة، المتمثلة في أن الله – سبحانه وتعالى – قد تعهد بحفظ هذا الدين: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ*) [1]، (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ *)[2]، (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ* لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ*)[3].

لكن التهوين من هذا الخطر، اعتمادا على هذه الحقيقة الثابتة والخالدة، ينسى أصحابه ويتناسون الفارق بين «حفظ الله لدينه» – وهو ماتعهد به، سبحانه، وبين «إقامة هذا الدين»، ليتحول من «وحي – محفوظ» إلى واقع متجسد في الحياة له السيادة والظهور على شرائع الضلال والانحراف.. وتلك هي

مسؤولية المسلمين، الذين يقيمون الدين، وفق سنن الله - سبحانه وتعالى - التي لا تتخلف، إن في التقدم أو التراجع، إن في تحقيق الانتصارات أو الانكسارات؟!..

فالله هو الذي شرع الدين.. وتعهد بحفظ وحيه.. لكن إقامة هذا الدين هي مهمة المتدينين به.. (**شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحاً وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ...**)[4]. وفي الصراع بين الحق الإسلامي والضلال والكفر، على هذه الجبهة، جبهة إقامة دين الإسلام، لله سنن في الاجتماع الديني، ليس لها تحويل ولا تبديل: (**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِۦ وَلاَ يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً***)[5]..

وإن تاريخ الصراع بين حق الإسلام وبين باطل الكفر، على مر تاريخ الإسلام، وفي كل بقاع عالم أمته - مدا وجزرا - لشاهد على ضرورة التمييز بين «حفظ الله الوحي».. وبين «موقفنا نحن المسلمين وعملنا لإقامة هذا الوحي دينا له السيادة والهيمنة والشهود على العالمين» !..

هذا عن موقف «التهوين» من خطر المخطط المرسوم لتنصير كل المسلمين !..

والموقف الثاني: هو موقف «التهويل» من خطر هذا المخطط، إلى الحد الذي يزعجنا عن التفكر والتدبر، ويسلمنا إلى اليأس والقنوط !..

صحيح أننا أمة نمر، حضاريا، بمرحلة الاستضعاف.. وأن تقدمنا المادي.. وتشرذمنا.. ومظالمنا.. وتبعيتنا للآخرين، هي ثغرات قاتلة في كيان أمتنا الإسلامية - ولو ذهب الإنسان ليعدد أمراض تخلفنا الموروث وكوارث الاستلاب الحضاري الذي فرضه علينا الغرب - على امتداد قرنين من الزمان - لبدت الصورة سوداء، تبعث على اليأس والقنوط.. فإذا ما أضيف إليها هذا المخطط التنصيري بدت مخاطر «التهويل»، الذي قد يفضي إلى الاستسلام؟!..

وأمام هذا الموقف «التهويلي»، علينا أن نتذكر:

ا- أن هذا المخطط، الذي يشبه في مطامحه - بل ومطامعه - «حلما

– مجنونا» – إنما تصاعد بأحلام المنصرين التاريخية القديمة، كي يعاجل «الصحوة الإسلامية» – التي هي أعظم ظواهر عالمنا الإسلامي المعاصر قبل أن تسد هذه الصحوة، بالنهضة الحضارية الإسلامية، على أعدائنا ثغرات الاختراق وسبل الاحتواء إلى الأبد !.. بل وخوفا من أن تنقل هذه الصحوة معركة التدافع الحضاري إلى قلب الغرب الذي تعاني حضارته – باعتراف أهله – من «اللاأدرية وفتور الهمة واللامبالاة – وهي آفات من شأنها أن تؤدي إلى هلاك تلك المجتمعات ماديا، فضلا عن هلاكها المعنوي» [6]؟!

فهم يألمون كما نألم.. بل وأكثر مما نألم؟!.. لأننا بإزاء صحوة.. وهم يخططون لمعاجلتها.. نفيا لنا، حتى لا يطوي الحق صفحة الباطل الذي ينصرون؟!..

ب – أن القاسم المشترك بين قسمات هذا المخطط، الذي جسدته بروتوكولات قساوسة التنصير، في مؤتمر «كولورادو»، هو «الهرب» من حقيقة الإسلام.. ورسم الطرق والمسارب للالتفاف حوله، لاختراقه، باسمه وتحت مظلته !..

وهذه الحقيقة تعلمنا عظمة ومنعة وحصانة الإسلام.. وتهافت وضعف وبؤس النصرانية التي يريدون إحلالها محل هذا الإسلام العظيم !..

فقط علينا أن نعي قيمة النعمة التي أنعم الله علينا بها، عندما هدانا إلى الإسلام.. وأن نحسن استخدام هذا الكنز العظيم، ونستنير بنوره في مواجهة الضلال والظلام.. (...وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ* بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ*) [7] !

فمع وعينا بما يمثله الإسلام، لا مجال لليأس ولا للقنوط.. وصدق الله العظيم: (...إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ*) [8] (...وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ*) [9]...

جـ – أننا نكتب هذه الدراسة – التي تفضح هذا المخطط – بعد خمسة عشر عاما من اعتماده سنة 1978م.. وإذا كنا نفتقر إلى «شهادة الواقع» على مدى النجاح أو الإخفاق الذي حققه هذا المخطط على أرض واقعنا الإسلامي. فإن كل الشواهد، وإن استبعدت موقف «التهوين»، فإنها تستبعد، أيضا، موقف «التهويل»؟!..

أما الموقف الثالث: - الذي نختاره ونحبذه وندعو إليه - فهو الذي لا يستهين بمخاطر هذا المخطط التنصيري، ولكن دونما «تهوين» يوقعنا في الغفلة عن الخطر - وهو حقيقي.. بلَ ورهيب ! - وأيضا دونما «تهويل» يوقعنا في اليأس والقنوط.. فكلا «التهوين» و «التهويل» سيقودان خطانا إلى الوقوع فريسة لهذا المخطط الذي رسمته هذه البروتوكولات؟!..

*** إن قساوسة التنصير، في حديثهم عن الانتصارات وعن الحصاد الذي حققوه في تنصير المسلمين.. يتحدثون كثيرا حديث اليائس الذي يكابر؟!.. كما يتحدثون أحيانا حديث الفاتح الذي تغريه الانتصارات؟!..**

فعن «حصادهم» في شمال إفريقيا يقولون: إنهم لم يلتقطوا سوى النفايات.. فأكثر الذين وقعوا في حبائل التنصير «مراهقون غير متزوجين»؟!.. و «فتيات» باحثات عن أزواج؟!.. و «نساء مسنات» باحثات عن الخلاص من العين الشريرة والعفاريت؟!.. ومجموعة من المحبطين «الذين يشتكون من الإهمال، وكثير منهم يأملون في أن يقوم المنصر بترتيب أمورهم، حتى يتمكنوا من الدراسة في الخارج، أو يساعدهم ماديا»[10]؟!

ذلك هو قدر «الحصاد» في شمال إفريقيا.. وتلك هي قيمته !..

لكن علينا أن نتعلم أن السبب في هذا الفشل التنصيري هو صعوبة الاختراق، لعدم وجود الكنائس المحلية؟!.. ونظر الناس إلى النصرانية كمرادف للاستعمار الغربي، بسبب التجربة الاستعمارية الفرنسية المأساوية في تلك البلاد؟!..

فتحصين الذات والموقع.. واكتشاف الأبعاد الحضارية والاستعمارية للتنصير: معركة مقدسة لابد لنا من حمل تبعاتها، وخوضها.. دونما تهوين من الخطر أو تهويل له !..

*** أما عندما كان حديث قساوسة التنصير عن «الحصاد» في البلاد الإسلامية التي يختلط الإسلام - لدى طوائف من أهلها - بالمواريث الوثنية والتصورات غير الإسلامية.. والتي يفتك الفقر والعوز والحاجة بأبنائها.. فإن حديث القساوسة عن هذا «الحصاد» يمتلىء بالزهو والاستبشار؟!.. ونسمع هذه النغمات أيضا، في الحديث عن البلاد التي**

فتحت فيها ثغرات كثيرة للاختراق؟!..

في منطقة الخليج العربي... بفعل التبعية.. والعمالة الأجنبية... وفي الهند وباكستان وبنجلاديش وإندونيسيا.. حيث الفقر.. والاختراق.. والمواريث غير الإسلامية، التي جعلت جمهورا من الناس ضحايا للتنصير، لأنهم - بسبب المواريث غير الإسلامية - كانوا «مسلمين بالاسم فقط»؟!.. فقادهم الفقر.. وقادتهم التبعية، دون عناء كبير، إلى مصيدة التنصير؟!.. وفي الصومال.. حيث المجاعات.. والحروب.. قد مكنت المنصرين من ربط «الحفاظ على الحياة» بالكفر بالإسلام؟! (11)..

وهذا درس - هو الآخر - يضع يدنا على ثغرات الضعف والاختراق.. وعلى سبل المناعة والتحصين.. فنقف الموقف المتوازن.. دونما «تهوين» أو «تهويل»؟!..

* * *

إننا أمام خطر حقيقي.. ومخطط خطير وخبيث.. يستهدف أغلى ما نملك - إسلامنا -.. ويستهدف وجودنا الذي يتمحور حول الإسلام؟!..

وهو خطر قديم، قدم الإسلام.. لكنه قد بلغ، في مؤتمر «كولورادو»، مستوى لم يبلغه عبر التاريخ الطويل لصراء ا مع الغرب الحضاري، وصراع إسلامنا مع النصرانية.. وإذا كانت يقظتنا الإسلامية المعاصرة هي أمضى أسلحتنا في مقاومة هذا الخطر.. بل وفي نقل المعركة إلى قلب الغرب ذاته !.. فإن الثغرات التي فتحها الغرب في جدار المقاومة الإسلامية - من الفكر العلماني والمادي.. إلى تغريب النصرانية الشرقية، وإغراء كنائسها لتكون أوكارا للتنصير.. إلى التبعية السياسية والاقتصادية والعسكرية.. إلى الكيان الصهيوني - الذي يتخذ له الآن موقعا في مقاومة الإسلام بعد انهيار الشيوعية.. إلخ.. - إن هذه الثغرات التي فتحها الغرب في جدار المقاومة الإسلامية، هي أخطر نقاط الضعف في هذه المواجهة التي فرضها علينا المنصرون.. وإذا كانت يقظتنا الإسلامية هي مصدر قوتنا.. فإنها، أيضا، هي

السبيل لسد ثغرات الاختراق؟!..

* * *

لكن هذه الحقيقة.. بقدر ما هي مفتاح انتصارنا على هذا المخطط التنصيري.. بقدر ما ستظل مجرد كلمات وحبر على ورق، إذا لم توضع على أرض الواقع «حياة» متجسدة في «عمل» من خلال «المؤسسات» التي تفل حديد بروتوكولات قساوسة التنصير، المجسد هو الآخر في «عمل» تمارسه «مؤسسات»؟!.. وإذا كان هذا الكتاب - الذي يكشف هذا المخطط التنصيري - قد تأخر موعد صدوره خمسة عشر عاما؟!.. فإننا - ونحن نعتذر إلى الله.. وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم.. وإلى أمة الإسلام بالجهل بخبره طوال هذه السنوات عن هذا التأخير - ندعو عقلاء الأمة وعلماءها ومفكريها إلى:

1- ترجمة هذا الكتاب إلى اللغات الإسلامية التي يتعرض أبناؤها، أكثر من غيرهم، إلى خطر التنصير..

2- عقد «حلقة بحث» - تحت رعاية الأزهر الشريف - تشارك فيها:

ا- رابطة العالم الإسلامي..

ب - وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية..

جـ - ومنظمات الدعوة والإغاثة الإسلامية..

د - ومجامع الفقه والبحوث الإسلامية..

هـ - ومراكز الدراسات الإسلامية..

و - والمنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم..

ز- والمنظمة العربية للثقافة والعلوم..

على أن يكون هذا الكتاب «ورقة عمل» لـ «حلقة البحث» هذه.. لتقدير حجم الخطر المحدق بالإسلام والمسلمين من هذا المخطط التنصيري..

3- على أن يتلو «حلقة البحث» هذه «مؤتمر إسلامي».. يدرس:

ا - ماذا تحقق - حتى الآن - على أرض الواقع الإسلامي - من مخطط التنصير هذا، عبر هذه السنوات؟..

ب - وسبل تحصين الإسلام والفكر الإسلامي والأمة الإسلامية ضد الاختراق الذي يمثله هذا المخطط؟..

جـ - والرد الإسلامي الذي ينقل المعركة إلى قلب النصرانية، من موقع الهجوم بالحق، لا من موقف الدفاع !..

* * *

إننا أمام مستوى غير مسبوق، في تاريخ العداء النصراني للإسلام والمسلمين..

ومع أن القرآن الكريم قد حدثنا عن أن الذين هم أشد عداوة لنا هم (اليهود والذين أشركوا) .. وعن أن الذين (قالوا إنا نصارى) هم الأقرب مودة لنا - (...لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ* وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ*)[12].

مع هذه الحقيقة القرآنية الخالدة.. فإننا أمام تحول كامل في الموقف النصراني من الإسلام والمسلمين.. من موقع «الذين هم أقرب مودة» إلى موقع «الذين هم أشد عداوة»؟؟!.. فهل تخلف الوعد.. وتبدلت السنة.. وتحول القانون الذي تحدثت عنه هذه الآيات في القرآن الكريم؟؟!.. كلا.. وحاشا.. وألف مرة كلا وحاشا !.. وإنما نحن بإزاء ثمرات التحولات التي طرأت على نصرانية الغرب - وخاصة البروتستانتية منها: -

* فهم لم يعودوا الذين (لايستكبرون) منذ أن أصبحت نصرانيتهم مجرد تراث وقسمة من قسمات حضارة الاستكبار والاستعلاء

والاستعمار الغربي !..

* ثم هم - وهذا مهم جدا - قد اختلطت نصرانيتهم باليهودية - التي حدثتنا آيات القرآن هذه عن أن أهلها - مع المشركين - هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا -؟!.. ويشهد على هذا التحول:

أ- النشأة «النصرانية - البروتستانتية» للمشروع الصهيوني؟! [13]..

ب- والمصالحة «النصرانية - اليهودية» في مواجهة الإسلام والمسلمين؟! [14]..

جـ- ووصول الخلط والاختلاط إلى مستوى «الدين - الملفق» - «اليهودي - النصراني» الذي أصبح أهله في الغرب الآن يعدون بعشرات الملايين؟! [15]..

فنحن أمام خطر قديم.. يبلغ في درجاته مستويات غير مسبوقة..

وتلك هي كلمتنا الكاشفة لهذا الخطر.. والداعية إلى مواجهته، على النحو اللائق بالذين أنعم اللهُ عليهم بنعمة الإسلام.. وأشركهم معه - سبحانه وتعالى - ومع رسوله - صلى الله عليه وسلم - في «العزة»: (...وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ*)[16]. وجعلهم «الأعلون» بالإيمان بالإسلام: (وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ*)[17]... وبها نكون قد بلغنا.. والله على ذلك شهيد.. وبها ندعو إلى مواجهة الخطر - بما اقترحناه.. أو بما هو أجدى منه - وإنا لمنتظرون.. وعلى الله قصد السبيل.. فهو حافظ الدين.. ندعوه إلى تسديد خطانا على درب إقامة هذا الدين.. إنه سميع مجيب الدعاء.

القاهرة في 9 من ذي القعدة
سنة 1412 هـ

12 من مايو سنة 1992م

الهوامش

(1) الحجر: 9.

(2) التوبة 33، الصف: 9.

(3) الأنفال: 36، 37.

(4) الشورى: 13.

(5) النساء: 123.

(6) مجلة «شؤون دولية» - كمبردج عدد يناير سنة 1991م.

(7) الروم: 4، 5.

(8) يوسف: 87.

(9) الحجر: 56.

(10) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي - مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية في شمال إفريقيا - لـ «كريكوري، م، لفنكستون» - ص 378 - 379.

(11) المصدر السابق: الخطاب الرئيسي - لـ «و. ستانلي مونيهام» - ص 31،29.

(12) المائدة: 83،82.

(13) انظر: محمد السماك (الأصولية الإنجيلية - أو الصهيونية المسيحية) طبعة مركز دراسات العالم الإسلامي. سنة 1991م. وانظر كذلك: غريس هالسل (النبوءة والسياسة) ترجمة: محمد السماك. طبعة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

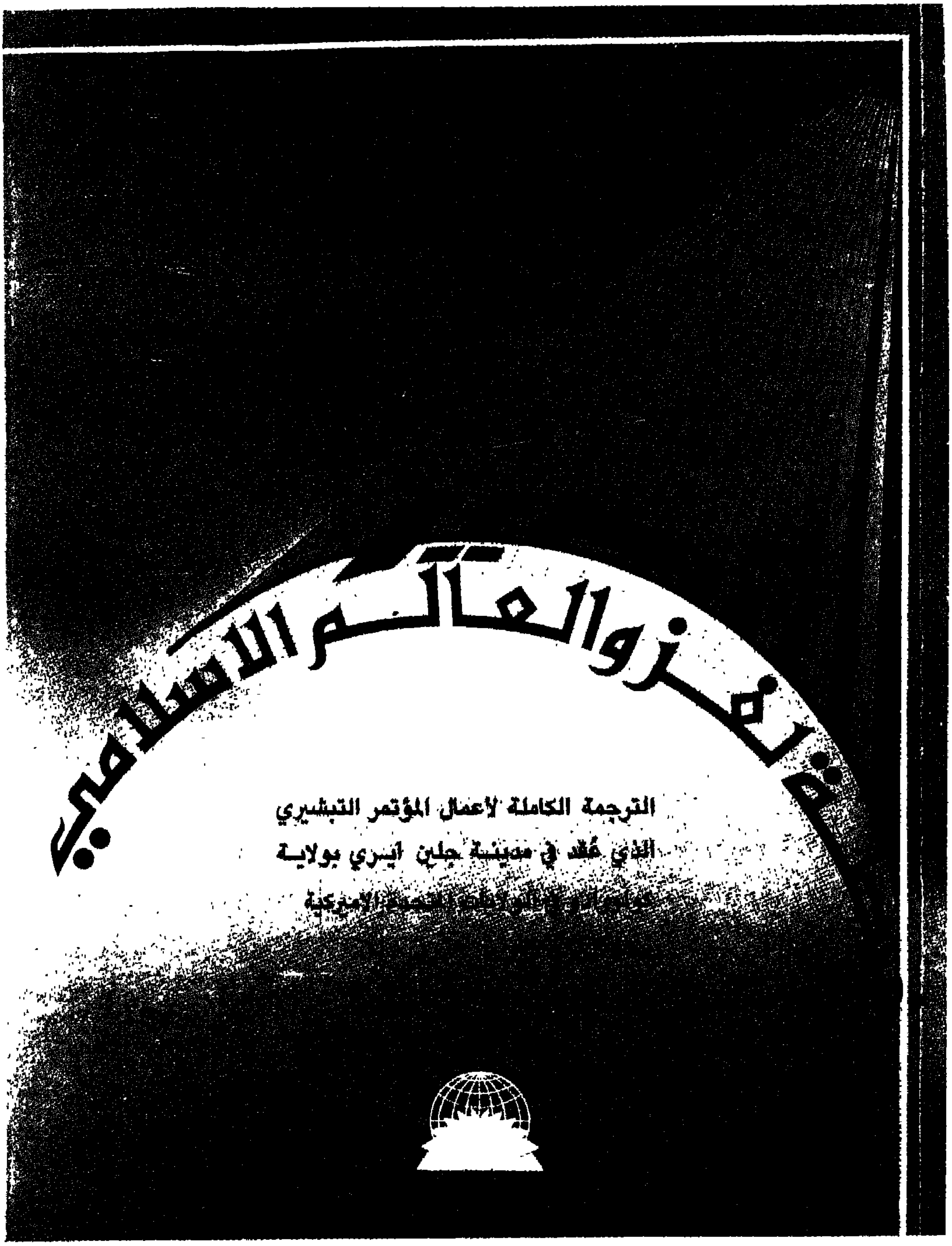
(14) والشواهد عليها كثيرة.. من تبرئة اليهود من دم «صلب» المسيح - وهو مخالف لعقيدة «الخطيئة» النصرانية !.. إلى الاشتراك في الخدمات الكنسية والصلوات بين الأحبار والقساوسة.. فضلا عن التحالف في مواجهة الإسلام، مع الوثنية المغولية قديما.. ومع الصهيونية، والعلمانية، واللادينية حديثا؟!.

(15) (الأصولية الإنجيلية) و (النبوءة والسياسة).

(16) المنافقون: 8.

(17) آل عمران: 139.

ملحق



1ـ صورة غلاف الترجمة العربية للكتاب (التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي) ..

المصادر

* المصدر الرئيس للدراسة

(التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي) - وهو أعمال مؤتمر تنصير العالم الإسلامي ، الذي عقد بمدينة «جلين آيري» بولاية «كولورادو» الأمريكية سنة 1978 م - تحرير «دون ماكري» .

ا- الطبعة الانجليزية : أصدرتها دار MARC للنشر سنة 1979م بعنوان :

The Gospel and Islam A 1918 Compendium.

ب- الطبعة العربية - الأولى - ترجمها وطبعها «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» بواشنطون .

جـ- الطبعة العربية - الثانية - مصورة عن الأولى - أصدرها «مركز دراسات العالم الإسلامي» سنة 1991 م .

* المصادر المساعدة

ابن رشد : (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة 1983 م .

ابن ماجة : (سنن ابن ماجة) طبعة القاهرة سنة 1972 م .

أبو داود : (سنن أبي داود) طبعة القاهرة سنة 1952م .

أحمد بن حنبل (الإمام) : (مسند الإمام أحمد) طبعة القاهرة سنة 1313هـ .

أحمد حسين الصاوي (دكتور) : (فجر الصحافة في مصر) طبعة القاهرة سنة 1975.

إدوارد مورتيمر : (الإسلام والمسيحية) - مجلة «شؤون دولية» - جامعة «كمبردج» - اجلترا - المجلد 67 - عدد 1 - يناير سنة 1991م .

أديب نجيب سلامة : (تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر) طبعة القاهرة سنة 1982 م .

إرنست جيلنر : (الإسلام والماركسية) - مجلة «شؤون دولية» - جامعة كمبردج - انجلترا - المجلد 67 - عدد 1 - يناير سنة 1991 م.

أرنولد (سير توماس) : (الدعوة إلى الإسلام) ترجمة : د. حسن إبراهيم حسن ، د. عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوي . طبعة القاهرة سنة 1970 م .

الأفغاني (جمال الدين) : (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة 1968م .

البخاري (الإمام) : (صحيح البخاري) طبعة دار الشعب - القاهرة .

الترمذي : (سنن الترمذي) طبعة القاهرة سنة 1937م .

الدارمي : (سنن الدارمي) طبعة القاهرة سنة 1966م .

شاتليه (أ. ل) : (الغارة على العالم الإسلامي) ترجمة : محب الدين الخطيب ، مساعد اليافي . طبعة القاهرة سنة 1385 هـ .

عبد الوهاب الكيالي (دكتور - محرر) : (موسوعة السياسة) طبعة بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

عجاج نويهض (مترجم) : (بروتوكولات حكماء صهيون) طبعة بيروت . (د. ت) .

عمر طوسون : (البعثات العلمية في عهد محمد علي وعباس وسعيد) طبعة القاهرة سنة 1353 هـ وسنة 1934 م .

الغزالي (أبو حامد) : (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) طبعة القاهرة سنة 1907 م .

: (الاقتصاد في الاعتقاد) طبعة مكتبة صبيح - ضمن مجموعة - القاهرة (د. ت) .

غريس هالسل : (النبوءة والسياسة) ترجمة : محمد السماك . طبعة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية .

فهمي هويدي : (من يعادي من ؟) - مقال في (الأهرام) بتاريخ 17 من يوليو سنة 1990 م.

مالك بن أنس (الإمام) : (الموطأ) طبعة دار الشعب - القاهرة .

مجمع اللغة العربية - القاهرة : (المعجم الكبير) طبعة القاهرة سنة 1401 هـ سنة 1981 م .

محمد السماك : (الأصولية الإنجيلية - أو الصهيونية المسيحية) طبعة مركز دراسات العالم الإسلامي - سنة 1991 م .

محمد عبده (الأستاذ الإمام) : (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة . طبعة بيروت سنة 1972م .

محمد عمارة (دكتور) : (الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده) طبعة القاهرة سنة 1405 هـ سنة 1985 م .

محمد الغزالي (الشيخ) : (الحق المر) -مقال- في صحيفة «المسلمون» - السعودية- بتاريخ 12 من ربيع الأول سنة 1412هـ 20 من ديسمبر سنة1991م.

محمد فؤاد عبد الباقي : (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) طبعة دار الشعب - القاهرة .

مسلم (الإمام) : (صحيح مسلم) طبعة القاهرة سنة 1955 م .

النسائي : (سنن النسائي) طبعة القاهرة سنة 1964 م .

نيكسون (ريتشارد) : (الفرصة السانحة) ترجمة : أحمد صدقي مراد . طبعة القاهرة سنة 1992 .

وليم سليمان (دكتور - مراجع) : (مجلس الكنائس العالمي من واقع قراراته) طبعة القاهرة - بيت التكريس بحلوان سنة 1962 .

: (مجلس الكنائس العالمي من واقع مواقفه) طبعة القاهرة - بيت التكريس بحلوان سنة 1962 م .

: (مجلس الكنائس العالمي من واقع تاريخه) طبعة القاهرة - بيت التكريس بحلوان سنة 1963 م .

وينسنك (أ . ي) وآخرون : (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف) طبعة ليدن سنة 1936 - سنة 1969م .

يوسف الخال : (الأبعاد الحقيقية للأدوار السرية لمجمع الكنائس العالمي) دراسة - بصحيفة (الاتحاد) - أبو ظبي - العدد 6276 - بتاريخ 2 من جمادى الآخرة سنة 1412 هـ 8 من ديسمبر سنة 1991م .

للمؤلف

ا - تأليف

1 - معالم المنهج الإسلامي - طبعة القاهرة - دار الشروق سنة 1991م .

2 - الإسلام وفلسفة الحكم - طبعة القاهرة - دار الشروق سنة 1989م .

3 - العلمانية ونهضتنا الحديثة - طبعة القاهرة - دار الشروق سنة 1986م.

4 - الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1988م .

5 - الدين والدولة - طبعة القاهرة - هيئة الكتاب - سنة 1986م .

6 - الإسلام والسياسة : الرد على شبهات العلمانيين .

7 - الإسلام وأصول الحكم - دراسة ووثائق - طبعة بيروت سنة 1985م .

8 - معركة الإسلام وأصول الحكم - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1989م.

9 - الإسلام والفنون الجميلة - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1991م .

10- الإسلام والمستقبل - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1986م .

11- الإسلام وحقوق الإنسان - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1989م .

12- الإسلام والثورة - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1988م .

13- الإسلام والعروبة - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1988م .

14- إسلامية المعرفة - طبعة القاهرة - دار الشرق الأوسط - سنة 1992م .

15- الغزو الفكري : وهم .. أم حقيقة ؟ - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1988م .

16- الاستقلال الحضاري - طبعة القاهرة - هيئة الكتاب - سنة 1992م .

17- الطريق إلى اليقظة الإسلامية - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1990م.

18- تيارات الفكر الإسلامي - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1991م .

19- الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1991م .

20- الفريضة الغائبة : عرض وحوار وتقويم - طبعة بيروت - دار الوحدة - سنة 1983م

21- أزمة الفكر الإسلامي المعاصر - طبعة القاهرة - دار الشرق الأوسط - سنة 1990م .
22- المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1988م .
23- المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد - طبعة القاهرة - دار المعارف - سنة 1983م .
24- عندما أصبحت مصر عربية - طبعة دمشق - دار قتيبة - سنة 1989م .
25- معارك العرب ضد الغزاة - طبعة القاهرة - المركزالعربي للنشر - سنة 1991م .
26- العرب والتحدي - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1991م .
27- مسلمون ثوار - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1988م .
28- عمر بن عبد العزيز : ضمير الأمة وخامس الراشدين - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1988م .
29- جمال الدين الأفغاني : موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1988م .
30- جمال الدين الأفغاني المفترى عليه - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1984م .
31- محمد عبده : مجدد الدنيا بتجديد الدين - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1988م .
32- عبد الرحمن الكواكبي : شهيد الحرية ومجدد الإسلام - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1988م .
33- أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1987م .
34- الشيخ محمد الغزالي في معاركه الفكرية - طبعة القاهرة - هيئة الكتاب - سنة 1992م .
35- رفاعة الطهطاوي : رائد التنوير في العصر الحديث - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1988م .
36- علي مبارك : مؤرخ المجتمع ومهندس العمران - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1988م .
37- قاسم أمين : وتحرير المرأة - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1988م .
38- الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل - طبعة دمشق - دار قتيبة - سنة 1989م .

39- رحلة في عالم الدكتور محمد عمارة - طبعة بيروت - دار الكتاب الحديث - سنة 1989م .

40- نظرة جديدة إلى التراث - طبعة دمشق - دار قتيبة - سنة 1988م .

41- التراث في ضوء العقل - نفد - طبعة بيروت - دار الوحدة - سنة 1984م .

42- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1992 .

43- القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب - نفد - طبعة القاهرة - دار الفكر - سنة 1958م .

44- فجر اليقظة القومية - نفد - طبعة بيروت - دار الوحدة - سنة 1984م .

45- العروبة في العصر الحديث - نفد - طبعة بيروت - دار الوحدة - سنة 1984م .

46- الأمة العربية وقضية الوحدة - نفد - طبعة بيروت - دار الوحدة - سنة 1984م .

47- إسرائيل - هل هي سامية ؟ - نفد - طبعة القاهرة - دار الكاتب العربي - سنة 1967م .

48- الإسلام والوحدة القومية - نفد - طبعة بيروت - المؤسسة العربية - سنة 1979م .

49- الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية - نفد - طبعة بيروت - المؤسسة العربية - سنة 1977م .

50- المعتزلة وأصول الحكم - نفد - طبعة بيروت - المؤسسة العربية - سنة 1977م .

51- المعتزلة والثورة - نفد - طبعة بيروت - المؤسسة العربية - سنة 1977م .

52- محمد عبده : سيرته وأعماله - نفد - طبعة بيروت - دار القدس - سنة 1978م .

53- الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب - نفد - طبعة القاهرة - دار الثقافة الجديدة - سنة 1977م .

54- العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب - نفد - طبعة القاهرة - دار الثقافة الجديدة - سنة 1978م .

55- نظرية الخلافة الإسلامية - نفد - طبعة القاهرة - دار الثقافة الجديدة - سنة 1980م.

56- الإسلام والسلطة الدينية - نفد - طبعة القاهرة - دار الثقافة الجديدة - سنة 1979م .

57- الإسلام والحرب الدينية - نقد - طبعة بيروت - دار الوحدة - سنة 1982م .

58- ثورة الزنج - نقد - طبعة بيروت - دار الوحدة - سنة 1980م .

59- الإسلام وقضايا العصر - نقد - طبعة بيروت - دار الوحدة - سنة 1984م.

60- الإسلام والعروبة والعلمانية - نقد - طبعة بيروت - دار الوحدة - سنة 1981م.

61- دراسات في الوعي بالتاريخ - نقد - طبعة بيروت - دار الوحدة - سنة 1984م .

62- تيارات اليقظة الإسلامية - نقد - طبعة القاهرة - دار الهلال - سنة 1982م.

63- الفكر القائد للثورة الإيرانية - نقد - طبعة القاهرة - دار ثابت - سنة 1982م.

64- الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية - نقد - طبعة القاهرة - دار ثابت - سنة 1982م .

65- ماذا يعني الاستقلال الحضاري لأمتنا - نقد - طبعة القاهرة - دار ثابت - سنة 1983م .

66- ظاهرة القومية في الحضارة العربية - نقد - طبعة الكويت - رابطة الأدب - سنة 1983م .

67- بروتوكولات قساوسة التنصير -

ب - دراسة وتحقيق

68- الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني - طبعة بيروت - المؤسسة العربية - سنة 1979م .

69- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1992م .

70- الأعمال الكاملة لقاسم أمين - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1989م .

71- الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي - طبعة بيروت - المؤسسة العربية - سنة 1973م .

72- الأعمال الكاملة لعلي مبارك - طبعة بيروت - المؤسسة العربية - سنة 1979م.

73- الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي - طبعة بيروت - المؤسسة العربية - سنة 1975م .

74- كتاب الأموال - لأبي عبيد القاسم بن سلام - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1989م .

75- وسائل العدل والتوحيد - طبعة القاهرة - دار الشروق - سنة 1987م .

76- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال - لابن رشد - طبعة القاهرة - دار المعارف - سنة 1985م .

77- رسالة التوحيد - للإمام محمد عبده - طبعة القاهرة - مركز الحضارة العربية - سنة 1989م .

78- الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده - طبعة القاهرة - دار المستقبل العربي - سنة 1985م .

79- التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ - لمحمد مختار باشا المصري - طبعة بيروت - المؤسسة العربية - سنة 1980م .

جـ - بالاشتراك مع آخرين

80- الحركة الإسلامية : رؤية مستقبلية - طبعة الكويت - سنة 1989م .

81- القرآن : نظرة عصرية جديدة - طبعة بيروت - المؤسسة العربية - سنة 1972م .

82- محمد : نظرة عصرية جديدة - طبعة بيروت - المؤسسة العربية - سنة 1972م .

83- عمر : نظرة عصرية جديدة - طبعة بيروت - المؤسسة العربية - سنة 1973م.

84- علي : نظرة عصرية جديدة - طبعة بيروت - المؤسسة العربية - سنة 1974م.

د - تحت الطبع

85- الحوار : فريضة إسلامية .

86- التيار القومي والإسلام .

87- الإسلام في عيون غربية .

88- معالم المشروع الحضاري الإسلامي .

لائحة المنشورات

اسم الكتاب	المؤلف	عدد الصفحات	السعربالدولار الأمريكي
موسوعة			
1 - الظاهرة الاستشراقية واثرها على الدراسات الاسلامية 1 -2	د. ساسي سالم الحاج	672	15.00
2 - الظاهرةالاستشراقية واثرها على الدراسات الاسلامية 3-4	د. ساسي سالم الحاج	688	15.00
3 - المستشرقون والقرآن	عمر لطفي العالم	205	4.00
4 - الأصولية الإنجيلية	محمد السماك	191	3.00
سلسلة الدراسات السياسية والاستراتيجية			
1 - منهج النظر في النظم السياسية المعاصرة لبلدان العالم الإسلامي	المستشار طارق البشري	118	2.00
2 - الاستعمار الاوروبي ونتائجه على العلاقات العربية الإفريقية	د. أحمد إبراهيم دياب	133	2.00
3 - قضية لوكربي ومستقبل النظام الدولي	مجموعة من الخبراء والباحثين	480	10.00
4 - حرب الخليج الثانية	مجموعة من المؤلفين	295	5.00
5 - العالم الإسلامي والمستقبل	ندوة	909	15.00
6 - التعاون العربي الإفريقي	مجموعة من المؤلفين	327	4.00
7 - النظام الدولي بين المقصود والمنشود	محمد خليفة	65	2.00
8 - العالم الإسلامي والنظام الدولي	مجموعة من المؤلفين	168	2.50
سلسلة بحوث الثقافة والحضارة			
1 - العرب والغرب	محمد شومان	82	1.60
سلسلة الفكر الاسلامي المعاصر			
1 - إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر	ندوة	351	4.50
2 - الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي	مجموعة من المؤلفين	107	3.50
3 - الاجتهاد والتحديث	د. سعيد بن سعيد العلوي	240	4.00
سلسلة التراث والتجديد			

	اسم الكتاب	المؤلف	عدد الصفحات	السعربالدولار الأمريكي
1-	الإمام شهاب الدين القرافي	د.عبدالله إبراهيم صلاح	548	15.00
	سلسلة بحوث والحضارة			
1-	الامكانات الزراعية في العالم الإسلامي	د. جمعة رجب طنطيش	151	2..00
2-	التكامل وتقسيم العمل الاقليمي بين أقطار العالم الإسلامي	د. محمد ابراهيم منصور	67	2.00
3-	تأملات في التكنولوجيا والتنمية من منظور حضاري	د. حامد الموصلي	95	2.00
	سلسلة الدراسات القانونية			
1-	النظام القانوني الدولي في مفترق الطرق	مجموعة من الباحثين	324	5.00
	سلسلة الدراسات المستقبلية			
1-	الاتجاهات الكبرى عام 2000	جون نيسبيت - باتريشيا أبردين	318	7.00
	كتب باللغة الاجنبية			
1-	Future Lockerbie case and the al orderof the internation	A group of Experts and Researchers	398	10.00
2-	L'Affaire Lockerbie et l'Avenir national l'Ordre inter	Un Group d'experts et de Rechercheurs	429	10.00

	اسم الكتاب	المؤلف	عدد الصفحات	السعربالدولار الأمريكي
	كتب تحت الطبع			
1-	استراتيجية التعمير في العالم الاسلامي	د. محمد عمارة		
2-	بعد أزمة الخليج الجبهة الثقافية والدور المستقبلي للإسلام	صلاح الدين الجورشي		
3-	مستقبل النفط في ظل التحولات الدولية الكبرى	د. حسين عبدالله		
4-	الدور السياسي للأحزاب الدينية في المشروع الصهيوني	د.عبد الخيرمحمود عطا		
5-	الشخصية العربية في السينما الصهيونية	د.عبد الخيرمحمود عطا		
6-	مستقبل القانون الدولي والسياسة الخارجية الأمريكية	د. فرنسيس بويل		
7-	تحولات السلطة	الفن توفلر		
8-	منظمة الأوبك إلى أين؟	عمرو كمال حمودة		
9-	تجمع الإسلام	مارتن كرامر		
10-	الخامات والخبرات التقنية في الوطن العربي	ندوة		
11-	The International Legal Order at the Crossroads	Agroup of Researchers		
12-	L'Ordre Legal International a la Croisee des Chemins	Un Group de Rechercherus		